V. EDIZIONE

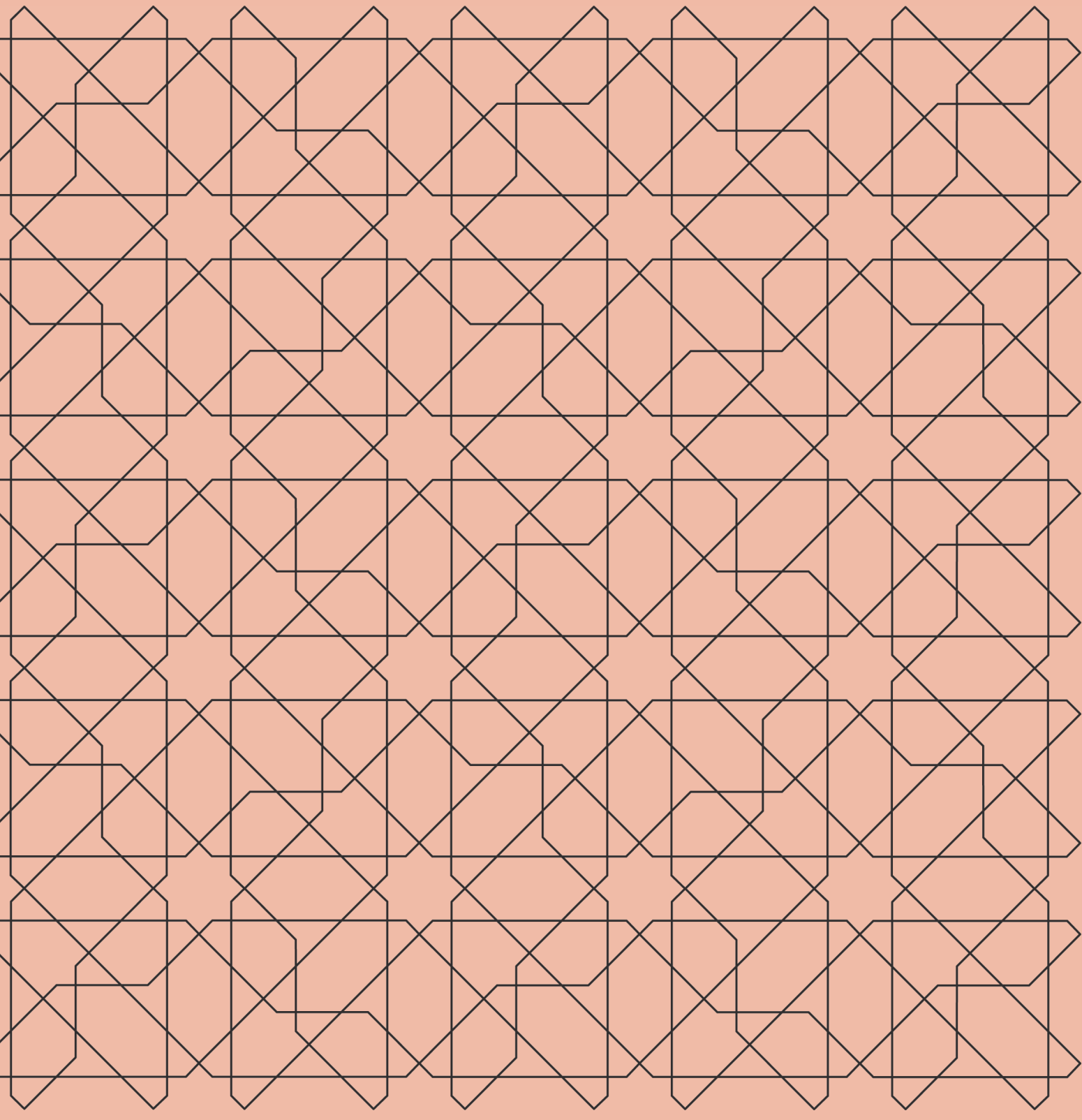

كتاب الأجوبة العربيّة

في شرح النصائح اليوسفيّة

لسيدنا الشيخ الإمام العالم الربَّاني محيي الدين أبي عبد الله محمّد بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن عبد الله ابن العربي الطائي الحاتمي رحمه الله

فهرس النسخ:

ح: حسين جلبي ٤٤٧

ي: يوسف اغا ٤٨٦٠

ج: جار الله ١٠٩٣

ب: برلين ٢٩٨٠

ظ: ظاهريّة ١٥٣٥

س: سليمانيّة ١٩٣

م: دار الكتب المصريّة ٣٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي إلا بالله

شرح الإمام العالم الراسخ الوارث الأكمل أبي عبد الله محمّد بن عليّ بن العربي الطائي الحاتمي رضي الله عنه [1]

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴿**لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾ [الأعراف ٤٣].

أما بعد فهذا شرح ما نطقتْ به روحانيّة العبد المُوله صاحب القلب المُدَلَّه عليّ الكرديّ على لسان من علم ما لديه فاستند إليه يوسف بن إبراهيم الشافعي قسيمه في النسب والجاري معه في السبب [2] والمادّة شاميّة دمشقيّة ما تعدّاها بل كما أخذها أدّاها وهي بين ذوق والقاء ما فيها كتابة [3] ولا لقاء هاكذا [4] [ذكر لي صاحب] [5] اللسان فأوّل ذلك ان [6] قال فأبان:

أوّل ما يجب على المريد أن يسلب اختياره ويكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي المُغَسِّل وأن يتصدّق في مشيه إلى الشيخ ويَمْشى [7] وعليه الذلّ [8] والمسكنة والانكسار [9] ويكون مشيه في المنخفض من الطريق المتواطي وأن يكون في نفسه أنه دون كلّ من يلتقيه في طريقه إلى الشيخ وكذلك في كلّ أحواله فإذا قَرب من منزل الشيخ فإن كان هناك مسجد دخل فيه وصلّى وسأل الله

---

(1) ج، س، م: + ونفعنا به وبعلومه
(2) ج، س، ظ، م؛ ح: النسب
(3) ج، س، ظ، م: كناية
(4) ج، س، ظ، م: كذا
(5) ج، س، م: نازل هذا
(6) س: أنه
(7) ج، س، م: -
(8) ج، س، ظ، م؛ ح: الذلّة
(9) ج، س، ظ، م: -

تعالى أن يُعطف عليه قلب الشيخ (10) **فإذا فرغ من الصلاة يأت باب الشيخ ويقف بالبعد من الباب تأدّبًا بين يديه.**

شرح [٢] قوله **أوّل ما يجب على المريد أن يسلب اختياره** يريد مريد التربية أي الذي يكون في خدمة شيخ وأضاف (11) السلب إليه وجعل الفضل (12) في ذلك له فإن البيعة (13) إنما (14) تكون على السمع (15) والطَّاعَةِ في المنشط والمكره وعلى الحقيقة فهذه صفة المؤمن فأحرى المريد.

وما سُمّي المريد مريدًا إلا لكونه ذا إرادة فإنه لا بدّ أن يريد ما يريد شيخه فلا بدّ له من إرادة تقوم به كما قال أبو يزيد أريد أن لا أريد فأثبت لنفسه إرادة وطلب نفيها [عنه ان تكون (16)] (17) إرادته من نفسه وإنما كان يطلب (18) من الله أن تكون إرادته إذ ولا بدّ منها تبعًا لإرادة مولاه فيريد العلم بما يريده ربّه فيريده و هو أعلى مرتبة في هذا الباب.

وأما المرتبة التي هي دون هذا (19) في هذا الباب هي (20) أعلى في المقام في دار التكليف فهي هيّنة الخطب عند المُوَفَّق وهو أن الله تعالى قد شرع الأحكام وفرغ منها فقد سُلِب الإرادة بهذا الفعل عن كل مؤمن بالله فلا يريد أمرًا إلا ما أراده (21) الله عزّ وجلّ في شرعه فلا إرادة له من نفسه وإنما إرادته ما أريد به وقد أبان ذلك الحقّ للمؤمنين بما شرع لهم ولهذا المؤمن يصحب ولا يصحب هو (22) سوى حكم

---

(10) ج، م: شيخه
(11) س: وأضاق
(12) ج، س، م: الفعل
(13) س: التبعيّة
(14) ح: إنها
(15) ج، س، ظ، م؛ ح: بالسمع
(16) ظ: يكون
(17) ج، س، م: عن نفسه ولم يرد
(18) ج، س، م: مطلبه
(19) ج، م: هذه
(20) ج، س، ظ، م؛ ح: وهي
(21) ج، س، م: أراد
(22) ج، س، م: -

إيمانه كالنبي لا يصحب أحدًا سوى نبوّته لأنه يحكم بما [23] يُوحى به إليه لا بحكم نفسه والمؤمن بحكم إيمانه لا بحكم [24] نفسه والمَلِك بحكم [25] مُلكه لا بحكم أحد فلا يصحب سوى ملكه وبه يحكم.
كذلك المريد الحقّ الصادق ولا يصحب سوى شيخه [٣] فلا إرادة له من نفسه إلا ما يريد به شيخه ولذلك قال **أن يَسْلُب اختياره** فيكون واحد الإرادة وليست [26] إلا إرادة شيخه به فما قال أن يسلب إرادته فإن ذلك لا يصحّ وإنما يسلب اختياره فلا يختار [27] إلا ما أراده [28] به [29] شيخه وما يريد به مجهول عنده حتى يأمره بما يأمره فيريد ولا بدّ ما أراد به شيخه وإن لم يكن كذلك فليس بمريد تربية ولا يجيء منه شيء [30] أبدًا ومتى زعم أنه مريد تربية وهو بحضور شيخ وتصرّف في أمر [31] بنفسه من غير إذن شيخه في ذلك فهو كذّاب.
وإنما ينبغي له إذا طرأ أمر يقتضي التصريف به فلا بدّ وله وجوه عَدِيدة منها ما يكرهها ومنها ما يحبّها فينبغي له أن يعرض على شيخه ما طرأ حتى يُعيّن له الشيخ وجهًا من وجوه التصريف في ذلك فإن عيّن ما كان يكرهه تعود [32] تلك الكراهة [33] حُبّا لذلك التصريف حيث عيّنه له الشيخ وإن كان ممّا يحبّه فبخٍ على بخ وإن كان ممّن يفعل ما يكره لإختيار الشيخ على كُره لا على محبّة فهو صاحب مجاهدة ومكابدة ويعلم أنه دون الذي رجع المكروه له محبوبًا [فلا يزال في جهاد حتى يرجع المكروه له محبوبًا] [34] ولا بدّ وكِلا [35] المريدين [36] يتصفان بأنهما مسلوبان الاختيار.

(23) ح، ظ: ما
(24) ح، ظ: يحكم
(25) ح، ظ: يحكم
(26) هنا تبدأ نسخة برلين ٢٩٨٠
(27) ظ: يحتاج
(28) ج، س، ب: أراد
(29) س، ب: -
(30) ح، ظ: شيخ
(31) ب، ظ: أمره
(32) ب: تعوّد
(33) س: الكرهة
(34) ج، س: -

وبعيد أن يوافق الشيخ المحقّق (37) غرض المريد أصلاً بل الشيخ يراقب أحواله إذا عرف صدق المريد في صحبته وأنه يريد المرتبة العاليّة فكلما رأى له غرض محبّة في أمر جاءه بخلاف ما يريد لأن الشيخ كماشطة العروس إنما يقوم له الشيخ (38) مقام الحقّ فلا يأمره إلا بما يعرف أنه يريد [ذلك الحقُّ تعالى] (39) منه [٤] فلا يزال المريد جاريًا (40) مع إرادة شيخه به إلى أن يعتاد ذلك والخير عادة ويطيب له فإن فقدَ المريد الشيخ بموت أو بسفر كان مع الحقّ بتلك المثابة والصفة وهذا هو مقام السماع من الحقّ ولاسيّما إن كان المريد صاحب بيت (41) له زوجة وأولاد فيحبّ الأولاد بالمحبّة الطبيعيّة ويحبّ الزوجة محبّة الكل لجزئه وهي محبّة الشهوة والشيخ المحقّق يحول بينه فيما يصرّفه فيه وبين ما يحبّه لأولاده وزوجته فإن صبر على ذلك فهو صادق وإن أحبّ ذلك عندما يريد الشيخ به فهو صدِّيقٌ تامّ أعظم درجة في المعرفة من الصابر.

ألا ترى كيف قال أبو يزيد لربّه

أُريدُكَ لا أُريدُكَ لِلثَوابِ *

فإنه محبوب للنفوس أعني الثواب ثم قال

وَلَكِنّي أُريدُكَ لِلعِقابِ *

لأن العقاب غير ملذوذ للنفوس ثم قال

فَكُلُّ مَآرِبِي قَد نِلتُ مِنها *

يقول جميع ما أردت بي ممّا كنت أُحِبُّه قد أمرتني بإتيانه فكنت ألتذّ به حيث وافق أمرك هواي فيه ثم قال

سِوى مَلذوذِ وَجدي بِالعَذابِ *

=

(35) س: وكلّ

(36) ج: الأمرين

(37) س: -

(38) ج: -

(39) ج: الحقُّ تعالى ذلك

(40) ج، س، ظ، ب؛ ح: جازيًا

(41) ح: ثبت

قال فأريد منك أن تأمرني بما أكْرهُ فعله لهوى نفسي وأجد اللذّة بفعله بعد الكراهة ولذلك قال مَلذوذِ وَجدي بِالعَذابِ أي أجد اللذّة فيما أكره كما أجدها فيما أحبّ فطلب المقام العالي الذي نَبّهنا عليه.
وكان يقول كل يوم يا ربّ بعثت إليّ خبزي وما بعثت إليَّ بلاءً آكله به.
ولا [٥] شكّ أن الإنسان المتغذّي يحبّ الإدام ويلتذّ به فكان يطلب اللذّة بالبلاء.
يقول أهل الله ليس العجب من وَرْدٍ في بستان يشيرون إلى مَن أُمر بأمر ما له فيه محبّة ففعله وإنما العجب من وَرْدٍ في قعر النيران.
يقولون بالإشارة إلى مَن أُمر بما يكْره فعَادَ ملذوذًا له للأمر به فيفعله باللذّة التي فعل ما كان يحبّه حين (42) أُمر (43) به بل العالي يتساوى عنده اللذّتان أو يترجّح لذّة فعل المكروه على فعل المحبوب وهو دون من يتساوي عنده ذلك فإنه لا يقع التساوي في الالتذاذ بالأمرين إلا من مُحقّ (44) ثابت القدم مع إرادة مولاه وأما إن زادت (45) لذّة الأمر بالمكروه على لذّة الأمر بالمحبوب فهو عالٍ في الجهاد وليس بمحقّ.
وأما العارفون بالحقّ الذين هم بمنزلة المريدين مع الشيوخ المُربّين لهم فإنما سلبوا اختيارهم مع الحقّ لمشاهدة صحيحة في نفس الأمر وأعطاهم الذوق سلب الاختيار عن نفوسهم فهم مع ما يختاره الحقّ لهم وبهم وهم في كل ما يُقامون فيه بربّهم لا بأنفسهم (46) ومشهدهم في ذلك قول الله تعالى «**وَلا يَزَالُ العَبْدِ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ**» الحديث فأخبر الحقّ أنه قُوَى هذا العبد كلّها ومن جملة قواه الإرادة فإنها (47) من صفاته فهو تعالى إرادته التي يريد بها (48) وإذا (49) كان

(42) ج، س، ظ، ب ؛ح: حتى
(43) ج: أمره
(44) ب: مُحقّق
(45) ج: أراد
(46) ج، ب: بنفوسهم
(47) ح: فإنهما
(48) س: يريدها

الحقّ عين إرادة هذا العارف والحقّ مريد فتلك الإرادة الظاهرة [٦] التعلّق من هذا العَبْد بأيّ مراد كان إنما هي إرادة الحقّ لا إرادته إذ لا إرادة له في نفس الأمر.

وإذا كان المريد مع الشيخ بهذه المثابة حينئذ يتعيّن على الشيخ إذا عرف أن المريد قد تلبس به هذا التلبّس أن [يزول عنه] (50) ويُجلي (51) له الحقّ بالقوّة التي عنده في صورة الشيخ وإذا أُلبس به وجرى على عادته معه في الحكم كشف الغطاء عن بصيرة المريد فرأى أن الحقّ هو الذي كان يربّيه في صورة الشيخ ومادّته وبعد هذا الكشف فلا يقع حجاب أبدًا وهذا أعلى مقام يَصِل إليه العبد في هذا الباب أعني (52) باب سلب الاختيار في جميع الأفعال والتصرّفات وما كان عندي في الطريق بحمد (53) الله أسهَل من هذا المقام ولا أهون علىّ (54) فإنّي ذقتُه في (55) أوّل قَدم فتساوى عندي الالتذاذ بما كنت أحبّه وأكرهه وسلبت محبّة الأشياء وكراهتها وما كنت أشهد منها سوى عين وجودها من غير محبّة ولا كُره فكنت أتهيّأ وآتي بها لكون الحقّ أمرَني بها في صورة الشيخ ولسانه ولا يخطر لي فيها خاطر محبّة ولا كراهة (56) لغلَبة مشاهدتي إيّاه في ذلك وليس وراء هذا الحال حال يكون أتمّ منه في هذا الباب خاصّة.

ومن هنا ينتقل العبد إلى حال الرضا والغضب اللّذين هما نعت الحقّ (57) من كونه يرضى ويغضب (58) فيرضى لله (59) بالله ويغضب لله بالله ولذلك مواطن معلومة يصرّفها فيها وما كلّ أحد يقدر على الرضا والغضب بالله وليس مَن أحبّ في الله وأبغض في الله يدخل في هذا

=

(49) ج، س: إنما
(50) ج: يزوّل له
(51) ظ: وتجلّي
(52) ج، س: يعني
(53) ج، ب: بفضل
(54) ج، ب: علىّ منه
(55) س: -
(56) ج، ب: كراهيّة
(57) ح، ظ: إلاهي
(58) ظ، س: يغضب ويرضى
(59) س: الله

المقام بل قد يكون الراضي في الله [٧] والغاضب في الله له (60) حال الرضا بالله والغضب بالله وهذا المقام الذي انتقل إليه إنما هو في زمان التكليف وداره فإذا انتقل إلى الدار الآخرة انتفت عنه هذه الصفَة وانتفى عنه كون الأمْر الذي يفعله لعين وجوده وما يبقى معه في الآخرة إلا الالتذاذ الخاصّ (61) بكلّ شيء فهو عين اللذّة وهو عين الملتذّ فيكون لذّة كلّه فلا يكون عنه إلا محبوب له جملة واحدة اقتضى. له ذلك موطن (62) الآخرة (63) كما اقتضى. موطن التكليف ما قرّرناه وإن المواطن حاكمة قديمًا وحديثًا.

ألا ترى موطن الدعاء من العبد كيف أعطى الإجابة من الحقّ ولا بدّ فما من أحد يقول يا الله إلا والحقّ يقول له لبّيك فيجيب ولا بدّ فإنه صادق الوعْد والقول وقد قال ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة ١٨٦] فلا تقع الإجابة إلا بعد الدعاء وهذا من حكم الموطن ألا ترى أن العبد يُغضب الله ويُرضيه كما ورد في الشريعة فهذا من حكم الموطن أن جعل الحقّ نفسه على تصريف العبد بالرضا والغضب ثم نبّهه في (64) الجزء (65) الآخر أنه تعالى المصرّف فما رضي إلا بنفسه ولا غضب إلا بنفسه والتصريف له لا للعبد ومن هنا يرتقي إلى (66) ما كان عليه أوّلاً من تصريف العبد الحقّ فيما هو عليه ولكن بذوْق آخر عظيم يُسمّى سرّ القَدَر وهو كون العلم تابع للمعلوم والعالم بحكم المعلوم ما هو المعلوم بحكم العالم وهذا هو العلم الذي يقرّ به كلّ عاقل ويجهله ولا يدري المحجوب ما سبب [٨] ذلك فهو عالم بما هو به جاهل فإذا انتقل العبد إلى هذا المقام لم يتقيّد إلا بما قيّده به معلومُه فيكون عند ذلك حقًّا كلّه فلا يريد من نفسه إلا ما تريده منه نفسه وغاب الحقّ عند ذلك الذي كنا نثبت له الأمر والخلق فشهد الأمْر مشاهدة الحقّ إيّاه فما تصرّف فينا غيرنا ولا

(60) ج: -
(61) ج، س، ظ، ب؛ ح: الخالص
(62) ج، س، ب: الموطن
(63) ج، ب: الاخروي
(64) ظ: على
(65) ب، س: الجزاء
(66) س: إلا

تصرّف الحقّ فينا إلا بنا وهذا المشهد أتمّ من المشهد الذي يُعطي قِسمَة الفِعل [67] بين الفيض [68] والقبول.

فإن أمْر التكوين بيننا وبين الحقّ في مشهد من المشاهد فلا يقع التكوين [69] إلا بأمره تعالى في قوله ﴿**كُن**﴾ [آل عمران ٤٧] وبقبولنا فما ظهرت النتيجة إلا عن أمرين وهما المقدّمتان وبعد هذا المقام يرتقي [70] إلى ما ذكرناه من أن التصريف فينا بالتكوين إنما كان منّا فينا قال الحقّ لنا ﴿**كُن**﴾ وبنا كنّا فتبيّن لك أن سلب الاختيار إنما يقتضيه التكوين [71].

وأما الحقيقة فثابتة للعبد لا لغيره فما أرادنا الحقّ إلا بنا فنحن بصره [72] الذي يُبْصر به وسمعه الذي يسمع به وإرادته التي يريد بها فانعكس الأمر إن فهمت وهذا هو سرّ القدر الذي طُوي عن الخلائق علمه إلا لمَن كشف الله عن بصيرته فأراه الحقّ حقًّا ورزقه إتّباعه وأراه الباطل باطلاً وأعانه على اجتنابه وهنا تُرتفع [73] الحيرة عن العبد ويستقرّ الأمر على ما هو عليه في نفسه وهذا مَوْضِع قوله تعالى [74] ﴿**فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ**﴾ [الأنعام ١٤٩] ولو لم يكن الأمر هاكذا ما ثبت قَطّ قوله تعالى ﴿**فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ**﴾ ولهذا قال تعالى ﴿**فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأنعام ١٤٩] [٩] فأدخل ﴿**لو**﴾ وهي أداة تدلّ على امتناع الشيء لامتناع غيره فما امتنع الشيء إلا لامتناع غيره وهذا عين ما قلنا وهو لا يشاء إلا ما علِم وما علم إلا ما هو المعلومُ عليه في نفسه والحكمُ للمعلوم لا للعلم وإنما غطي [75] عين الفهم.

وأما قوله رضي الله عنه **ويكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي المغسّل** [76] فإنه يريد أن يتصرّف فيه بحكم ما أعطاه حال الميّت

---

(67) ج، س: -
(68) ج، س، ظ، ب؛ ح: القبض
(69) ج، س، ب: التكوين بيننا وبين الحقّ
(70) ج: نرتقي
(71) ج، س، ظ، ب؛ ح: السلوك
(72) س: نظير
(73) ج: تُرفع
(74) ح: -
(75) ج، س، ب: أعطي
(76) ح، س، ظ: الغاسل

فالميّت على الحقيقة هو الذي أعطى للمغسّل [77] هذا التصريف فيه بحاله لأن الحاكم بحكم حال الخصوم فما حكم عليهم سواهم والحاكم الظاهر [78] آلة لهم وهذا عين ما قلناه وهذه المرتبة مرتبة واحدة من الخمسة التي يقتضي الطريق أن يكون العبد فيها مع الحقّ في التصرّف وكذلك المريد مع الشيخ.

المرتبة الأولى أن يكون العبد مع الله [79] والمريد مع الشيخ كالعبد مع سيّده والمنزلة معروفة [80] والتصريف في ذلك معروف لأن العبد عين قيمته فما يتصوّر من ثمنه في حقّ المالك ينبغي أن يكون ذلك حال العبد فمراقبته أبدًا إلى ثمنه في تصرّف السيّد فيه.

المرتبة [81] **الثانية** أن يكون معه كالطفل مع الوالدين فإنه يربّيه ولقد سألني بعض العارفين في المريد [82] يأخذه الحال فيُمنّي فقلنا له لا تنْكِر [83] على الرضيع ان يبول في ثيابه وهذا مريد في حال التربية فَسُرّ بذلك فإنه ذكر لي ذلك في حال الانتقاد على ذلك المريد وينبغي للعالم بالله أن [84] لا ينتقد على أحد ما يرى منه ممّا [85] يقتضيه حاله [86] ورتبته وإنما [١٠] الانتقاد [87] فيمن يظهر عليه ما لا يقتضيه مقامه إما بنزول عنه وإما بصعود بمجرّد [88] دعوى وهذه حالة المُستَدرَج.

والعارف لا يزال ميزان حاله مع وارِداته في يده يَزن به ما هو عليه من الحال وما ورد عليه من الحقّ فإنْ [89] وازنه حاله فليشكر الله عزّ

(77) ح، س، ظ: للغاسل
(78) ج، س، ظ، ب ؛ ح: للظاهر
(79) ح: الله تعالى
(80) ج، س، ب: المعروفة
(81) ح، س، ظ: -
(82) ج، ب: المريد اللذي
(83) ج: ننْكِر ؛ ظ: ينْكِر
(84) ج، س، ظ، ب؛ ح: أنه
(85) ج: من حاله
(86) ج:-
(87) س: الانتقال
(88) س: لمجرّد
(89) ظ: فان ما

وجلّ وليسأله أن لا يجعل ذلك حظّ حاله هنا وإن لم يوازنه (90) فليحذر مكر الله في ذلك ولا يأمن مكر الله فإنه لا يأمن مكر الله إلا جاهل غبيّ وما اتّخذ الله وليًّا جاهلاً.

المرتبة (91) **الثالثة** أن يكون معه كالوكيل مع موكّله المستأجر فينصح في عمله (92) وتصرّفه ويقوم في ذلك مقام موكّله حتى يكون كأنه هو فيحتاج إلى علم كثير وعقل سليم (93).

المرتبة الرابعة أن يكون معه كالميّت بين يدي المغسّل (94) يقلّبه كيف يشاء وبعضهم يقول في هذا المقام أن يكون معه كالظلّ مع الشخص وهو مذهب شيخنا أبي العبّاس العريني رحمه الله سمعت ذلك منه (95) وبين المثالين فرقان (96) كبير (97) قد ذكرناه في تصانيفنا (98) وهو فرقان لا يخفى على أحد وآيته ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ**﴾ [الفرقان ٤٥] وإلى المرتبة الرابعة (99) انتهى ذوق أهل الله لغفلتهم وزاد أهل الله أصحاب (100) الحضور معه العلماء به الراسخون في علمهم ما ذهبنا إليه وهو أن يكون معه (101) كالموكّل مع وكيله عن أمر الله تعالى فيوكّل ربّه في كل ما تحتاج (102) إليه نشأته الطبيعيّة والروحيّة وهو قوله تعالى (103) ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً**﴾ [المزمل ٩] فقد أمرنا أن نتّخذه وكيلاً لعلمنا بعلمه [١١] بالمصالح وجَهِلَنا بها (104) فعيّن لنا الوكيل ما ينبغي أن نتصرّف فيه

(90) ج: يزنه
(91) ج، س، ظ، ب؛ ح: الرتبة
(92) ب، ظ: علمه
(93) ح: -
(94) ح، س، ظ: الغاسل
(95) ب: عنه
(96) ج: فرق
(97) ج، ب: كثير
(98) س: نصانيفنا
(99) ب، ظ: الخامسة
(100) ظ: أهل
(101) ج:-
(102) س، ظ: يحتاج
(103) ح: -
(104) ح: بهما

وحَدَّهُ لنا حتى عرفناه وأقامنا فيه مقامه فنحن وكلاء الوكيل وهو قوله ﴿**وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ [الحديد ٧] ممّا وكّلتموني فيه فوكّلناه نحن من قوله ﴿**لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ**﴾ [المنافقون ٩] و ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [التغابن ١٥] فأضاف الأموال إلينا وجعلها مِلكًا لنا فوكّلناه عن أمره في التصرّف فيها [105] واتّخذناه وكيلاً عن أمره.

وهذا لأصلٍ [106] باقٍ [107] لا يزول فإنه يقول لموسى [108][109] «**خلقت الأشياء من أجلك**» فثبت أن الأموال لنا فكنّا [110][111] نحن [112] ننتفع بها لا هو والذي يعطيه الكشف الحقيقي أنه خلق الأشياء لتسبّح [113] بحمده وننتفع نحن بحكم التبعيّة لا بالقَصْدِ الأوّل هذا هو الصحيح المرجوع إليه فلما تقرّر أنه خلق الأشياء لنا واتّخذناه وكيلاً في التصرّف فيها فكان من علمه بالمصالح أن عيّن لنا ما نتصرّف [114] فيه من ذلك فقال ﴿**وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ [الحديد ٧] فعلى ما ذهبنا إليه نحن مستخلفون فيما في أيدينا ممّا [115] كنّا نتخيّله بالإضافة إلينا أنه مِلك لنا وأبان لنا [116] أن ذلك له لا لنا فتحقّقنا أنه ما خلق الأشياء إلا لتسبّح بحمده لا لنا فأوجدها لأعيانها ومن جعل الاستخلاف في التصريف فيما يملكه [117] جعلنا وكلاء لمن وكّلناه لعلمه بالمصالح دوننا فرأى من المصلحة أن نتصرّف فيما عيّن لنا التصرّف فيه وتصرّف هو فيما يرى المصلحة في

---

(105) ح: فيهما
(106) ج، س: لاصل
(107) ج: وباق
(108) ظ: -
(109) ج، ب: لموسى عليه السلام
(110) ظ؛ ج، ب: -
(111) ح: فلنا؛ س: قلنا
(112) ج:-
(113) ظ: ليسبّح
(114) ظ: يتصرّف
(115) ج، س، ظ، ب؛ ح: ممّن
(116) ج:-
(117) ج، س، ظ، ب؛ ح: نملكه

حقّنا أن يكون هو المتصرّف فيه وهذه **المرتبة الخامسة** في هذا الباب [١٢] أعظم المراتب في التفويض والتسليم والتوكّل والانقياد وهو قوله تعالى ﴿**أَلاَّ** (118) **تَتَّخِذُوا** (119) **مِن دُونِي وَكِيلاً**﴾ [الإسراء ٢] فنهي عن ذلك وقال ﴿**فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً**﴾ فأمر وهذا غاية التأكيد وليس وراء هذه المَرْتَبة مَرْتَبة تعقل في طريق الله ولكن فيها تفصيل وغموض وتداخُل فإن أغصان شجرة هذه المَرْتبة تدخل بعضها على بعض وهي سريعة التقلّب (120) من الخاطر فيحتاج (121) إلى حضور عظيم ومراقبة دائمة فإنه تعالى رقيب على كلّ شيء.

فينبغي للعبد أن يكون رقيبًا على ربّه في تصرّفه فيه وليس يطيق ذلك إلا بتوفيق (122) الله تعالى لعلمه بميزان ما شرع له فإنه وضع الميزان في الأرض وهو عين (123) ما شرع لا غير فلا بَخْسَ ولا تطفيف فهذا الرجل ما أعطاه حاله إلا أن يقول **وليكن بين يدي الشيخ** (124) **كالميّت بين يدي الغاسل** وإليه انتهى أكثر أهل الله ولا ذوقَ لهم في هذه المرتبة (125) الخامسة في هذا الباب إلا القليل من أهل الله.

ومن أعجب الأشياء أن الخلق كلّهم في هذه المرتبة (126) الخامسة عامّهم وخاصّهم ولا يشعرون بذلك فما فاز أهل الله الراسخون في الأهليّة الخاصّة إلا بالإطلاع (127) على ذلك وإذا كان المريد كالميّت بين يدي الغاسل يقلّبه في حال غسله كما شُرِع له غسله فهذه الوصيّة جُلّها للغاسل لا للميّت فإن الغاسل هو الذي يتصرّف فكأنه (128) يقول بسكون المريد تحت مجاري تصريف الشيخ فيه فيتعلّم من ذلك السكون تحت مجاري الأقدار الإلهيّة [١٣] غير أنّ في هذه

---

(118) ب: لا
(119) س: يتَّخِذُوا
(120) ج، س، ظ، ب؛ ح: التفلت
(121) ج: فتحتاج
(122) ج: بإذن
(123) ج، س: -
(124) ج، ب: شيخه
(125) ج، س، ظ، ب؛ ح: المنزلة
(126) ج، س، ظ، ب؛ ح: الرتبة
(127) س: بإطلاع
(128) س: فكان

المسْألة أمرًا خطِرًا وهو علم المريد بأن هذا الشيخ في رتبة الشيخوخة التي عيّنها الله في خلقه لا يكون متشيّخًا فإن المتشيّخ يظهر بصورة الشيخ (129) من غير علم ولا تحقيق وهذا في هذا الزمان كثير فقلّ أن ترى شيخًا في هذا الزمان عالم بالشريعة وأسرارها (130).

فهُمْ من الشيخ كالمتنبّي (131) من النبي (132) والمتطبّب من الطبيب فيكون الهلاك للاتباع أسرع شيء وما عند المريد علم بذلك فكيف التخلص من ذلك فهذا المريد (133) إذا نظر فيما قلناه وقع في حيرة عظيمة لجهله بالعلم الموصل إلى الله تعالى (134) وليس إلا الشرع المنزّل ولكن نرجو (135) إن شاء الله بل أقطع إذا صدق المريد في طلبه ربه أن الله عزّ وجلّ يوقعه على شيخ هو شيخ حقيقة على بصيرة من الله وإن لم يكن يوجد في الموضع الذي يكون فيه هذا المريد ويقع على متشيّخ فإن الله تعالى بصدق هذا (136) المريد يفتح على هذا المتشيّخ بالفتح (137) المطلوب في حقّ هذا المريد وتخليصه فيكون الشيخ مجبورًا على الحقّ ويَسْتَفِيدُ بسبب هذا المريد علومًا لم يكن يعرفها وربّما يكون له فيها المهداة (138) فينتفع الشيخ وهذا ممّا أجمع عليه أهل الله سبحانه.

واعلم أن شرْحنا لِكلام هذا الشخص وغيره من أهل الطريق ما هو على ما هو الأمر عليه في نفسه وإنما هو على حسب ما بلغه كشفهم وكشف أمثالهم ﴿**فذلك مبلغهم من العلم**﴾ [النجم ٣٠] ولو تكلّمنا على ما هو الأمر عليه في نفسه وعينه ما بَلَغَتْ (139) [١٤] أفهام أهل

(129) ج، س: -
(130) ج: وأسرارها فافهم
(131) س، ظ: كالمتبنّي
(132) س، ظ: البني
(133) ح: مريد
(134) ج: -
(135) س: ترجو
(136) ب، س، ظ: -
(137) ج، س، ظ، ب؛ ح: الفتح
(138) ح، س، ج، ب: المهداه
(139) ج، ب: بَلَغَ

الطريق إليه فأحرى مَن دونهم فلله ألسنة في عباده وَمَا أَرْسَل (140) مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ فلا يخرج الرسول في خطابه عمّا تواطأ عليه أهل [لسانه وكذالك يعتبر أهل الله الأكابر إنما يسلكون بكلامهم هذا المسلك فانه الذي تواطأ عليه أهل] (141) هذا الطريق.

وأما خواصّهم فلهم لسان يخصّهم لا يفهمه غيرهم فمن وقف على كلامنا هذا عِلم أنه ما شرحنا هذا الكلام وغيره إلا بما تواطى عليه فيعذرني ولا يعترض عليّ وقد تكلّمنا بلسان الأمر على ما هو عليه في نفسه في كتاب الفتوحات المكيّة مفرّقا (142) في أبواب مختلفة هذا حتى لا يقع التصريح به فيسرع (143) إليه إنكار (144) المنكرين الجهلاء الذين ﴿**يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ [الرُوم ٧] ومن الناس من ينكشف له الغطاء في الآخرة فيفهم الأمر على ما هو عليه ومن الناس من لا ينكشف له ذلك (145) لا في الدنيا ولا في الآخرة وإن كان (146) من السعداء.

وأما قوله **وأن يتصدّق في مشيه إلى الشيخ شرح** فذلك ليؤدّي واجبًا تعيّن عليه لأن الوارث للرسول عليه السلام يتنزّل منزلة الرسول عليه السلام لأن الوارث في حقّ هذا الشخص هو الرسول إليه من عند (147) الحقّ فإنهم عن الحقّ يخبرون كما قال أبو يزيد أخذتم علمكم ميّتًا عن ميّت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت.

وإن كنّا نعلم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ عن جبريل [١٥] عليه السلام ولكن لا نقول فيه أنه رسول جبريل ولكن نقول فيه كما قال الله تعالى أنه رسول الله كذلك أقول في المُبلِغ عن الحقّ بأي ضرب كان من ضروب الوحي أنه رسول الحقّ إلينا والله عزّ وجلّ يقول ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة ١٢] فجاء بلفظة الرسول ولم يقل

(140) ج: أرْسَلنا
(141) ج، س: -
(142) ج: -
(143) ج، س، ظ، ب؛ ح: فيشرع
(144) ج، س، ظ، ب؛ ح: اتّخاذ
(145) ج، ب: الغطاء
(146) س، ظ: كانوا
(147) ج، ب: -

رسول الله فإنه قد يكون في وقت يخبر عن الله بما أوحى الله إليه في باطنه من غير واسطة وقد يخبر في وقت بما ينزل به الروح الأمين على قلبه فيخبر عن الترجمان ويأمره بالتبليغ عن الله ولهذا جاء بلفظة الرسول بالألف واللام من غير إضافة إلى عين وهو في الحالتين رسول الله إلينا بلا شكّ.

والشيخ رسول الحقّ إلينا فإنه المُرشد والمبلغ إلينا ويحرم الاعتراض عليه وكما (148) لا ينبغي لنا أن نزن على الرسول (149) ما يأتي به إلينا في حقّ الله تعالى من الإطلاق عليه ما تردّه أدلّة العقول من صفات المحدثات بميزان العقول كذلك لا ينبغي أن نزن على الشيخ المحقّق المبلغ عن الحقّ ما يأتي به إلينا فإنه من تلك الخزانة ينفق وبتلك البضاعة وصل وهي نفحات ربّنا أدركها.

ولقد رأيت في الواقعة شخصًا دخل عليّ وأنا في جماعة فقال لي أنا رسول الحقّ إليكم ثم قصّ (150) ما جاء به إلينا فقال اعلموا أن الخير في الوجود والشرّ في العدم أوجد الإنسان بجوده (151) وجعله (152) وحدانيّا (153)(154) في وجوده (155) تخلّق بأسمائه [١٦] وصفاته وفني عنها بمشاهدة ذاته فرأى نفسه بنفسه وعاد العود إلى الله تعالى (156) فكان هو ولا أنت.

وقال رُويم [٢٠٧] (157) من قعد مع هذه الطائفة وخالفهم في شيء ممّا يتحقّقون به نزع الله نور الإيمان من قلبه.

وقال أبو يزيد إذا رأيت (158) من يُؤمن بكلام أهل هذه الطريقة فقل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة.

---

(148) ج: كما

(149) ج: رسول الله

(150) ج، س، ظ، ب؛ ح: نصّ

(151) ج: بوجوده

(152) ج: وجعل

(153) ج: وجدانه

(154) س: وجدانها

(155) س: جوده

(156) س: تعالى العدد الي اسّه

(157) هنا تبدأ نسخة يوسف آغا ٤٨٦٠

(158) ح، س، ظ، ي: رأيتم

وبالضرورة يعلم أن التلميذ ما يأتي إلى الشيخ إلا ليناجيه بأيّ لسان كان وإنما قلنا بأيّ لسان كان فإنّي ناجيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في واقعة بمجرّد النظر وفهمت عنه جميع ما أراد وفهم عنّي جميع ما أردت وما تحرك بيننا عضو لسان لا منه ولا منّي وقد بيّنّا ما قاله لي في مثل هذه النجوى في المبشّرات قال الشاعر

تَكلّمَ مَنّا في الوُجوهِ عُيونُنا * فَنَحنُ سُكوتٌ وَالهَوى يَتَكَلَّمُ

وقلنا في ذلك

وَالهَوى بَينَنا يَسوقُ حَديثًا * طَيِّبًا مُطرِبًا بِغَيرِ لِسانِ

وقال عليه السلام عن ربّه عزّ وجلّ «**أنه ضرب بيده بين كتفيه فوجد برد أنامله في صدره فعلم علم الأولين والآخرين**» فهذه مناجاة من غير حرف مسموع بأُذن ولا صوت فالمناجاة لها ألسنة كثيرة فإيّاك أن تنتظر من الشيخ مناجاة القول بعضو اللسان ولا بدّ فالنجوى لا بدّ منها [٢٠٨] بين يدي الشيخ والتلميذ فلا بدّ من الصدقة أن يقدّمها التلميذ بين يديه ومتى ما قال التلميذ للشيخ لِمَ فإنه لا يفلح ولا يجيء منه شيء أبدًا هذا أجمع عليه مشيخة أهل الله تعالى فلا [١٧] يعلّل على الشيخ ما يقول ولا يسأل عن علّة ما أمر به وكذلك الرسول لا يعلّل (159) عليه ما أمر به ولا يسأل عن العلّة وكذلك مناجاة الحقّ لا يعلّل عليه أمره ولا يسأل عن العلّة بل (160) يمتثل السامعُ الأمرَ من غير ترداد فإن علّل الحقّ أو مَن ذكرناه أمره وكلامه فذلك إليه وتحصل الفائدة لنا كما قال ﴿**وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ [البقرة ١٧٩] وإنما أمرنا بالصدقة لأن الأمر يشتقّ (161) على النفس.

وأفضل الصدقات ما تصدّق به المتصدّق على نفسه والصدقات متنوّعة منها الصدقة المعلومة في العُرف ومنها المعلومة بالشرع فإنه عمّ الصدقة العرفيّة وغير العرفيّة فقال عليه السلام «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ**» فجعل الذكر من صدقات الإنسان على نفسه فإرشاد الضالّ صدقة وإماطة الأذى من الطريق صدقة وجميع أفعال البرّ كلّها صدقة من

(159) ي: تعلّل
(160) ح: بان
(161) ح: يشقّ

العبد على نفسه أو غيره ومن تصدّق على غيره فقد تصدّق على نفسه وما كل صدقة تكون على نفسه يلزم تعدّيها إلى غيره فمنها ومنها فوسع الله في الصدقات بما أبان وقال ﴿**بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة ١٢] ولم يعيّن صدقة من صدقة ولما جمع وجب على [٢٠٩] السامع أن يتصدّق بأقلّ الجمع وهي ثلاث صدقات فصاعدًا من أيّ نوع كان من الصدقات المشروعة والله يجزي المتصدّقين.

ولو كانت الصدقة هذه المعروفة في العُرف لكان من لا [١٨] يجدها لا يكون له قدم في هذا الشهود فلما عمّ الشرع الصدقات بما بين لم يبق مفلس ولا غير مفلس إلا وهو قادر على صدقة فعمّ الخير والحمد الله.

هذا كله إذا كانت (الفاء) في مشيه على بابها وإن كانت عوضًا من (الباء) فتكون صدقته على الشيخ والصدقة تعظم بعظم المتصدّق عليه إما لعظم منزلته وإما لعظم منزلة الحال فمنزل الحال كمن يتصدّق بشربة ماء على من لو لم يشربها لمات فيكون في ذلك محيي نفسًا ﴿**ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا**﴾[المائده ٢٣] فهذا ما أعطاه الحال.

ومعلوم أن المريد إذا صدق في التوجّه إلى الشيخ فإن الشيخ يعطيه الله في قلبه ما يكون به ارتقاء ذلك المريد وقد يكون الشيخ قبل ذلك لا علم له به وإنما فُتح عليه بصدق هذا المريد القاصد فيكون المريد قد تصدّق بمشيه على الشيخ من حيث لا يشعر ولا يقصد فلما أن تحصّل للشيخ بقصد هذا المريد إليه علم ما لم يكن عنده معلومًا قبل ذلك وأما الحضور مع علم قد كان يعلمه قبل ذلك ولكن لا بدّ من زيادة وهو أن الشيخ يعلم [٢١٠] في الوقت ما لم يكن عنده به علم وهو علمه بحال هذا المريد في هذا الوقت ومناسبته للعلم الذي يفيده الشيخ هذا لا بدّ منه فلا بدّ أن يكون مشي المريد للشيخ صدقة من المريد على الشيخ من حيث لا يشعر المريد وقد ذقنا هذا من نفوسنا وسمعنا من مشيختنا ذلك فقالوا قد يُفتح على الشيخ [١٩] بعناية قصد المريد وصدقه في الشيخ في علم يكون فوق مرتبة الشيخ لحال المريد لا لحال الشيخ فيستفيد الشيخ من ربه بقصد

هذا المريد ما لم تبلغه همة الشيخ ولا مقامه ولا أعطاه فقد رأينا من المريدين من تكون له همّة في الطلب فوق ما تقتضيه مرتبة شيخ ما من الشيوخ وقد جزم المريد على أنه لا يحصل له ذلك إلا من هذا الشيخ فيعطي الله تعالى لهذا الشيخ من الاستعداد في الحال ما يقبل به التجلّي الإلهي المعطي هذه المسألة التي تعلّقت بها همّة ذلك المريد لعلوّه.

فإن الشيخوخة في هذا الطريق ما هي أرفع المقامات والأحوال وإنما هي بمنزلة علم الطبيب من علم الطبيعة وهي علم خاصّ يصلح بالتربية لأنه كالطبيب للعليل والداية للتربية لا غير ذلك وقد يكون للشيخ مرتبة على (162) ما هي له بما هو (163) شيخ مربٍّ وإنما هو [٢١١] (164) بحسب ما تقتضيه عناية الله به فمن عَلِم مرتبة الشيوخ أنزلهم منزلتهم ولا يتعدّى بهم ما لا تعطيه مرتبة الشيخوخة والشيخ في عموم أحواله مشغول بربّه ولا يحضر مع ما يصلح بالتلامذة إلا في وقت حضورهم عنده وتعلّق هممهم به أو في وقت استحضار الشيخ إياهم في باطنه لا غير والشيخ أيضًا مثل المريد طالب من الحقّ ما ليس عنده كما أمر الله تعالى نبيه عليه السلام فقال له ﴿**قُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه ١١٤] فإن الأمر لا يقف عند غاية وليس وراء الله مرمى فالسفر فيه [٢٠] بالهمم والعقول إلى غير نهاية وهو أعلى السفر وأما دونه فالسفر إليه فاعلم ذلك.

وإن كان هذا الوجه يسوغ أعني التصدق بالمشي على الشيخ فهو يعطيه الحال وينبغي أن لا يكون (165) مقصودًا للتلميذ وإن كان مقصودًا للتلميذ ويرى أنه يتصدّق على الشيخ بمشيه إليه فإن ذلك المريد لا يُفلح فإنه لم يقصد إلا فقيرًا وينبغي أن لا يقصد إلا غنيًا عنده ما يتصدّق (166) به عليه ولا يبالي غلط في ذلك في حقّ هذا الشيخ أو لم يغلط بل يوفي المقام حقّه ويعطي المرتبة حقّها فإنه على الحقيقة ما يقصد إلا الله لكن تجلّى له في صورة هذا المقصود

(162) ي: -
(163) ي: هي
(164) ي: هي
(165) ي: تكون
(166) ح: يتصدّق

ولذلك قال الله (167) تعالى [٢١٢] ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء ٨٠] فهو تجلّى (168) في صورة الرسول ومن يطع أُولي الأمر منّا فقد أطاع الله لأن الذي أمر بطاعة الله هو الذي أمر بطاعة الرسول وأُولي الأمر فعطف بالواو من غير أمر بالطاعة لكون أُولي الأمر من جنس الرسول ولم يفعل ذلك في طاعة الرسول بل قرن مع الواو لفظة (169) الطاعة ليفرق بين من تقع معه المناسبة وبين من لا تقع معه المناسبة لأنه ليس كمثله شيء فقال ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ فاستأنف الطاعة ثم قال ﴿**وَأُوْلِي الأَمْرِ**﴾ [النساء ٥٩] فتعرف ما بقي من المناسب كما تعلم ما أبقى من التناسب بالتجلّي في قوله ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [الأنفال ١] ولم يستأنف ﴿**ومَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء ٨٠] بالوجهين من حيث أن الرسول مجلى [٢١٠] الأمر ومن حيث أن الله أمر بطاعة الرسول صلّى الله عليه وسلّم فمن أطاعه فقد أطاع الله ﴿**ومن تولى**﴾ [النساء ٨٠] يقول (170) ومَن (171) لم يطع ﴿**فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ [النساء ٨٠] ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصيْطِرٍ**﴾ (172) [الغاشية ٢٢] ﴿**ما عَلَيْكَ إِلاَّ البَلاغُ**﴾ [الشورى ٤٨] «**وقد بلغت فخلي ما بيني وبين عبادي أمضي فيهم مشيئتي**».

ثم قال **ويمشي وعليه الذلّة** (173) **والمسكنة والانكسار شرح** لأن الرسول (174) صلّى الله عليه وسلّم أمرنا أن نأتي الجمعة بهذه الصفة وهذا الإتيان إتيان من يطلب مناجاة [٢١٣] ربّه في مقام الجمع أعني جمع الأسماء الإلهيّة بإمام واحد في المصر وهو أن لا يشرك بعبادة

---

(167) ح: -
(168) ي: تجل
(169) ح: لفظ
(170) ي: يعول
(171) ج، س، ب؛ ح، ي، ظ: و
(172) ح: بِمُسَيْطِرٍ
(173) ح: الذل
(174) ح: رسول الله

ربّه أحدًا وقد ورد «**أن المصلّي يناجي ربّه**» فينبغي أنه (175) لا يناجي غيره معه في صلاته.

كذلك من يأتى (176) إلى شيخه وإنه (177) نائب الله في حقّ هذا المريد فلا بدّ أن يكون على هذه الصفة في الإتيان إليه ولا يناجي في سرّه غيره وأن الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده وما أدخل في هذه الحالة ثالثًا يوتر هذه الشفعيّة.

قيل لقضيب البان بالله صَلّ معنا فقال نعم فمشى مع السائل إلى صلاة الجمعة فلما أحرم الإمام وأراد أن يركع في الركعة الأولى ترك الصلاة قضيب البان وانصرف فلما أكمل السائل صلاته مع الإمام أدرك قضيب البان فقال له يا أخي أفرحتني اليوم بصلاتك معنا ثم أحزنتني بتركك الصلاة وخروجك قال لم أر خلف من أصلّي فإن الإمام رأيته قد ترك الصلاة وراح من محرابه [٢٢] إلى باب كنده يشتري بطيخًا فلم أره في المحراب فلم أجد خلف من أصلّي فخرجت فرجع السائل إلى الخطيب وقال له ما خطر لك في الركعة الأولى من صلاة الجمعة فقال الإمام خطر لي أن أخرج إلى باب كنده أشتري بطيخًا فما أردت بذلك قال قضيب البان أخبرني [٢١٤] بذلك.

فأولياء الله مع ما يكشف لهم لأنهم جواسيس القلوب فما فعل قضيب البان إلا عين الشرع فإنه ما أشهده الحقّ إلا انصراف الإمام وتركه الصلاة والمحراب فما رأى في المحراب أحد يصلّي خلفه ومن كان في مناجاة ربّه فلا يناجيه إلا بذلّة ومسكنة وانكسار فإنه تعالى العزيز فلا يدخل عليه ذو العزّة بعزّته بل بذلّة والشيخ نائب الحقّ في الحكم في التلميذ فالتلميذ قاصد الدخول على الشيخ فلا بدّ أن يصحب هذه الحالة لأنه سائل فقير محتاج والسائل ذليل ولا بدّ منكسر القلب لحاجته يقول الله عزّ وجلّ «**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي**».

وما يأتي التلميذ الشيخ إلا من أجل الله لا لعين الشيخ فلذلك وصاه بهذه الصفة فإنه إذا جاء المريد الشيخ (178) محبّة لله خلع الله عليه

(175) ي: أن
(176) ي: أتى
(177) ي: فإنه
(178) ح: للشيخ

بَدَل الذلّ خِلعة العزّة وهو قوله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون ٨] لأنهم ما كُشف لهم عن لباس المؤمن ثوب العزّة الإلهيّة فيخرج من عند الشيخ بهذه الخلعة ويخلع عليه عوض الانكسار خلعة الجبر بالإقبال عليه ويخلع عليه بدل [٢٣] المسكنة خلعة التصرّف في العالم وعلى قدر ما [٢١٥] يحضر به في ملابسة ممّا جاء به يخلع عليه في مقابلة كل ثوب من ذلك ثوب يقابله فما ذكر هذا الشيخ إلا ثلاثة أثواب يدخل بها عليه فيخرج بثلاثة خلع خلعة العزّة والجبر والتصرّف فعلامة من جاء إلى الشيخ بهذه الأحوال أن يكشف هذه الخلع التي خلع الله عليه على يدي الشيخ.

ومتى لم يشعر المريد بما زاد في وصوله إلى الشيخ وحضوره عنده فليس بصادق في الإتيان ويتهم نفسه ويتوب ويستغفر ويعلم أنه ما أتى عليه إلا من نفسه ولا يظلم ربّك أحدًا فإنه ما حكم عليك الحاكم إلا بما أنت عليه في مسألتك فإما لك وإما عليك فالحاكم بحكمك (179) في كل حال وبهذه المثابة هو الحقّ مع عباده ولذلك كانت لله الحجّة البالغة والحكّام نواب الحقّ فلهم الحجّة البالغة على المحكوم عليه إذا حكم بالحقّ ومن جار وقسط فليس بنائب عن الله في أحكامه وإنما هو صاحب غرض فليراقب (180) المريد الصادق أحواله في حركاته مع شيخه وليكن شاهده على صدق حاله ما ينتج حالته فإن خرج بما به [٢١٦] دخل فقد خسر وقته وما دخل ولا جاء فهو عابد هواه ولذلك قالت المشيخة فيمن يقصدها إنما يخرج بما به جاء فإن جاء بربّه خرج به وإن جاء بنفسه خرج بها يقول فإن كانت حالته تعطي أن يقع (181) عليه خلع الحقّ خلع عليه وإن لم يعط ذلك دخل صاحب نفس وخرج بمثل ذلك وكل من دخل [٢٤] على الشيخ أو أتى إليه ولا يجعل في نفسه أن ذلك الدخول على الله وذلك الإتيان إلى الله فما دخل ولا أتى.

---

(179) ح: يحكّمك

(180) ح: فليرقب

(181) ح: يخلع

كذلك الداخل على الملوك ينبغي أن يدخل عليهم بحكم المرتبة التي هم عليها التي بها سموا ملوكًا فيوفي حق الأدب في الدخول فينتفع بالدخول عليهم ومتى دخل عليهم بأنهم مثله في الإنسانية ولا يشاهد الرُتبة لم يحصل له من الرتبة عطاءً البتة وأساء الأدب وخرج طريدًا ظاهرًا إن أساء في الظاهر وباطنًا إن أساء في الباطن وذلك هو الخاسر ولا شكّ أن هذا الشيخ قد دلّ في وصيّته هذه على أن يكون مشهود الإنسان عبوديّته لا غير ذلك فإن فيها جماع الخير وملاك الأمر لأن العبد هو [٢١٧] الذليل.

ثم قال **وأن يكون مشيه في المتواطي من الطريق** شرح هذا الشيخ خاف على المريد من الغفلة فأراد بقصده المتواطي من الطريق ليسهل عليه الأمر بمشاهدته الطريق التي يسلك فيها بخلاف الوعر والحزن من الطريق يشغلك عن المقصود بما يحمله من المشقة فإن الله تعالى ما جعل ذلولاً إلا الأرض وهذا الاسم من رَاضَ يَرُوضُ أي ذلّل نفسه ومعلوم قطعًا أن الشخص لا يذلّ نفسه إلا في مقابلة عن عزّة وليس لهذا الشخص مقصد في الشيخ إلا الله العزيز فلا بدّ أن يذلّ نفسه لهذا الشهود فكأنه أمره بمراقبة حاله في الإتيان إلى الشيخ ويكون المتواطي من الطريق إذا كان مقصود المريد يحفظ عليه حال الذلّة التي أتى بها ويسهل عليه مطلوبه ولقد كنت بمكّة عشية يوم مع موسى بن محمّد القبّاب وكان صاحب حضور ونحن [٢٥] بمسجد أبي بكر منها وكان في أرض متواطية وإلى جنبها سُدُّ جبل حزن وعر فيه صخور محدّدة وكان بذلك الموضع الوعر دار عمر بن الخطّاب فقال لي موسى بن محمّد [٢١٨] يا سيدنا انظر إلى هذا الأمر ما أعجبه فقلت ما هو فقال مسجد كل واحد من هذين الشخصين في موضع مناسب بخُلُقه هذا دار أبي بكر في موضع سهل متواطي وكذا كانت خلقه وكان في خلق عمر حزونة فاتخذ دارا في موضع وعر حزن فتعجّبت من تنبّهه وحسن مراقبته.

فلهذا أمر الشيخ أن يمشي في المتواطي من الطريق لأجل أنه منبه للمراقب أحواله وهو أسرع وأسهل لقضاء الحاجة ألا ترى مشي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كأنه ينحطّ في صبب سريع الخُطا

وقال في ذلك أن تلك الحالة في المشي أنفى للكِبر وأسرع لقضاء الحاجة فإن الشخص ما يمشي إلا في حاجة ولا بدّ.

ثم قال **وأن يكون في نفسه أنه دون كل من يلتقيه في طريقه إلى الشيخ كذلك في كل أحواله شرح** إنما دلّه الشيخ في وصيّته على هذه الصفة لأنه طالب حكمة فحيث ما وجدها قيّدها نطق بها مَن نطق فينظرها هذا المريد من حيث أن الله تعالى نطق هذا الشخص بما له فيه عناية بلا شكّ على قدر [٢١٩] منزلة تلك الحكمة التي نطق بها وإن لم يعرف الناطق قدر ما نطق به لكن المنطق علم قدر ما أنطقه به والسامع لا يرى إلا المُنطِق ولا شكّ أنه دون (182) المنطق فهو [٢٦] دون كل مَن ظهرت منه تلك الحكمة عند نطقه بها فإنه مجلى إلهي من حيث لا يشعر فإن جانب الطور الأيمن لم يكن عنده خبر بأن الله تعالى يكلّم عبده موسى منه ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾ [مريم ٥٢] وكذلك الشجرة ما عندها علم بأن الله [تعالى] (183) يكلّم عبده موسى منها

فدلّه هذا الشيخ في وصيّته إيّاه بهذا على مقام جليل ومنزلة رفيعة وإن كان فيها شهود الغير لأنه لا بدّ أن يشهد الغير ولو لم يكن إلا بقصده (184) الطريق الذي يوديه السلوك عليه إلى دار الشيخ فإذ ولا بدّ من شهود الأغيار فليجعل في نفسه أنها أوعية لما يلقي الحقّ فيها فيستفيد في طريقه إذا كان بهذه المثابة علومًا كثيرة قبل وصوله إلى الشيخ فإن المريد ما يقصد الشيخ إلا ليستفيد منه ويعلم أنه دون شيخه ولذلك يقصده فإذا صحبته هذه الصفة في طريقه وفي أحواله مع كل من يلتقيه كان كل من يلقاه في حقّه شيخًا ألا ترى أبا يوسف الهمداني كيف قال لذلك المريد الذي طلبه بخاطره [٢٢٠] ليشرح له واقعته فقال له يا ولدي إذا خطر لك ما يشكل عليك فلا تتعبني واسأل عن بيتي حتى أشرح لك واقعتك فقال له المريد يا أبا يوسف إذا وقعت لي واقعة رفعت كل حجر فوجدت عنده أبا يوسف مثلك

(182) ح: ذوق
(183) ي: -
(184) ي: بقصدة

يشير إلى ما قاله هذا الشيخ في وصيّته قال أبو يوسف فعلمت أن المريد الصادق يحرّك [٢٧] الشيخ بهمّته فتبت إلى الله وانصرفت.

وكل مستفيد وطالب فائدة فإنه بالضرورة في نفسه دون من يرجو حصول تلك الفائدة منه والمريد طالب حكمة أبدًا من كل شيء وفي كل شيء فلا بدّ أن يكون في نفسه بهذه المثابة حتى أنه يكون مع نفسه بهذه الصورة فيستفيد من نفسه لمراقبته ما يُجري الله عليه في حركاته وسكناته وأعضائه من الحكم فيفيد بعضُه بعضَه كما قال بن زهر (185) في نظمه

وبكى بعضي على بعضي معي * فجَعْل بعضِه يساعد بعضَه

تنبيه على ما أشرنا إليه من أن الإنسان يفيد نفسه إذا كان طالب حكمة فهو في جميع أحواله لا يبرح يستفيد (186) فإنه لا يبرح في مراقبته وهذه حالة السماع من الله تعالى في كل شيء ومن كل شيء إلا إن هذا المريد يزيد على صاحب السماع من الله تعالى أنه سمع من نفسه ما يفيده (187) [٢٢١] من حيث أنه مجلى إلهي مُنطّق أو مُحَرّك من الله فهو أتمّ بهذه الحالة من السامع من الله عزّ وجلّ.

ثم قال **فإذا قَرُب من منزل شيخه فإن كان هناك مسجد دخل فيه وصلّى وسأل الله تعالى أن يُعطف عليه قلب شيخه** شرح أما إن كان قصده ومشيه إلى بيت الشيخ عن توجيه الشيخ إليه بالمجيء فلا خلاف بين القوم أنه لا يصلّي ولا يفعل شيئا سوى المجيء إلى الشيخ وأصلهم في ذلك القصّة التي نزلت فيها الاية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا** [٢٨] **دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال ٢٤] ومعلوم عندنا أن الشيخ لا يطلب المريد بالوصول إليه لنفسه بل لمنفعة المريد ولو كانت الحاجة للشيخ فإنه ما اختصّ هذا المريد بالمشي فيها وقضائها على يديه إلا لمنفعة إلهيّة تعود عليه في ذلك يُحيي بها قلبه ويكون فيها قربه إلى الله فإن الرجل الذي نزلت فيه هذه الآية كان يصلّي فدعاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فمنعتْه صلاتُه من إجابته فنزلت الآية.

(185) ي: زهير
(186) ح: ليستفيد
(187) ح: تفيده

ومن هذا الباب مسألة العابد دعته أمّه وهو في صلاته فقال اللهم أمّي وصلاتي ثم أقبل على صلاته وترك إجابة أمّه فدعته مرّة ثانية فقال اللهم أمّي وصلاتي [٢٢٢] فأقبل على صلاته وترك إجابة أمّه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات يعني الزواني وابتلاه الله بإمرأة بغيّ ادعت عليه أنها حاملة (188) منه فهدم الناس صومعته وضربوه فقال لا تفعلوا هاتوا المرأة والصبي الذي ولدته فجاءوا بالطفل وأمّه المومسة فقالت أمام الملك هذا الولد من هذا العابد فقال العابد للطفل من أبوك فقال الراعي فاعتذر الناس إليه وبنوا صومعته كما كانت فنفدت (189) فيه دعوة أمّه.

ولا شكّ أن الشيخ أعظم حرمة من والدته فإنه لدينه ووارث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في إرشاده ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول «**لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ** (190) **وولده وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

وأما إن كان [٢٩] إتيانه إلى الشيخ من نفسه من غير استدعاء فحينئذ يفعل هذا الذي ذكره الشيخ من دخول المسجد والصلاة فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين واعتبر هذا القدر هذا الشيخ في وصيّته بالصلاة إن كان في طريق المريد مسجد.

وأما وصيّته بأن يسأل الله (191) [٢٢٣] أن يعطف عليه قلب شيخه فإن أكثر أوقات الشيخ شغله بربّه فقد يجده في شغل عنه فإذا جاء إليه المريد وقد سأل الله تعالى مثل هذا السؤال ووجد الشيخ في شغل مع ربّه في خلوته ما يبعد أن يجيب الله دعاءه فيقول الحقّ للشيخ في سرّه هذا فلان قد وصل فاقض مطلوبه فيما جاء فيه إليك ولقد دخلت على أعظم شيخ لقيته يقال له صالح العدوي فسلّمت عليه وهو في مرضه فردّ السلام بين شفتيه حتى قلت أنه ربّما ردّ أو لم يردّ السلام وشككت فيه كما كان يشكّ أحد الثلاثة الذين ذكرهم الله في

(188) ح: حامل
(189) ح: فنفذت
(190) ح: -
(191) ح: -

القرآن لما أعرض عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكان إذا دخل المسجد وسلّم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يشكّ هذا الصاحب في ردّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليه السلام (192) لخفائه فكدت أذوب في موضعي خوفًا من مقت الله عزّ وجلّ وبقيت أرعد والشيخ مُقطّب الوجه غير ناظر إليّ ضارب ببصره إلى الأرض فأعدت عليه السلام عالي الصوت فرفع بصره إليّ وتبسّم في وجهي وردّ عليّ السلام ورحب بي وانبسط فقلت له يا سيّدي قتلني والله إعراضُك عني فقال كان عندي فلان [٣٠][٢٢٤] قبل دخولك وهو ممقوت فعَنْه (193) كنت معرضًا وقام وانصرف وما عندي خبر بإنصرافه لشدّة إعراضي عنه وجئت أنت وما علمتُ بمجيئك وتخيّلت في سلامك الأول أنك ذلك الشخص وأما أنا يا ولدي فوالله إني لأحبّك الحبّ الشديد وفي تلك الليلة مات الشيخ (194) فنظرت في حال ذلك المريد فلم يزل في إدبار في دينه إلى أن خرج عن دينه بالكليّة وأباح المحرّمات عقدًا.

فلهذا كان سؤال هذا المريد أن يعطف الله عليه قلب هذا الشيخ ولم يقل بوجهه فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم أقبل بوجهه وبشّ في وجه مَن قال فيه حين رآه قبل وصوله إليه «**بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**» فما بشّ في وجهه إلا إتّقاء شرّه كذا ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلهذا قيّد هذا الشيخ سؤال هذا المريد بعطف قلب الشيخ عليه فإن القلب بيت الحقّ الذي وسعه فإذا انعطف عليه قلب الشيخ عطف عليه الحقّ بما هو معروف لذلك الشيخ فإن قدْر الحقّ في كل قلب على قدْر المعرفة به.

وقد علمتم حكاية أبي يزيد في ذلك في حقّ مريد قال له بعض أصحابه لم لا تمشي إلى بيت أبي يزيد فتراه فقال المريد رأيت الله [٢٢٥] وأغناني عن أبي يزيد فقال له الرجل لأنْ ترى أبا يزيد مرّة خير لك من أن ترى الله ألف مرّة يشير إلى ما ذكرناه من أن الحقّ في معرفة أبي يزيد أتمّ

(192) ي: -

(193) ح: فمنه

(194) ح: الشخص؛ ي: الشخص، و في الهامش: الشيخ

منه في معرفة هذا المريد به فأراد المريد وكان صادقًا [٣١] أن يرى صدْق هذا القائل.

فاتفق أن أبا يزيد مر فقال له الرجل هذا أبو يزيد فنظر إليه ذلك المريد فمات من ساعته فقيل لأبي يزيد عنه فقال ما قلناه كان الحقّ عنده على قدْره وقدْرنا أعظم من قدْره فمعرفتنا بالله أعظم من معرفته به فلما رآني كشف الله عن بصيرته فرأى الحقّ على قدرنا لا على قدْره فلم يُطِقْ فمات وكذلك جرى لموسى عليه السلام لما صُعِق حين تدكدك الجبل من عظمة التجلّي وكان اندكاكه عن الله فإن الله ما تجلّى للجبل إلا على قدْر علم الجبل به فكان يثبت فلذلك قال ﴿**جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ [الأعراف ١٤٣] ولم يقل فلما تجلّى (195) ربّه للجبل اندك الجبل من نفسه وإنما كان اندكاكه بالجعل وهو كان حجاب موسى فلما زال رأى موسى ما رأى الجبل فصعق من نفسه لرؤيته ولم يطق مع علمنا بأنه ذو معرفة بربّه في قلبه فلو تجلّى له على قدْر علمه به لما صعق وكذلك مذهبنا ومذهب سهل وأهل الحقائق في الجمادات أنها أعظم علمًا بالله [٢٢٦] وأنها مفطورة على العلم بالله بخلاف الإنسان من حيث مجموعه الذي به سمّي إنسانًا.

فإن قلت ظاهر الآية يعطي أن موسى ما رأى ربّه لأن الشرط في رؤيته ما وقع قلنا إنما نفى بالشرط ما خلّصه من استئناف الرؤية فما استأنف الرؤية بل رآه في الحال لمن فهم الآية الواردة في ذلك والصعق يبيّن ما أشرنا إليه فإن اندكاك الجبل لا يُصْعِق موسى ولا غيره وإنما كان حجابه الجبل بنظره إليه عن أمر الله [٣٢] له بذلك فأزاله الله رفعًا بحجابه فرأى موسى ما رأى الجبل في الحال كما رأى ذلك المريد ما يراه أبو يزيد من علمه بالله وهذه المسألة التي نبّه عليها هذا الشيخ في وصيّته تتفرّع وتتشعّب وتُنبيء (196) عن معرفة تامّة في روحانيّة دمشق فاقتصرنا على هذا القدْر من التنبيه لمن عقل عنّا ما أردناه.

(195) ي: تجلّ

(196) ح: وتُبنيء

ثم قال **ثم إذا فرغ من الصلاة يأتي باب الشيخ ويقف بالبعد من الباب تأدّبًا بين يديه شرح** إنما أمره بالوقوف على البعد من باب الشيخ لئلا ينفتح باب الشيخ فربّما يخرج الشيخ في حالة لا يطيقها المريد فيجري عليه ما جرى على المريد الذي رأى أبا يزيد على غفلة فإذا كان بالبعد كان أثبت له وإن كان نور الشيخ عند المريد صاحب الكشف لا تحكم عليه [٢٢٧] المسافات ببعدها ولا قربها فإن زمان لمع البرق عين زمان إنصباغ الهواء به عين زمان ظهور الأشياء (197) به عين زمان نظر الناظر إليها (198) ليس بين ذلك زمان بل الزمان واحد في الجميع مع علمنا أن لمع البرق يتقدّم على صبغ الهواء به وصبغ الهواء به يتقدّم على ظهور الأشياء (199) به وظهور الأشياء (200) به يتقدّم على إدراك البصر من الناظر إيّاها (201) ومعلوم أن الزمان واحد في ذلك كله فمثل هذا هو تقدّم المراتب كتقدّم العلّة على معلولها مع مساوقته لها في الوجود ولكن لا بدّ أن يكون للبعد أثر لا يكون للقرب وإنما أمَرَه بهذا البعد على جهة الأدب عسى الله أن يكشف للشيخ إتيانه فيخرج الإذن من الشيخ [٣٣] مع بعض أصحابه بأمره (202) بالدخول عليه فيكون قد ترك من طريقه قدر ما يقطعه إلى الشيخ بطريق الوجوب لما أمره الشيخ فيلقاه مؤدّيًا واجبًا فإن رؤية الله ورؤية الرسول ورؤية الشيخ الذي هو من أُولي الأمر في حقّ هذا المريد من طريق الوجوب وأداء الفرائض أتمّ من رؤيته من حيث النوافل والتطوعات فلأجل هذا الطمع أمره بالوقوف على البعد أيضًا.

وقوله **تأدّبًا** مع الشيخ لأنه إذا [٢٢٨] لم يكن بمنزلة الشيخ فقد فارقه فسواء عليه البعد الكثير أوالقليل فيتأدّب بالوقوف على البعد من باب الشيخ بين يدي الشيخ الذي في استحضار خاطره ينبهه إن كان غافلاً أن المريد ينبغي له مراقبة الشيخ في جميع أحواله فلهذا قال

(197) ح: الأسماء؛ ي: الأسماء، و في الهامش: الأشياء
(198) ي: إليه
(199) ح: الأسماء؛ ي: الأسماء، و في الهامش: الأشياء
(200) ح: الأسماء؛ ي: الأسماء، و في الهامش: الأشياء
(201) ي: إياه
(202) ح: يأمره

تأدّبًا بين يديه وإن كان في ذلك الوقت بالظاهر ليس بين يديه ومن حيث هو مشاهد له كأنه يراه هو بين يديه وقد ورد في الخبر الصحيح ما يشيّد ذلك وهو قوله «**اعبد الله كأنك تراه**» فأمره بالتأدّب في استحضاره في خاطره كتأدّبه في حضوره فإنه يراك إن لم تكن أنت تراه يعني ظاهر الرؤيه فإنه بالباطن يراه بلا شكّ فأمره أن يتأدّب مع صورة الشيخ الذي في باطنه وأن يكون باب الشيخ له كالمرآة يتجلّى فيها صورة الشيخ الذي في قلبه فإنه لا يعرف المريد في رؤية الشيخ إذا رآه بعين بصره هل يراه بالصورة التي كانت مقرّرة في باطنه أو تتنوّع عليه الصورة بأكمل ممّا كانت عنده هذا في كل رؤية وإن كان (203) الأمر كذا هو في نفسه ما تجلّى الله قطّ في صورة [٣٤] واحدة لشخص مرّتين وكذلك هي الأشياء وما بقي إلا أن يكون لك بما تدرك ذلك فإن الله في الأشياء في كل نفس في خلق جديد عَلِم ذلك من علمه وجهله من جهله وإنما الأمثال [٢٢٩] حجب على البصائر والأبصار إلا لمن ليس في لبس من خلق جديد فلكل رؤية في الأشياء والصورة صورة ما هي لغير تلك الرؤية.

فمن الرائين من يشهد ذلك وهو المتقي الذي جعل الله له بتقواه فرقانًا ومنهم من لا يشهد ذلك وهو غير المتّقي وبهذا الميزان يزن الإنسان حاله في التقوى فيعلم هل هو متّقي أو غير متّقي فإن الله تعالى قد شرط ذلك فقال ﴿**إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**﴾ [الأنفال ٢٩] وأتى بالفرقان نكرة فعمّ فإن النكرة تعمّ لا سيّما في مثل هذا الموضع فمن لم يعرف الفرقان فلا يدعي التقوى فإن الله صادق الوعد.

وأما قوله **تأدّبًا بين يديه** فالأدب هو جماع الخير فيحضر ذلك كله بين يديه فإنه مشتقّ من المَأدُبَة وهو الاجتماع على الطعام فكأنه يقول له حسّن ظنّك بشيخك في كل خير فإن الله عزّ وجلّ يقول «**أنا عند ظنّ عبدي بي فليظن بي خيرًا**» وكذلك الشيخ المحقّق هو عند ظنّ المريد به وبذلك أمره الله تعالى أن يكون فانظر غَوْص هذه الوصيّة فإن كانت عن كشف ومعرفة فبخّ على بخّ وإن كان مُنطّقًا بها

(203) ح: -

ولا يقصد ما شرحناه فحَسَن ولله به عناية حيث نطّقه بمثل هذا في حقّ هذا (204) المريد [٢٣٠] والله أعلم كيف هو.

ثم قال **ويقصد جهده أن يدفع عن نفسه الخيالات الرديئة شرح** [٣٥] يعني في حقّ شيخه حتى لا يتجرّح عنده فيُحرم المنفعة به فإن الشيطان لا يزال يُلقي إلى نفس المريد في شيخه ما يكرّهه إليه ولهذا بعض المريدين المحرومين يَعْتَرِضون على شيوخهم بما يرونه من حركاتهم ولاسيّما إن كان لظاهر الشريعة التي هم عليها فقهاء الزمان على تلك الحركة حكم مقرّر عندهم ولاسيّما عند أصحاب المذاهب الأربع وما علم أن الشيخ من المحال أن يحلّل ما حرّم الله أو يحرّم ما أحلّ الله أو يحكم بما لم يحكم الله به فيما يفتي فيه أو يدلّ عليه مريده أو يفعله الشيخ على طريق الحِلّ وهو محرم في حكم الله تعالى على لسان النبي محمّد الواصل إلينا بشرع الله فإنهم رضي الله عنهم قد يصحّ عندهم من طريق الكشف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مشافهة منه إليهم أو إلهامًا من الله عزّ وجلّ وإلقاءً في قلوبهم على الطريقة المعهودة التي لأولياء الله مع الله في تلقّياتهم أن حكم الرسول عن الله في ذلك الأمر هو كذا لا ما حكمَتْ (205) به المذاهب الأربع أو مذهب ما وإن كان الله قد قرّر ذلك الحكم بالنظر إلى ذلك المجتهد ومن قلّده وقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسألته في المطلّقة بالثلاث في المجلس الواحد كيف حكمه عندك يا رسول الله فقال هي ثلاث كما قال ﴿**لاَ تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ**﴾ [البقرة ٢٣٠] فقلت له فإن جماعة من أهل الظاهر حكموا بها واحدة فقال هاؤلائك حكموا بما وصل إليهم وأصابوا وحكمي أنا في [٣٦] المسألة ما (206) ذكرته لك في رؤيا طويلة فمن ذلك الوقت صرت أقول بهذا الحكم عن [٢٣١] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ولا يلزم الشيخ مع هذا الكشف تقليد إمام في اجتهاده كما لا يلزم المجتهد تقليد مجتهد آخر في مسألة مع اجتهاده ولا يحلّ لمجتهد أن يحكم في نازلة باجتهاده على طريق فرض الوقوع حتى تنزل (207)

(204) ح: -
(205) ح: حكمَتْه
(206) ي: بما
(207) ي: ينزل

فإذا نزلت تعيّن الحكم منه فيها بما يؤدّيه إليه اجتهاده فإن نزلت مرّة ثانية ويُسأل فيها استأنف الاجتهاد أيضًا في الحكم فإن وافق الحكم (208) الأول كان وأفتى به عن هذا الاجتهاد وإن لم يوافق وحَكَم بأمر آخر في تلك النازلة حَرُم عليه أن يحكم فيها إلا بما ظهر له الآن مع صحّة الأول في وقته لا في هذا الوقت ولذلك كان يقول مالكُ بن أنس إذا سُئل في مسألة نَزَلَتْ فإن قيل له نعم نظر وأفتى وإن قيل له لم تَنْزِلْ ولكن فرضنا نزولها فكان لا يفتي فيها بشيء إلا أن تنزل فانظر الي (209) تحرير هذا الإمام رضي الله عنه.

فمتى رأيت المريدَ يزن الشيخَ وحركاته بميزان الشرع المقرّر عنده من اجتهاده أو من تقليده لإمام فتعلم أن المريد في إدبار لا يفلح أبدًا فلذلك قال هذا الشيخ في وصيّته هذه المقالة في الخواطر الردية هذا في تحليل محرّم أو تحريم محلّل.

وإما أن يعص الشيخ فذلك لا يمكن أن يُقطع به في حقّ أحد لا شيخ ولا غيره فإن أبا يزيد قيل له أيعْصِ العارفُ قال ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً**﴾ [الأحزاب ٣٨] [٢٣٢] فينبغي للمريد أن لا يصحب شيخًا على طريق العصمة وإنما [٣٧] يصحبه على طريق العلم بطريق الله ولينظر في أقواله وفُتياه لا في أفعاله ولذلك قال الله تعالى ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**﴾ [النحل ٤٣] وما أمرنا أن نتأسّى بأفعالهم لعدم فرض العصمة فيهم وقال في حقّ الأنبياء كما عصمهم الله تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الممتحنة ٦] وقال تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب ٢١] فإنّا نتّبع الرسولَ من قوله في جميع أفعاله إلا ما نصّه علينا من أفعاله التي تختصّ به ولا يجوز لنا فعلُها وقد بيّن ذلك فإنه نزل ليبيّن للناس ما نزل إليهم مثل نكاح الهبة خالصًا له من دون المؤمنين فليس لغيره نكاح الهبة ولو كان هذا الحكم في غير القرآن أو السنّة المتواترة وكان يكون في خبر الواحد الصحيح بغلبة الظنّ ثم رأينا شيخنا يفعله جاز عندنا أن يكون الخبر

(208) ي: -

(209) ح: -

واهيًا في نفس الأمر وإن كان صحيحًا بالنقل من طريق حسن الظنّ بالرواة.

فاعلم أن هذا من أعظم الأدوية لهذه العلّة التي تطرأ على المريد من الشيطان ولا شكّ أن النفس الخبيثة تقبل على الفور مثل هذا الإلقاء بما تراه من حكم الشيخ عليها وهي بالطبع لا تريد أن تكون محكومة لأحد فإذا أخطر لها إبليس في الشيخ خاطرًا رديئا قبلته من خُبْثِها إلا أن يوفقها الله ولقد خدم صادقٌ شيخًا فرآه قد زنا بإمرأة وعلم الشيخ أن المريد قد رآه ثم رأى المريد يبالغ في خدمته كما كان وما تغيّر عليه من حاله شيء فقال له الشيخ يا فلان أنت قد رأيتني [٢٣٣] قد وقع منّي ما وقع وثبتَّ [٣٨] علي طريقك في خدمتي فقال يا سيّدي ما صحبتك علي (210) أنك معصوم عن المعاصي وإنما صحبتك أنك عالم بطريق الله الذي فيه رشدي وأنت مع نفسك بحسب ما قدّر الله عليك فقال الشيخ مثلك من يدعي أنه خديم.

وقد جرى لنا مثل هذا مع بعض شيوخنا وكنّا معه مثل هذا المريد ووالله ما تغيّر لي باطن ولا قلب على شيخ من أجل حركته وسكونه وإنّي ما صحبته إلا أنه ينصحني فيما يُلقى إليّ وأن أقتدي بكلامه لا بفعله وكل مريد خرج عن هذه القضيّة فإنه لا يجيء منه رجل أبدًا ثم لتعلم أن لله عبادًا قد قيل لهم افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فما يدريك أن هذا الشيخ منهم وباب المريد حسن الظنّ لا سوء الظنّ.

واعلم (211) أن الله عزّ وجلّ إذا فتح على عبد في باطنه بسوء الظنّ بأحد من خلق الله فإن ذلك من مقت الله به ومن عما بصيرته ومَن فَرَض العصمة لأحد فذلك غاية الجهل بالله والمعاصي لا تغيّر مسلما (212) ولا يتغيّر لها وإن كَرِهَ فيُكره الفعل لا الفاعل فإن سلطان الإيمان أقوى فإنه يكفيه في المعصيّة من الطاعة اعتقاده أنها معصيّة فالناصح نفسه ينبغي له أن يحمي باطنه من الخواطر الرديئة في حقّ المؤمنين والكافرين في الوقت لانه لا يدري بماذا يُختم لهذا الكافر المعيّن بالكفر في الوقت وإنما يُكره الكفر من حيث هو كفر لا هذا

(210) ح: -

(211) ح: فاعلم

(212) ج، ب؛ ح، ي: مسلم؛ ظ: للمسلم

الكافر فكيف المؤمن وكل من أساء [٢٣٤] الظنّ بأحد من خلق الله بلا خلاف أنه ممقوت من الله وذلك بدء الحرمان وطريق الخسران لو لم يكن فيه إلا تدنيس (213) الخاطر [٣٩] والقلب بالسوء ما لم يكلّفه الله ذلك فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**» وأيّ عيب أعظم من سوء الظنّ بالناس وهل يكون ذلك إلا من مراقبة هذا المحروم بحركات الناس فلو اشتغل بنفسه ما تفرغ إلى النظر في غيره كما قال بعض شيوخنا

وفي نفسي لي شغل شاغل

فرحم الله هذا الشيخ بما أوصى به ولقد وصّى بخير كثير لله الحمد على ذلك.

ثم قال **ولا يجلس ولا يتكيء على شيء ولا يحرك له عضوًا إلا أن ينظر فيه لِمَ يحرّكُ هذا العضوَ هل هو لهوى نفسه أو هو لله سبحانه وتعالى فإن كان لهوى نفسه فيمتنع عنه بالكليّة وإن كان ذلك لله فيزنه بميزان الشرع ويقرن بذلك نيّة صادقة خالصة وكذلك في جميع أحواله.** شرح

اعلم أن هذا الرجل قد خرج من وصيّة مريد التربية إلى وصيّة أهل الله الذين لا يتقيّدون بشيخ فإن مريد التربية في أول قدم قد خرج عن هوى نفسه فما له حركة ولا سكون إلا بأمر من الشيخ فلذلك قلنا أنه خرج من (214) وصيّة مريد التربية إلى أهل الله بما هم به مشتغلون.

وأما قوله **إن كان لهوى نفسه فيمتنع عنه بالكليّة** هذا غير محرّر فإن أحكام الله في [٢٣٥] أوقات قد توافق هوى نفس المحكوم عليه فإذا وافق فليشكر الله تعالى في موافقة هوى نفسه حكم الله فيفعل ذلك بما هو لله [٤٠] ويسرّ به بما هو هوى نفسه وبما وفقه الله لذلك من حيث لا يشعر فهذا لا يمتنع عن هوى نفسه أن يمضيه بالكليّة فإنه إن امتنع عنه بالكليّة امتنع عن إنفاذ حكم الله تعالى فكان عاصيًا وإنما أراد بهوى نفسه أن لا يوافق حكم الله تعالى إلا أنه لم يحرّر العبارة.

(213) ح: إذا تدنّس

(214) ح: في

وأما قوله **وإن كان ذلك لله فيزنه بميزان الشرع** فكلام غير محرّر فإنه إذا عرف أنه لله فلا يحتاج إلى ميزان فإنه عين الشرع وإنما أراد أن يقول وإن كان ذلك في نفس الأمر لله ولا يعرفه هذا الشخص لأنه لا هوى لنفسه في ذلك فيزنه عند ذلك بميزان الشريعة فإن وافق الميزان أمضاه وإلا تركه فهذا يدلّك أن كلامه إنما هو في العموم لا في وصيّة مريد التربية فإن المريد لا يزن على الشيخ أمرَه ولا حالَه وإنما هو مستسلم له كالمقلّد في الفُتيا إذا نزلت به نازلةٌ يقلّد المفتي فيما يفتيه به فإن كان مؤمنًا فلا يجد حرجًا فيما أفتاه به وقضى به عليه وسلّم له تسليمًا وإن كان قبل ذلك يكره ذلك فإنه عند الفُتيا يرجع إلى الرضا بما قضى به عليه ومتى لم يجد ذلك فإنه قدح في إيمانه فإن الله يقول ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [٢٣٦] [النساء ٦٥] وكل مفتٍ في حقّ من قلّده واعتمد عليه بهذه المثابة فإنه بمنزلة الرسول عنده أو حَضِر فإن المفتي ما [٤١] ينقل إلا حكم الله تعالى أي الحكم الذي قرّره الله بالنظر إليه وكذلك الرسول ما ينقل إلا عن الله فالعلماء ورثة الأنبياء.

ولذلك لا يجوز للمقلّد أن يفتي ولا للمفتي أن يفتي في كل وقت إلا عن اجتهاد في طلب الدليل ولو تكرّرت عليه النازلةُ في اليوم الواحد عشرين مرّة وأنه يتعيّن عليه في كل مرّة إحداث اجتهاد ونظر في الأدلّة وهو في كل مرّة مع ما يعطيه دليله ويغلب على ظنّه فيه أنه دليل وحينئذ يحلّ له أن ينطق بالحُكم وذلك هو الحُكم الذي يُعَبِّده الله به.

وأما قوله **ويُقرن بذلك نية صادقة خالصة وكذلك في جميع أحواله** فيريد قوله عليه السلام «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**» وصحّ هذا الخبر فالإنسان تبلغ مرتبته عند الله في الدار الآخرة حيث تبلغ نيّته وإن قصر عمله عما يطلبه بنيّته وأما إن كان تحت اقتداره ما يطلبه بنيّته ولا يعمله (215) فليست له هذه الدرجة ولا يبلغ

(215) ح: بعمله

يوم القيامة إلى حيث انتهت به نيّته فإنه قادر على عمل ما نوى لكن له أجر من [٢٣٧] نوى لا أجر النيّة ولذلك قال عليه السلام فيمن تحدّث بأن يعمل حسنة فلم يعملها يكتب له حسنة واحدة وهو كونه حدّث نفسَه بعمل خير خاصّة مع قدرته على العمل فلم يعمل فإن عملها كُتبت له [٤٢] بعشر. أمثالها فإن كان غير قادر فله أجر مَن عمل أي هو والعامل في الأجر على السواء وقد ورد ذلك في الرجل يكون له المال فيفعل به الخير فيقول مَن لا مال له لو كان عندي مثل الذي عند فلان من المال لعملت مثل عمله قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك «**هُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ**» فأوصى هذا الشيخ أن يكون الإنسان في جميع أحواله ينوى قربَه إلى الله والقُرب لا يعرف إلا من الشرع.

ثم قال **فإن وقع في نفسه إلهام من جهة شيخه فينبغي للمريد أن يكون فيه يقظةٌ فيحفظ ذلك حفظًا بليغًا إذا كان من جهة الشيخ.**

شرح

اعلم أنه لا يكون مثل هذا من المريد إلا بعد معرفته بالخواطر وميْزها فإذا كان بهذه المثابة حينئذ يفرق في الإلهام الذي يجده في نفسه بين ما هو من جهة الشيخ أومن جهة أخرى فإن كل إنسان لا يخلو من إلهام البتة وما بقي إلا العلم بمن ألهمه ذلك هل هو إلهام إلهي أو شيطاني أو نفسي. أو مَلكي أو من جهة أحد غير من ذكرنا مثل ما ذكر هذا أن يكون من جهة شيخه ويعلم أنه إذا كان من جهة شيخه من أي مقام كان الإلهام [٢٣٨] للشيخ الذي جعل الشيخ يرسل به إلى المريد هذا الإلهام الذي وجده هذا (216) المريد هل أعطاه إيّاه حالُ (217) المريد أو هو من أمر آخر وهذا لا يكون إلا من كبير في الإرادة أو متحقّق بالصدق في هذا الشيخ فإن المريد متى لم [٤٣] يقم الشيخ في قلبه مقام الحقّ لا يعلم مثل هذا ومعنى مقام الحقّ في أنه لا يتصرّف فيه إلا شيخه كما أنه لا يتصرّف في العالم إلا الحقّ فمن الحقّ يكون جميع ما هو العالم فيه.

(216) ح: -

(217) ح: حالَ

و[218] كذلك هذا المريد يرى أن جميع ما يجده في نفسه أنه من تصرّف الشيخ فيه لأنه ملآن من شيخه قد سرى في ذاته كلها بحيث أنه لم يبق فيه متّسع لغير شيخه أو يكون المريد صاحب كشف كما كان لأبي مدين كان له ابن صغير جدًّا أول ما بدأ يتكلّم وكان يكشف وهو ببجاية ما يتّفق في الإسكندريّة والأندلس وما شاء الله من البلدان فيقول قد جرى في الأمر في موضع كذا وكذا وكذا فيكون كما قال فقيل له بماذا ترى هذا الذي تخبر به فيقول بعيني ثم يقول لا إنما أراه بقلبي ثم يقول لا إنما أراه بوالدي إذا كان أمامي رأيت الأمور به فإذا لم يكن حاضرًا لم أر شيئًا فكان يرى الأشياء من جهة أبيه ومثل هذا لا يقال فيه ان كان فيه يقظة فإن الكشف مِنْحَة [219] لا يقال فيه أنه يقظة وحدّ [220] اليقظة في هذا الولد الذي كان لأبي مدين كونه قال بوالدي أرى ما أرى بعدما [٢٣٩] درج الأمر من عينه إلى قلبه إلى أبيه فمن هنا كان في فطرته التيقظ.

وأما قوله **ينبغي للمريد أن يكون فيه يقظة** فما اليقظة من فعل المريد وإنما اليقظة في فطرته والذي يكتسب منها إنما يكتسبه بها وما أراد هذا الشيخ باليقظة هنا إلا في حفظ ذلك الإلهام إذا [٤٤] كان من جهة الشيخ ومريد التربية لا يكون قطّ عنده إلهام إلا من جهة الشيخ في نفسه وما بقي قوله إذا كان من جهة الشيخ إلا أن يكون الشيخ قد قصد إلهام ذلك المريد بما وجد في نفسه لا بما هو المريد عليه من إتّحاده بشيخه فينبغي له أن يميّز بين ما يكون فيه من الإلهام الذي يجده هل هو مقصود للشيخ أو هل هو من إتّحاده بشيخه فإن كان الشيخ لا علم له بذلك كما كان أبو مدين لا علم له ولا خاطر في كشف ابنه ما كان يكشفه به فكان يقام له أبوه مقام مرآة مجلوّة يتجلّى له فيها [221] إذا نظر إليه ما كان يخبر به ويراه فإذا كان الإلهام من جهة الشيخ فيحفظه حفظًا بليغًا لما يقترن به من الفعل فإنه أمر من الشيخ له بما ألهمه به أو نهي أو إخبار بشيء ويعلم ذلك عند اجتماعه بالشيخ فيذكر له ما وجد في نفسه من

(218) ح: -
(219) ح: متَّجِه
(220) ح: وجد
(221) ح: فيه

الإلهام فان كان (222) الشيخ امَرَه شفاها بما يقتضي ذلك الإلهام ويعرّفه الشيخ أنه أراد ذلك وإن كان من إتّحاده بالشيخ فللشيخ النظر في ذلك بما تقتضيه المصلحة من إمضاء ذلك أو تركه فلهذا يحفظه حتى يعرضه على الشيخ.

فإن أهل الله [٢٤٠] قد أجمعوا على أن المريد لا يستر عن شيخه شيئًا ممّا يقع له أو يجده في (223) نفسه ومتى لم يفعل ذلك لن يبرأ من علّة نفسه أبدًا ولا يجيء منه شيء فهذا فائدة حفظه لذلك فإنه متى نسي ما وجده ولم يعرضه على الشيخ بقي برأيه لا يعرف ما ينْفتق (224) عليه [٤٥] منه فلا بدّ أن يحفظ الحفظ البليغ جميع ما يقع له.

وأما قوله بعد ذلك **ويزن بذلك أفعال نفسه في كل أحواله** فالإشارة في قوله بذلك (225) إلى الحفظ لا إلى الإلهام فينبغي له أن يحفظ أفعال نفسه أي جميع ما تحرك فيه حتى يذكر ذلك لشيخه فلا يريد ميزان الإلهام فإن الإلهام إنما يقع له في أمر خاصّ والحفظ يعمّ.

ثم قال **ويعلم أن الشيخ يريد أن يحييه ويوجده بإذن الله تعالى** يقول إذا علم أن ذلك من جهة الشيخ لا من إتّحاده بالشيخ يعلم عند ذلك أن الشيخ قد أحبّه لما ألهمه به فإنه يريد أن يوجده نتيجة ذلك الإلهام اي ما ينتجه فِعل ما جاء به ذلك الإلهام او تركُه إن كان إلهام نهي أو إخبارٍ بأمر فلا بدّ لمن يكون كذلك نتيجة أراد الشيخ أن يوجده إيّاها.

وقوله **بإذن الله تعالى** يريد قول الله في عيسى فيما ظهر عنه من إحياء الموتى وخلق الطير ونفخه فيه فأخبر أن ذلك كله بإذن الله وإذا كان بإذن الله فإن الله ما يأذن إلا (226) بهذا الطريق الخاصّ لا بالطريق العامّ الذي يعلم أنه لا مصرّف للعالم إلا الله لا يريد ذلك وإنما يريد الإذن الخاصّ أي على الطريقة التي يعلمها رسل الله [٢٤١] وأولياء الله

(222) ح: كان من
(223) ي: -
(224) ح: يتفتّق
(225) ح: لذلك
(226) ح: -

فإن الله تعالى يقول في باب الإكمال ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا﴾ بالفطرة ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس ٧٨] أي بفطرتها تتقي وبفطرتها تأتي كل شيء في قوّتها هذا الإلهام العامّ والإلهام الخاصّ [٤٦] في هذا الإكمال ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ أنه فجور ﴿وَتَقْوَاهَا﴾ أنه تقوى فتأتي من ذلك ما شُرِع لها أن تأتيه وتجتنب من ذلك ما شرع لها أن تجتنبه سواء كانت هذه النفس عين الرسول أو المرسل إليه.

وأما قوله **ويعلم أن هذا الإلهام أبلغ من الحفظ باللسان** فعبارة غير مستقيمة فإنه يريد أن يقول وأن هذا الإلهام الذي وجده هذا المريد من جهة الشيخ أبلغ من مشافهته به إيّاه [227] فيكون حفظه لما ألهمه به أشدّ من حفظه لما شافهه به لأن الإلهام ما يعطي إلا المعنى المجرّد فهو كالنصّ ما فيه تأويل لأنه لما عيّن له والمشافهة في الخطاب تنزل عن هذه الرتبة فإنها مقيّدة بالألفاظ فلا يسمع [228] بالمشافهة إلا ألفاظًا واللفظ يدخله التأويل فقد يوافق ما يريد الشيخ بذلك اللفظ في المشافهة وقد لا يوافق بخلاف الإلهام ففي الإلهام تعيين الشيء فتحفظ ذلك المعيّن وفي المشافهة لا يقدر على حفظ التأويل فإنه لا يعرف هل هو فيه مُصيب أو مخطي فالذي يحفظ في المشافهة عين اللفظ خاصّة حتى يذكره للشيخ ليبيّن له أحد محتملاته هذا إذا لم يكن نصّا في الباب.

وأما قوله [٢٤٢] **ولا ينزعج من كثرة الوقوف والتردّد إلى باب الشيخ مهما قدر** فاعلم أنه أراد بقوله لا ينزعج لا يضجر ولا يسأم فإن مريد التربية لا يأتي إلى باب الشيخ إلا عن أمر الشيخ وقوله مهما قدر يعني إن عاقه مرض لا يستطيع [٤٧] معه النهوض وإما أنه يقول مهما قدر و [229] يعني أنه مهما قدر على نفسه إذا وجد منها الإبائة فهو متمكّن من نفسه أنه قادر على مخالفتها وموافقة أمر شيخه إلا إن خذله الله فهذا مطرود لا كلام لنا معه.

وقد جرى في ذلك حكاية لبعض الشيوخ وذلك أنه طلب من المريد أن يشتري له إبرةً من السوق فجاءه بإبرة فردّه بها فقال ما هي على

(227) ح: إيّاه به
(228) ح: تسمع
(229) ي: -

غرضي فجئني بغيرها فكلما جاءه بإبرة أظهر له أنها على غير مراده فعل ذلك معه مرارًا عديدة فضجر المريد ولم يعلم بضجره وتأوّلت نفسه فيما سؤلت له أن الشيخ قد تعب خاطره بكونك ما جئته بغرضه فلو أخذت الصانع بآلته وجئت به إلى الشيخ حتى يفعل له ما يريد على موافقة غرضه لكان ذلك ممّا يريح الشيخ من تعب خاطره في حصول مقصوده فذكر للصانع ذلك وأخذ الصانع و آلته (230) وجاء به إلى الشيخ فلما دخل عليه قال له يا سيّدي هذا الصانع قد جئت به وبآلته حتى يعمل لسيّدي مراده ويريح خاطره فقال له الشيخ بَطَنَتْ عليك نفسُك أنت ضجرت من كثرة ترددك كنت تأتي (231) بإبرة بعد إبرة طول عمرك حتى أقول لك هذا غرضي وما أردت بترددك إلا [٢٤٣] استخراج عيبك لك وأنا فأيّ إبرة كانت تقضي حاجتي فإيّاك والضجر في كل ما تُؤمر به وهذا ليس مع الشيخ وحده بل يكون هذا خُلقًا فيك مع عباد الله وما رأيت أحدًا أحكم هذا المقام بحمد الله [٤٨] مثلي مكّنني الله من نفسي في ذلك حتى هان عليّ بحيث أنّي لا أجد في ذلك كلفة أصلاً في حقّ الأدنى والعالي والصبي والمرأة والخادم فأحرى (232) أمر الشيخ أو رجل كبير من أهل الله ولا يقعدني قطّ عن مثل هذا إلا مرض يمنع الجسم من الحركة فلا أقدر عليها.

ثم قال **فإن فى رؤية الشيخ إحياء قلب المريد وشفاء لصدره وذهابا** (233) **لهمّه وسكونا** (234) **لنفسه** أما قوله **إحياء قلب المريد** فإنه لا بدّ له في كل رؤية يرى شيخه من استفادة علم لم يكن يعلمه وبالعلم تحيا القلوب فإنه لا بدّ في كل رؤية من فائدة تحصل له من الشيخ برؤيته وحينئذ يصحّ أن يقال فيه أنه رأى الشيخ وأقلّ ذلك أنه ما ثَم شيء يتكرّر فى الوجود أصلاً للإتّساع الإلهي ولذلك يقول عزّ وجلّ عن نفسه إنه ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن ٢٩] وأصغر الأيام

(230) ي: وأخذ الصانع آلته
(231) ح: تأتيني
(232) ح: فأجرى
(233) ي: ذهاب
(234) ي: سكون

نفَس الإنسان الواحد وهو الزمن الفرد والله في شأن كل جزء من العالم فَرْدٍ بأمر لم يكن عينه في الزمن الآخر المتقدّم ولا يكون في الآتي وهذا معنى قوله فيمن لم يعلم ذلك من الله ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ [ق ١٥].

وقد تقرّر في العلم الإلهي عند أهل الله أن الله لا يتجلّى في صورة واحدة لشخصين ولا في صورة واحدة [٢٤٤] لأحد مرّتين وقد ثبت أنه متجلٍّ على الدوام فلا بدّ من اختلاف الصور ولا بدّ من اختلاف الآثار على المتجلّى له والكل متجلّي له وكل من لا يشعر بهذه الزيادة من نفسه ولا من رؤيته الأشياء الخارجة [٤٩] عنه فليس بعارف ولا إنسان كامل ولا هو ممّن علم الأمر على ما هو عليه وإذا كان هذا على ما ذكرناه فالفائدة وزيادة العلم متحقّقة بلا شكّ في كل رؤية.

وأما قوله **وشفاء لصدره** فإن الشيخ عين القرآن ومعنى عين القرآن أنه جامع لما أمره الله تعالى به من التخلّق بالقرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين سُئلت عن أخلاقه فقالت «**كانت أخلاقه القرآن**» والله يقول في القرآن أنه ﴿**شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [يونس ٥٧] ﴿**وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ**﴾ [التوبة ٦١] فإذا صحّ إيمان المريد بالشيخ كانت رؤيته شفاء لما في صدره وكان عندنا رجل بفاس يقال له أبو العبّاس الخشّاب فجاء إليه إنسان بكتاب في الرقائق فقال له يا أبا العبّاس أريد أن أقرأ عليك هذا الكتاب وتتكلّم لي عليه ثم جعل يقرأ والشيخ ساكت فقال له لما لا تتكلّم لي عليه فقال له الشيخ اِقرأني فقام من عنده ودخل علي أبي مدين شيخنا وذكر له ما جرى من الخشّاب فقال له صَدَقَك ما كان يتضمّن الكتاب فقال جميع أبواب [235] الطريق من زهد ومجاهدة وورع ومعرفة وغير ذلك فقال له أبو مدين فهل كان ثم باب لم يكن حالاً للخشّاب فقال لا كلّ ذلك صفة الخشّاب فقال له فقراءتك إياه بحاله أبلغ من الكتاب ولذلك قال اِقرأني فإذا لم تنتفع بحاله ونعته كيف تنتفع بكلامه فهذا من الشفاء لما في صدره.

(235) ي: أنْواع

وأما قوله **وذهابا لهمّه** فإن المريد إذا [٥٠] انفرد [٢٤٥] بنفسه ما يبعد أن ترد عليه الخواطر ويتشتّت أمره فيكثر همّه فيما يفعل ممّا يخطر له فإذا كان بين يدي الشيخ يذهب همّه [ويبقى مراقبا للشيخ ليرى ما يأمره به ويجمع همّه عليه فهذا ذهاب همّه] (236).

وأما قوله **وسكونا لنفسه** فيرتدّ عمّا ذكرناه من تشتّت الخواطر (237) في انفراده بنفسه عند عدم رؤية الشيخ فإن النفس تُلقي إليه والشيطان يُلقي إليه والمَلك يلقي إليه والحقّ يُلقي إليه وبحضور الشيخ يزول عن باطنه ويبقى مُصْغِيًا لما يأمره به شيخه ولا يبقى له مشهود سوى صورة شيخه لا يبقى عنده حديث نفْسٍ ولا فِكرة في شيء فهذا معنى السكون وهو ضدّ الحركة في الجهات المختلفة بعَدم رؤية الشيخ ممّا ذكرناه من تشتّت الخواطر وهذا يجده كل إنسان من نفسه في الاجتماع مع الناس والخلوة بنفسه فإن الشخص مع جليسه ينفرد معه فيما يأتيه به جليسُه وإذا بقي وحده كَثُرت عليه الأفكار في أمور مختلفة هذا في العموم فكيف حال المريد الذي لا يرى إلا شيخه رؤية محبّة واعتقاد.

ثم قال **فإذا أمره الشيخ بأمر ظاهر بَادَر إليه شاكرًا لله تعالى كيف شرّفه الشيخ بذلك** كيف هنا بمعنى حيث يقول الله تعالى ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء ٥٩] والشيخ من أُولي الأمر حيث وَلَّيْتَه أمْرَك به (238) ودخلت تحت حكمه وطاعته واعتقدت فيه أنه يخبر عن الله وفي نفس الأمر [٥١] عندنا إذا صدَق المريد في التوجّه إلى الله عزّ وجلّ لا يطلب بتوجّهه غير الله لم يَرْمِه الله إلا على شيخ محقّق صادق اللهجة في دعواه ثم إنه من صدْق المريد [٢٤٦] إذا صدق في شيخ أنه مخبر عن الله ولم يكن الشيخ بهذه المثابة ولم يكن عند المريد تردّد فيما اعتقده فيه فإن الله تعالى يرزق ذلك الشيخ من التوفيق والعلم والنصح لما يحتاج إليه هذا المريد ما لم يكن عنده ولا عرفه من نفسه وبمجرّد ما رأى هذا الأمر أنّ هذا

(236) ي: -

(237) ي: ويبقى مراقبا للشيخ ليرى ما يأمره به ويجمع همّه عليه فهذا ذهاب همّه.

(238) ح: -

المتشيّخ يحصل (239) في قلبه نور التوفيق تيقظ من نومة الغفلة فينصلح في نفسه لربّه ولا يعلم أن ذلك من جانب المريد وصدقه هذا بما هو موفق من عند الله فينظر عند ذلك في إصلاح حاله مع الله وبالعلم الذي يهبه الله الذي فيه صلاح هذا المريد الصادق ينتفع به الشيخ في نفسه ويفيده هذا المريد الصادق فإن تقوّتْ يَقْظَةُ هذا الشيخ يعلم أن بركة صدق هذا المريد عادت عليه فوفق بها وأتاه الله به رحمة منه وعلمه من لدنه علمًا.

وهذا مقام رأيته مشاهدة ممّن ظهر بصورة الشيخوخة بالأندلس ولم يكن شيخًا حقيقة واجتمعت به وهو مُعَظّم عند الناس وسألني في سؤال لا يقتضيه حاله فوَبَخْتُه أمام الحاضرين بجواب حقّ وعَزّ ذلك على الحاضرين لما كانوا يرونه فيّه من التعظيم ثم بعد ذلك صدّق فيه بعض خدمته من غير تردّد فَوُفِّقَ الشيخ واعترف بنقْصِه وتزوّره الذي كان عليه [٥٢] في حال دعواه وصرح في البلاد بالاعتراف ورجع عن تلك الحال التي كان عليها وصار من عباد الله المصطفين وكان ذلك ببركة صدْق مريد صَدَق في اعتقاده فيه.

وقد شرع الله الحكمين وأمر الزوجين أن يدخلا تحت حكمهما ومن ولّى على [٢٤٧] نفسه شخصًا لزِمَه الدخول تحت أمره إذا أمر بما فيه قربة معلومة في الشرع المطهّر إلى الله أو بمباح للمأمور فعله فيرجع بأمر هذا الشيخ واجبًا فيحصل للتلميذ أجر من أدّى واجبًا ومنزله الذي له من الحقّ فإن منزل أداء الواجبات من الحقّ غير منزل النوافل (240) وبما في النوافل من الواجبات تكون النوافل ذات أرواح عليّة عند الله فإنه تقرّب في نافلته بما فيها من الواجبات بأحب ما لله تعالى فإنه يقول في الخبر الصحيح الإلهي «**ما تقرّب المتقرّبون بأحبّ إليّ من أداء ما افترضته عليهم**» فيدخل في هذا الخبر الفرائض المطلقة والفرائض التي يتضمّنها النوافل ونتيجة الفرائض معلومة عندنا بالذوق ونتيجة النوافل معلومة عندنا ذوقًا وسمعًا فإن الشرع نصّ على نتيجة النوافل ولم ينصّ على نتيجة (241) الفرائض إلا

(239) ح: ويحصل
(240) ح: للنوافل
(241) ح: على ما تنتجه

بقوله «**أحبّ إلي**» فجعل ذلك الحبّ فوق ما تنتجه النوافل من الحبّ الإلهي وذكر في الحبّ الإلهي الذي تعطيه النوافل أنه أعضاء عبده وقوّاه عند قيام أحكامها بها بهويّته تعالى ولم يذكر في حبّ الفريضة الذي هو أحبّ إليه من النافلة ما نتيجة حبّ الفريضة فما يُعلم [٥٣] إلا ذوقًا وهو من الأسرار المكْتتمة فإن الإنسان في أداء الفريضة عبد اضطرارٍ وفي النافلة عبد اختيارٍ والعارف تعطيه (242) معرفته أنه لا يتقيّد في عبوديّته باضطرار ولا باختيار (243) بل هو عبد مطلق لله لا يخطر في عبوديّته اضطرار ولا اختيار.

فإذا أمر الشيخ المريدَ بأمر يشكر المريد الله تعالى على ذلك لأن [٢٤٨] أمره إيّاه تعريف من الشيخ لهذا المريد وبشرى أنه قَبِله مكلّفًا له مأمورا ثم إن الشيخ لا يخلو في أمره ذلك المريد إما أن يشاهد نفسه آمرًا عليه بما حكمه المريدُ به على نفسه فهو من تولية المريد فينكسر الشيخ عند هذا الخاطر في نفسه فإنه غير مستقلّ في ولايته عليه إذ ما وَلِيَه إلا بتوليته إياه ما هي ولاية قهر.

وإن شاهَد الشيخُ نفسه مُولّى من جهة الحقّ لا من جهة المريد حيث قرن الله له هذه الولاية عليه فإنه إذا أمَرَه أمْره بعزة الاهيّة (244) فهذا هو المعبّر عنه بنفوذ همّة الشيخ في المريد في امتثال أمره فإن العزة (245) لله هنا بلا شكّ فإنّ شاهد الحال يشهد بذلك وإذا قبل الشيخُ تولية المريد له على نفسه بتقرير الله له ذلك كان من ولاة الأمر ووجبت طاعتُه وكان هذا الشيخ مطالبًا عند الله تعالى في جميع ما يأمر به مَن دخل تحت طاعته غير أن الفرق بينه في الولاية وبين أولي الأمر من الملوك والسلاطين أنّ أمر هذا الشيخ لما كان عن صدق المريد في توليته لم يعص له أمر وكان رحمة في حقّه مطلقة ولما كانت ولاية الملوك عن قهر وخوف لذلك لم تمتثل العامّة أمرهم (246) بقلوبهم من القبول [٥٤] إلا فيما يَسُرّها لا فيما يَسُؤها وإن امتثلته

(242) ي: يعطيه
(243) ي: اختيار
(244) ح: الإلهية
(245) ح: القوة
(246) ح: أمره

في الصورة الظاهرة فإنها تمقته في نفسها على ذلك بخلاف المريد وسبب ذلك في الملوك عدم العلم والإيمان الذي يلزم [٢٤٩] الرَعايا استعماله وهذا أمر خفي على أكثر الناس.

فليشكر الله الشيخُ كما يشكره المريد ولا يكون في شكره فارحًا إلا إذا أمره بلسان حق ووفّى الميزان الموضوع له حقّه فيه فحينئذ يفرح بأمره إياه من حيث الوفاء بالميزان لا من حيث أنه أمَر والمريد يفرح بأمر شيخه إن كان مشهوده عناية الشيخ به وأنه قَبِلَه فإن كان مشهوده الذي أوجب له الفرح كون الشيخ قَبِل توليته إيّاه فتلك رعونةُ نفس وفرح طبع فعن قريب يعود فرحه حزنًا عليه فقد انقسم فرح المريد كما انقسم فرح الشيخ ويتعيّن على الشيخ إذا عَلِم من المريد أنّ فرحه وشكره لله لكون الشيخ قبل توليته وأن له بذلك يدًا عليه حيث أعطاه بتوليته منصب الآمر فإن الشيخ لا يأمره ويتعيّن عليه إهماله والإعراض عنه حتى يُعْرِفَ نفسه ويفتقر ويعرف قدر الشيخ أنه فوق قدره وكذلك الله فإذا علم منه هذا التوجّه وصدق فيه فعند ذلك يأمره وينهاه.

ثم قال **ويجتهد أن لا يرجع إلى الشيخ إلا إذا انقضى.** (247) **ذلك الأمر ولا يرجع سريعًا ويعتذر إلى الشيخ فإذا تيسّر. ذلك الأمر رجع إلى الشيخ متأدبًا شرح** يقول لا يرجع سريعًا قبل قضاء [٥٥] ذلك الأمر [٢٥٠] فإن انقضى. سريعًا رجع إلى الشيخ سريعًا فإن همّته كلها متعلّقة بما (248) رسم الشيخ له أن يقضيه.

وقوله **ويعتذر** فاعلم أن العذر ساقط في أهل طريق الله جملة واحدة فإن العذر دليل قاطع على سوء الظنّ بمن يعتذر إليه وسوء الظنّ حرام على المريد وعلى كل من ادّعى أنه من أهل طريق الله فهم يقبلون المعاذير من الأجانب ولا يعتذرون ولا يقبلون اعتذار بعضهم لبعض أصلاً وإن تحقّق أحدٌ من أهل طريق الله (249) في أحدٍ أنه ينتفع في دينه بالاعتذار إليه ويزيل به ما كان في نفسه مما يؤدي إلى القدح في إيمانه يجب عند ذلك عليه أن يعتذر إليه تربية له وعناية به حتى

(247) ح: قضى
(248) ح: ممّا
(249) ح: الطريق

يزيل عنه ما يقدح في إيمانه فإن علم منه أنه يَقبل عذرَه في الظاهر والباطن على خبثه فلا يعتذر إليه أصلاً بوجه من الوجوه.

ثم قال **فإن أمَره ثانية امتثل** أي يكون في ذلك كما كان في الأمر الأول ولو أمَره ألف مرّة أو طول عمره لا يزال يسارع إلى امتثال أوامره على التتالي من غير ضجر ولا مجاهدة بل يرى ذلك من اعتناء الله به حيث جعل الله تعالى له هذه المنزلة في قلب الشيخ وإنّ أمْر الشيخ للمريد ليس عن حاجة إليه فيما أمره به وإنما ذلك تربية له ومصلحة [٢٥١] يراها الشيخ في حقّه فإن كَرِه ذلك المريد فليعمله ويمتثل أمره على كُره ويكون صاحب مجاهدة فإنه إذا عمل ما أمره به الشيخ على مجاهدة اتّضح له السبيل [٥٦] إلى الله تعالى فيسلك عند ذلك عليه فإن سبيل الله يزيد بالذوق فما لم يجد اللذّة يعلم أنه ما هو في سبيل الله المطلوب في الطريق فإذا وجد الالتذاذ في الطاعة وامتثال امر الشيخ من أكبر الطاعات والالتذاذ بما يكون من الناس في حقّ هذا المريد ممّا جرت العادة أن تكرهه النفوس طبعًا ويذمّ عُرفًا إلا أن هذا المريد يلتذّ به فيعلم أنه في سبيل الله الخاصّ وهو قول إبراهيم بن أدهم في الإنسان لا يكون في الطريق حتى يستوي عنده الحمدُ والذمُّ وهو أول باب من أبواب المعرفة بالله وهو أمر هيّن جدًّا تحصيله.

وما رأيت من المشائِخ الذي لقيت ممّن تحقّق به جدًّا إلا أبا إسحاق بن طريف (250) بالجزيرة الخضراء غير ذلك ما رأيته مع الصحو وأما مع السُكر المسمّى جنونًا فرأيت جماعة لا يبالون بالذمِّ وهذا الرجل صاحب هذه (251) الروحانيّة الذي كان يمدّ الناطق بهذه الوصيّة يوسف بن إبراهيم وهو عليّ الكرديّ فما رأيته على هذا القدم مع كونه كان كبير القدْر فإني حضرت له مجلسًا ووقع مثل هذا من شخص معه فتغيّر عليه تغيّرًا كلّيًا حتى قال له لولا حرمة هذا القاعد أريتك ما يسؤك وقام وانصرف مجاهدًا لنفسه فيما أحْرجه فيه ذلك الإنسانُ فإن الله [٢٥٢] تعالى يقول في هذا المقام ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت ٦٩] فلا تتّضح (252) السبل إلا مع

(250) ي: ظريف
(251) ح: -
(252) ح: يتّضح

هـذه المجاهـدة فأبـان أن سـبل الله الخاصّـة مـا اهتـدى [٥٧] إليهـا صاحب الجهاد إلا بعد الجهاد في الله حقّ جهاده ولا يجاهد في الله حقّ جهاده إلا المجتبى.

وسبب ذلك حضوره مع بشريّته كما قال عليه السلام «**إنما أنا بشر. أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر. اللهم مَن دعوت عليه**» يعني عند غضب البشريّة «**فاجعل ذلك الدعاء عليه مغفرة** (253) **ورضوانًا**» فأجابه الله بهذا الأمر الكلي فكان دعاؤه بالشرّ خيرًا للمدعوّ عليه فانظر ما كان أعْرَفَه بالأمور وكما قال تعالى ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَه اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى ٥١] وأي حجاب أعظم من بشريّته فإذا أُخِذَ الشخص عن بشريّته كلّمه الحقّ اختصاصا الكلامَ المطلوب لأهل الله ولهذا أخبر الله تعالى في القرآن الامْرَ بذلك لنبيّه عليه السلام فأمره في غير ما (254) موضع أن يقول ﴿**إِنَّمَا** (255) **أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ الاية [الكهف ١١٠] هذا لتقوم الحجّة على مَن يتّخذه ربًّا كما اتّخذت النصارى المسيح فيقول لهم قد قلت لكم غير مرّة ﴿**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**﴾ ولا يقال له يوم القيامة كما يقال لعيسى. ﴿**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ [المائدة ١١٦] و قال الله تعالى في حقّ محمّد فيما أنزل عليه ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شيئًا**﴾ فرُبَّما قالوا وكذلك نفعل أنت هو الله فتمّم وأوضح فقال [٢٥٣] ﴿**وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران ٦٤] فشرك نفسه معهم لتكون له الحجّة [٥٨] على من اتّخذه إلهًا وقد بلّغ ما نزل إليه من ربّه ولا يسأل يوم القيامة عن مثل هذا.

فينبغي للمريد أن يمتثل أمرَ شيخه في المنشط والمكره ملتذًا في المنشط وصاحبَ جهاد لنفسه في المكره فإن الله تعالى يقول ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً**﴾ [الرعد ١٥] فقد جعل السجود له كرهًا أي تمجُّه نفس الساجد ومع هذا فالله يقبله إلى أن يهديه الله السبيل (256) التي يجد عند شهودها اللذّة بأمر الله

(253) ح: مغفرة له
(254) ح: -
(255) ح: قل انّما
(256) ح: السبل

والشيخ نائب الله في حقّه وصورتُه مع الشيخ صورة المكلّفين مع الله فلا يجزع المريد في كراهيّته أمر الشيخ بل يمتثل مجاهدة إن لم يكن صاحب التذاذٍ لذلك.

ثم قال **وإن رأى هذا المريد الشيخ يعمل أمرًا من الأمور يقصد أن يعمل هذا المريد ذلك الأمر معه تأسّيًا بهذا الشيخ فليكن** (257) **ذلك التأسّي بحضور الشيخ فإن نهاه انتهى** يريد بهذا الكلام وإن لم يحرّر العبارةَ بأن الشيخ إذا فعل أمرًا ما من الأمور ولم يأمر المريدَ بفعل ذلك الأمر أو بمساعدته له فيه وأراد المريد أن يفعله تأسّيًا بشيخه فلا بدّ أن يكون بحضوره حتى يرى المريدُ هل ذلك العمل ممّا يخصّ الشيخ فينهاه عنه أو هو ممّا يعمّ ولا سبيل أن يعمل ذلك الأمر بغير حضور الشيخ هذا هو الطريق قد تمّمناه (258) حتى لا نترك منه شيئًا فإن هذا الموصي ما قصد بكلامه هذا إلا مساعدة [٢٥٤] الشيخ فيما تصرّف فيه خاصّة فإنه قال وقصد أن يفعل ذلك معه ومع تقتضي. المصاحبة [٥٩] فحررتُ له العبارةَ في الترجمة عنه ليُستوفي الأمر كما هو ولذلك تمّم الشيخ في وصيّته فقال (259) **ثم يعرض نفسه لذلك العمل فإن أشار إليه الشيخ بالعمل فيعمل وإن نهاه انتهى.**

فاعلم أن الله تعالى يقول ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب ٢١] ومع هذا فقد أعلمنا أنه اختصّ بأمور لو فعلناها نحن لفعله إيّاها وتأسّيًا به كنا عُصاة مثل نكاح الهبة فإن ذلك خالصًا له من دون المؤمنين ولهذا يتعيّن على الرسول أن يبيّن للناس لأن الله تعالى قد أقامه في مقام الاقتداء به فإن لم يعيّن ويبيّن ما اختصّ به وإلا كانت المهداة ضلالة فتبادر (260) لكل فعْل فعَله صلّى الله عليه وسلّم لقوله ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾.

فإن نهى عن شيء ممّا كان يفعله وقفنا عند نهيه كذلك فلنكن في خدمة الشيخ فقد علمنا أنه لا يأمرنا إلا بما فيه المصلحة لنا وكذلك

(257) ح: وليكن
(258) ظ، ب؛ ح، ي: تميناه
(259) ي: فقال ثم قال
(260) ي: فيبادر

نهيه فإذا رأيناه يفعل فعلاً نتعرّض إليه فيه بإيماء وإشارة فإن سكَتَ فعلنا فإنّ سكوته علامة على رضاه عنّا في ذلك الفعل وإن رأى أنه لا يصلح نهانا فانتهينا قال عليه السلام «**خذوا عنّي مناسككم**» وقال «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**» ونهى عن الوصال وكان يواصل وهذا نهي إشفاق لا نهي كراهة ولا تحريم فإنه واصل بهم ثم بيّن بماذا امتاز في وصاله عن تلك الجماعة الحاضرين وإنما قلنا [٢٥٥] عن تلك الجماعة الحاضرين فإنّي واصلت ومطعمٌ أطعَمَني في وصالي وساقٍ [٦٠] سقاني فأصبحت شبعانًا ريّانًا من الطعام الذي طعمته في الرؤيا فلذلك علمت أن النبي عليه السلام (261) ما أراد بقوله «**لست كهيئتكم**» إلا تلك الجماعة الحاضرة فلو أراد الأمّة ما رأيت أنا هذه الحالة ولا وجدتّها وقد وجدتّها فدلّ عندي على ما قلناه.

ولما كان رسول الله معصومًا في أفعاله أمَرنا الحقّ أن نتأسّى به وقال في حقّ علماء هذه الأمّة إذا لم تدر ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل ٤٣] وما قال اقتدوا بهم وذلك لأنهم غير معصومين فإن العصمة بعد الرسل مجهولة في الأمم وإن كان الله قد عصم في نفس الأمر بعض عباده من الأمّة ولكن ما عيّن لنا مَن هو كما عيّن الرسل فإذا تحقّق المريد أنّ الشيخ لا يتصرّف في حركة ولا سكون إلا عن أمر إلهي فله التأسّي به حتى ينهاه عنه الشيخ ولذلك لا يجوز للمريد أن يفعل شيئًا من أفعال الشيخ إلا بحضوره ولا يفعل ذلك إلا أنه تعرّض نفسه للفعل ولكن إذا رأى الشيخ يفعل وما لم ير للشيخ فعلاً فليس له أن يتحرّك في عمل إلا بأمر شيخه ولذلك قال هذا الشيخ في تمام وصيّته هذه.

ثم ينظر بعد ذلك في فعل الشيخ وحركاته وكلامه فإن المشائخ كل أفعالهم وأحوالهم إشارات لمن ينظر فيها فإن كلامه مع الناس بأمر الدنيا إخفاء بحاله وتطييب لقلب المتكلّم معه

اعلم أن هذا الذي قال ما يكون إلا فيما يفعله الشيخ [٦١] من الأفعال بحضور الناس لا في الفعل [٢٥٦] الذي ينفرد به (262) مع نفسه فيتّفق أن يطّلع عليه على غير علم من الشيخ وليس لك أن تطّلع على

(261) ي: صلى الله عليه و سلم

(262) ح: -

الشيخ من غير أن تعلمه بحضورك ولكن ما يقع مثل هذا من مريد إلا من غير قصد بل ينبغي للإنسان أن لا يطّلع على أحد من خلق الله مسارقة فإن ذلك المختفي قد يكره أن يطّلع عليه في ذلك العمل وقد لا يكره وما للإنسان وللدخول في الأمر المحتمل فإنه غَرَر.

ولقد اطّلع بعض الناس من كوّة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو في بيته يسرّح رأسه بمشط فهمَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يفقأ (263) عينه وقال «**إِنَّمَا جُعِلَ الْإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**» وقال عليه السلام «**مَنْ اطّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ**» ومثل هذا فلا يقع من مؤمن فأحرى من مريد مع شيخه أو مع أحد من خلق الله فالله تعالى يقول ﴿**وَلاَ تَجَسَّسُوا**﴾ [الحجرات ١٢].

فإذا فعل الشيخ أمرًا من الأمور بحضور الناس ولم يبَيّن أن ذلك خاصّ به فللمريد المتأسّي به أن يفعل فعله إن شاء ولكن بحضوره فإن لم ينكر عليه فترْك النكير حجّة له على من يعترض عليه ومع هذا فهو سوء أدب من المريد إلا أن يفهم من قرائن الأحوال أن الشيخ ما فعل ذلك إلا ليُتَأسّى به فيه فحينئذ يجب على المريد أن يبادر مبادرته لأمره لو أمَره وهذا كما يقال في المثل السائر إياكِ أعني فاسمعي يا جارة وهذا مَثَل الفأل الحسن كما قال النبي [٦٢] عليه السلام (264) للرجل الذي جاءه من المشركين في صُلْح الحديبية ما اسمك فقال الرجل سهل فقال «**سهُلَ** [٢٥٧] **الأمر**» وكان كذلك فانتظم الصلح على ما يُرضي الله ولم يرض بذلك بعض الصحابة فليس غرض المؤمن إلا ما يرضي الله لا ما يرضيه.

وأما قوله **فإن كلام الشيخ بأمر الدنيا إخفاءٌ بحاله** إنما قضى بذلك بحاله مع الله تعالى المختصّة به فإن كلامه مع الناس في أمر الدنيا المباح له الكلامُ فيه منها امّا ذلك أيضًا من حاله مع الله في ذلك الموطن الخاصّ فما ظهر إلا بحاله مع الله الذي هو فيه إخفاء حال آخر له مع الله لو لم يكن هذا الموطن أظهر بغيره من أحواله مع الله

(263) ح: يفقي
(264) ي: صلى الله عليه وسلم

فالحكم للمواطن في الأشياء كما قال عليه السلام وقد رأى أبا دجانة يخطر ويزهو بين الصفّين ويمشي الخيلاء وبيده السيف الذي أعطاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأخذه بحقّه فلما رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمشي به الخيلاء بين الصفّين قال صلّى الله عليه وسلّم «**هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن**» والحكم للمواطن أبدًا.

وأما قوله **وتطييب لقلب المتكلّم معه** هذا يحتاج إلى ميزان فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عُتِب في مثل هذا فلا ينبغي أن يفعل الشيخ هذا إلا وبيده ذلك الميزان الإلهي فإن الله تعالى أدّب رسوله صلّى الله عليه وسلّم فحسُن أدبُه فلا أدب إلا أدب الله وفي مثل هذا نزلت ﴿**عَبَسَ**﴾ [عبس ١] فإنه صلّى الله عليه وسلّم قصَد تطييب قلوب المؤلّفة قلوبهم حتى [٦٣] يَسْلَموا (265) فعتبه الله على ذلك مع هذا القصْد الجميل النبوي فللشيخ أن [٢٥٨] ينظر في أحوال الجلساء فمن كان أقرب إلى الله بنصّ الله عليه فليقصد تطييب قلب ذلك القريب فليعرض عمّن دونه بسياسته (266) وفي مثل هذا نزلتْ ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ [الكهف ٢٨] الآيات فكان إذا جلسوا إليه صلّى الله عليه وسلّم لا يقوم حتى يكون هم الذين يقومون وإذا وضع أحدهم يدَه في يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يزيلها حتى يكون ذلك الشخص هو الذي يزيل يدَه.

ولعمر بن الخطّاب في ذلك حكاية معهم إذ كان يشير إليهم إذا أطالوا الجلوسَ معه أن يقوموا من غير أن يعلم بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعلمه بأنه صلّى الله عليه وسلّم لا يقوم حتى يقوموا وكان إذا لقيهم يقول «**مرحبًا بمن عاتبني الله فيهم**» لكن هذا الشيخ نظر ما نظر من قال اصغ إلى كلام جليسك وإن كان ما يأتي به نزرًا فإن لكل أحد في نفسه قدرًا وهذه كلمةُ حكمةٍ جاءت النبوّة فقيّدت ذلك بما عرّفها الله به والوقوف مع الأدب الإلهي أوْلى.

(265) ح: يُسْلِموا
(266) ح: بسياسة

ثم قال وإذا (267) رأيت الشيخ يفعل فعلاً لم يظهر فيه وجه التقرّب به إلى الله تعالى فإيّاك أن تردّ ذلك بقلبك فإن الشيخ لا يفعل شيئًا إلا لله ولكن خَفِيَ عليك ذلك فتحفّظ من هذا الردّ وتضرّع إلى الشيخ في إزالة هذه الخواطر الرديئة وتبديلها بالخواطر المحمودة [٦٤] وكذلك في كل شيء تجده من مثل هذا.

يقول لك (268) إيّاك والاعتراض [٢٥٩] على شيخك لا بظاهرك ولا بباطنك فيما تعلم أنه لا يجوز فكيف فيما تجهل فلنقل ما جرى لنا في ذلك وبعد هذا أرجع إلى كلام الشيخ في هذه الوصيّة وذلك أنّي كنت في خدمة شيخ جليل القدر عيسويّ الوِرْث فقال لي مسألة أعلمُ أنّ الحقَّ في خلافها وكانت أن عيّن لي شخصًا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد ذكر ذلك الشخص فقام شخص وادّعى أنه ذلك الشخص أو أُدْعِيَ فيه ولم يكن هو فقال الشيخ إنه هو فقلت له يا سيّدي ما هو هو لم يكن غير ذلك وخرجت من عنده والشيخ متغيّر عليّ فما مشيت من عنده يسيرًا إلا ولقِيَني رجل في الطريق مستقبلاً فقال لي سلِّم إلى الشيخ ما قاله ولا تعترض عليه فرجعت من حيني إلى الشيخ مستغفرًا ممّا جرى وقد سلمت نفسي إليه ليعاقبني على ما بدا منّي بما يراه ولما دخلت عليه ابتدأني وقال لي يا محمّد مِن أين أقدر في كل وقت تنازعني في مسألة أن يأتيك الخضر يقول لك سلِّم إلى الشيخ ما قاله فرميت نفسي عليه فلم يعاقبني فلما كان بعد ذلك بمُدّة ظهر للشيخ صدْقي فيما قلته في تلك المسألة ورجع عمّا كان يعتقده في ذلك الشخص فأفادني الخضر التسليم لأهل الله فقد ينطق الشيخ بما يُلقى إليه من عند الله وقد ينطق بما يراه في نفسه لا بما أراه الله ويكفي في هذا الباب الحديثُ الصحيح في إبّار النخل ونهى النبي عليه السلام (269) عن ذلك ثم رجوعه عنه [٦٥] وقال «**أنتم أعلم بمصالح دنياكم**» وأيضًا حديث أُسارى بدر وهو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا شكّ أن الشيخ ما قال لي إنّ الله تعالى أخبرني فكان الأوْلى أن أسلم إليه [٢٦٠] مقالته ولا نعترض وبعد

(267) ح: إن

(268) ي: -

(269) ي: صلى الله عليه وسلم

ذلك ذقت هذا المقام من نفسي. واعتُرِضَ عليّ في أمر نتحقّق أنه الحقّ لما كنت فيه على بيّنة من ربّي.

ومعلوم أن الشيخ في هذا الطريق وإن كان ليس بمعصوم أي الدليل ما يقوم على عصمته في حركاته وعلى غير عصمته فإنّا لا ندري في نفس الأمر ما هو عند الله هل هو ممّن عصمه الله أم لا وقد ذكرت لك أنّ أهل الله المخبرين عن الله قد يصدر منهم ما هو مخالف لما تقرّر في المذاهب لحديث ورد من طريق صحيحة بالنظر إلى أهل هذا الشأن ويكون الشيخ قد أعلم في أخباره أنّ ذلك الدليل ليس بشيء وأن النبي عليه السلام ما ذكره ولا نطق به فقد ابتني ذلك الحكمُ عند الفقهاء على دليل واهٍ ساقط تبيّن سقوطه عند هذا الشيخ من طريقه المعتادة فيما يخبر به فربّما بل يقطع على الأجانب أنهم يقولون بتخطئة هذا المخالف ومخالفته أمرَ الله تعالى وأنه في هذه المسألة على غير الشرع وهو في نفس الأمر على الشرع المطهّر وأن العلم عنده وعند الفقهاء غلبة ظنٍّ لا علم بذلك فإن الشيخ ما يدعو إلى الله إلا على بصيرة لاتّباعه الصحيح أوامر الشرع ابتداءً حتى كان من أهل الاختصاص وقد شهد الرسول لمثل هذا بذلك وأخبرنا الله به فقال إنما ﴿**أَدْعُو** [٦٦] **إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف ١٠٨] فقال إنه بالاتّباع يكون الإنسان على بصيرة من أمره.

ولا ينبغي لشخص أن يخدم شيخًا على الشكّ فيما يدعو إليه ولا يخدمه على انه معصوم أيضًا ولا ينبغي له أن يقتدي بأفعال الشيخ في نفسه إلا أن يأمره الشيخ بذلك [٢٦١] ولا يقتدي بما يراه قد أمر به غيره فربّما ذلك الأمر لا يصلح لهذا (270) الشخص فلهذا سكت عنه فإن الشيخ غير متّهم في نصح العامّة فكيف في نصح مريدي التربية فإيّاك أن يخطر لك في باطنك اعتراض عليه بوجه ولو رأيته يفعل ما يفعل ورأى تلميذٌ شيخَه قد جاء إليه شخص بكأس فيه خمر فناوله إيّاه فشرب منه والتلميذ يتحقّق أنه خمر معاينة فشرب الشيخ بعضه ثم ناوله التلميذَ فلما شربه التلميذ رأى شرابًا أحْلى من العَسَل فقال التلميذ التوبة ممّا خطر لي فتبسّم الشيخ.

(270) ح: بهذا

وقد عاينّا بأنفسنا من هذا كثيرًا ولقد جئت لماء ملح لا يُشرب جملة واحدة فسقاني بيده منه شخص كنت أصحبه ثلاث غرفات أو أكثر حتى رويت وكنت أنا إذا تناولت منه بيدي لا أقدر على تجرُّعِه لمرارته والماء هو الماء عينه.

وهذه مسألة خاصّة لا يعرفها إلا عالم متبحّر [271] أعني تغيّر الطعام في الطعم أو الشراب أو النكاح في الصورة حتى يرى الرائي بعينه صورةً لا يشكّ أنها فلان معيّن عنده وليس إلا روح تجسّد كجبريل في صورة دحية فما شكّ الصحابة أنه دحية وهو جبريل وقد رأيت مثل هذا فتحفّظ من هذا الباب وسلّم الأمرَ إلى صاحبه واشتغل بما يأمرك [٦٧] به لا بما تراه يفعله فإن ذلك تضييع لوقْت المريد فإنه لا يمضي عليه زمان لا يكون فيه تحت أمر من الشيخ جملة واحدة فليُشغِل نفسه بما أمره به الشيخ حتى ينقله عنه.

واحذر أن يخطر لك خاطر رديء في أحد من خلق الله [٢٦٢] كان ذلك الخلق مَن كان ممّن أحسن أو أساء فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**» والعاقل لا يتفرّغ إلى غيره حتى يتفرّغ عن نفسه ولا يتفرّغ عن نفسه أبدًا فإنه مراقب لنفسه ما يُحْدِث الله فيها في كل نفَسٍ مستقبلٍ مشتغلٌ بما ألقى الله إليه في وقْته فيها من الخير هذا حظّ المؤمن فكيف حظّ المختصّ في الإيمان بالإتّباع.

كان الشيخ إبراهيم بن طريف يقول لي يا ولدي ما أرى في العالم إلا وليًّا لله بالنظر إليّ فإنه لا يخلو مَن يعرفني أن يكون حامدًا لما أنا عليه أو ذامًّا فإن حمدني فأقول هذا ولي ما رآني إلا بصورة ما هو عليه فالحمد لله الذي أراني وليًّا من أوليائه وإن ذمّني أقول هذا رجل قد كشف الله له عن عيبي ولا يُكاشف إلا وليّ أوهذا رجل يَسْمِيني بما ينسب لي ومُذكّر حتى نتحفّظ من هذه الصفة فما ينصح عباد الله إلا ولي لله هذا كان اعتقاده رحمه الله في الخلق كلهم فهكذا فليكن المريد مع الناس فكيف مع شيخه.

(271) ح: متبجر

ثم قال **وأكثر النظر إلى وجه الشيخ وإلى أفعاله ومهما كان مقبلاً عليك بوجهه فلا تعرض عنه أصلاً** هذا إذا كنتَ حاضرًا عنده بين يديه فلتكن (272) بهذه [٦٨] الصفة ولكن تمام ما أوصاك به في هذا أن يكون في بصرك نظرُ ترحّمٍ بفتور لا تحرّدٍ (273) النظرَ فيه فإن ذلك نظر البغيض والمحبّ في نظره ترحّم وربّما تدمع عينه عند نظره لمن هو عظيم عنده وقد شاهدنا ذلك من مريدين كنّا نُرَبّيهم فنعرفهم في نظرهم إلى وجوهنا ولا يكن في نظرك جمود عندما تنظر في وجه الشيخ فإنه ينبيء عن بَلادة وعن عداوة خفية لا يشعر بها صاحبها [٢٦٣] حتى تقع منه في المستأنف ولا ينبغي للشيخ أن يثق بمن (274) يكون نظره في وجهه بهذه المثابة وليحفظ الشيخ نفسه من مثل هذا أو يتعمّل في طرده عنه والغالب على من يكون نظره في شيخه باحتداد وجمود الملل ولا يثبت عنده ولا يبرح يخطر له فيه خواطر رديئة وأكثر ما يُعَامِله صاحب هذه النظرة بالنفاق ولا يشكر كل أحواله فإذا علم المريد هذا من نفسه فلا يقعد عند هذا الشيخ فإنه لا ينتفع به ما لم تقم الحرمة عنده فيه.

ثم قال **وقرِّر في نفسك الهيبة من الشيخ** هذا إن قدر على ذلك فإنه قليل ما يحصل هذا في القلب إلا بوهب من الله وعناية (275) منه وإما بالتقرير فبعيد أن يثبت مثل هذا في القلب فإنه مِن جعْله ولا يثبت إلا ما هو مِن جعْل الله فإن المريد أعمى في حقّ شيخه لا يرى معه سواه ولا يتجلّى الله تعالى له إلا في صورته فإذا كان بهذه المثابة حينئذ ينتفع به.

ذكَر القشيري في رسالته أن بعض التلامذة سقطت حرمةُ الشيخ من قلبه [٦٩] فأمَره بالاعتزال عنه ما دام هذا الأمر في نفسه فانعزل فلما عادت حرمته عنده كما كانت عاد إليه فانتفع به.

ولله رجال ونساء جبلهم على الخير المحض فلا يرون أحدًا إلا ويحسنون الظنّ به بل ما يخطر لهم فيه خاطر رديء وهذه قلوب

(272) ح: فليكن
(273) ح: تحدّد
(274) ح: ممّن
(275) ح: وعناية به

قد خبأها [276] الله للخير المحض فهم ينتفعون بكل أحد فمن وجد ذلك من نفسه فليشكر الله على ما منحه ثم قال بعد قوله **وقرّر في نفسك الهيبة من الشيخ**.

قال **والخوفَ منه إنه المتحكّم في موتك وحياتك وإيجادك وإعدامك بإذن الله سبحانه.**

أما قوله **الخوف** [٢٦٤] **منه** لئلا ينظر فيك نظرةَ مقت ولا تفلح أبدًا وأما قوله **إنه المتحكّم في موتك وحياتك** أي المتحكّم فيك في حال موتك وحياتك أي اعتقدْ فيه أن الله تعالى تجلّى لك في صورته كما قال الله تعالى في حقّ الرسول ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء ٨٠] فإن كلّ مخبر إذا لم يخبر عن نفسه وأخبر عن غيره فإنه قد تجلّى لك في صورة ذلك الغير من حيث ما أخبر به وقد تجلّى لك ذلك الغير في صورته من حيث أنه المترجم عنه فهو القائل لا هذا المشافِهُ بالخبر فمن مات وهو تحت حكم شيخ فإن الله لا يتجلّى له في القيامة إلا في صورة ذلك الشيخ هذا تحقّقَ عندنا ذوقًا ورأيناه من نفوسنا مع الحقّ فإن اعتقاد المريد فيه أنه تجلّي إلهي كما يعتقد أنّ الله هو القائل على لسان عبده المصلّي «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» بالخبر الصحيح فكيف إذا حصل الكشف وهذه مسألة كبيرة مفيدة لمن عرف [٧٠] ومِن هنا يُعرف مرتبة الرسل ومَن هو المشرع للناس.

وقد نبّه ابن قسي في باب الرؤية الإلهيّة يوم القيامة أنه يُرى رؤيةً محمّديّة في صورة محمّديّة يعني في هذه الأمّة وهو أكمل صورة خلقيه يتجلّى فيها فهذا معنى ما قاله هذا الشيخ في تحكُّم الشيخ في موتك وحياتك ولم يقل في [277] إماتتك ولا في إحيائك.

ثم قال **وإيجادك وإعدامك** أي في إيجادك [278] ما تجده وفي إعدامك ما تعدمه من حيث أن الشيخ ظاهر بأسماء الله ومن أسماء الله عزّ وجلّ الضارّ النافع وإذا أوجد الشيخ في المريد أمرًا فإنه لا يوجد إلا خيرًا فهو الاسم النافع ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [النساء

(276) ح: حباها
(277) ي: صلى الله عليه وسلم
(278) ح: اتّحادك

٧٩] وإذا أعدمك [٢٦٥] صفة تقوم بك تؤدّي إلى هلاكك فقد أعدمك الشرّ. إلا أن يَصدر منك ما يوجب أن يسلب عنك ما كنت عليه من الخير كما يفعل بعض الشيوخ في سلب أحوال المريد لمنفعة يراها لما رآه الشيخ من زهوه بتلك المنحة فيسلبه تلك الحالة في الدنيا ويحفظها له في الآخرة فيعود بها عليه وقد جرى هذا للشيخ أردشير (279) رحمه الله في حقّ مريد كان له ذكر ذلك لي عبد الله بدر عن شيخه وصاحبه مكّي الواسطي وكان من الأكابر من أهل الإلقاء واللقاء رضي الله عنه.

وأما قوله **بإذن الله تعالى له في ذلك كله** فذلك من تأدّبه حيث أخبر الله تعالى عيسى عليه السلام في ذكره امتنانه عليه قال ﴿ **اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ .... إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ**﴾ فذكَر خلق الطير وإحياء الموتى ونفخ الروح وإبراء الأكمه والأبرص وقال كل ذلك ﴿**بِإِذْنِي**﴾ [المائدة ١١٥] [٧١] وفي آية أخرى ﴿**بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران ٤٩] فهذا من أدبه في وصيّته.

ثم قال **فإن رأيت الشيخَ يأمر غيرَك بفعل كنت تفعله بين يديه أو يقول الشيخ شيئًا فيردّه عليه غيره ممّن حضر عنده فيرجع إلى قوله أو يحضر عنده عاصٍ بمعصيّة فينهاه عنها نهيًا لينًا ويدعو له ويردّدُ ذلك عليه ويقول هذا بقضاء الله وقدَره فكلّ ذلك لحكمته فتأدّبْ بذلك وتخلّقْ بأخلاقه جهد الطاقة.**

يقول إن الشيخ قد يُقام في وقت يقتضي له أن يخاطب الجماعةَ في واحد لأمر يقوم له في نفسه في خطابه لذلك الواحد والمراد الجماعةَ كقضايا الأعيان إذا أراد الشارع بذلك الأمّة فيكون حكمه على الواحد حكمه على الجميع فيأمر الشيخُ ذلك الغير فافعل أنت ذلك الفعل المأمور به ذلك الغيرُ [٢٦٦] بين يدي الشيخ فإن كان أرادك به فهو يسكت عنك فيه وإن لم يردك به فإنه ينهاك عنه في ذلك الوقت أو تكون أنت في فعل من الأفعال فرأيت الشيخَ يأمر غيرك به وهو ساكت عنك فيه فلا تفعله أنت واتركه على مشاهدة من الشيخ لك في تركه فإن سكت عنك الشيخ تعلم أن مراد الشيخ فيك أن لا تفعل

(279) ي: أزدشير

ذلك وإن لم يسكت وأمَرك أيضًا أو خيّرك فيه فإن أمرك فابق على فعلك وإن خيّرك فلا تفعل إلا إن رأيت المأمور به الذي هو غيرك قد ردّ ذلك على الشيخ بكونه لم يفعل وسكت الشيخ عنه فافعله أنت ولا تغترّ [٧٢] بسكوت الشيخ.

وأما إن خيّرك وذلك الغير قد بادر لما أمره الشيخ بفعله فلا تفعل مع التخيير وقبول ذلك الغير فإن رأيت ذلك الغير المأمور بذلك الفعل يردّ على الشيخ ما قاله وأن المصلحة في تركه فيرجع الشيخ إلى قوله ولا ترجع أنت واسرعْ في ذلك الفعل بمرأى من الشيخ فإن كان رجوع الشيخ لقول الغير رجوع قبول فسينهاك عن ذلك الفعل وإن سكت عنك ولم ينهك عنه فاعلم أن رجوعه إلى قول ذلك الغير مكْر من الشيخ به فإن للشيوخ مكْرًا إلاهيًّا يمكرون بالتلامذة فيه إذا رأوا من المريد علامة عدم الفلاح بجوابهم للشيوخ أواعتراضهم عليهم (280) أوتصويب قولهم دون قول الشيخ فإنه لا معصيّة أعظم على الإنسان بعد الشرك من قتْل الرجل نفسه.

وقد ذكر القشيري رحمه الله أن بعض الشيوخ أمر تلميذه أن يَسْجُر [٢٦٧] التنّور ففعل فجاء إلى الشيخ فعرّفه والشيخ في حال مع الجماعة فألحّ عليه بالتعريف حتى أغضب الشيخ وأضجره فقال له عند ضجره (281) ألق نفسك فيه فامتثل أمر الشيخ وألقى نفسه فيه ثم تذكّر الشيخ فقال أدركوه فإنه بايعني على السمع والطاعة في المنشط والمكره فتبادروا إليه فوجدوه في التنّور كأنه في الحمام يتصبب عرقًا والتنّور في غاية من الحمى فجاءوا به إلى الشيخ ففرح الشيخ به وقال هكذا تكون خدمة أهل الله الناطقين عن الله فهم في مثل هذا كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لربّه «**يا ربّ إني بشر. أغضب كما يغضب البشر.** [٧٣] **وأرضى كما يرضى البشر. اللهم من دعوت عليه أو سببته** يعني في وقت غضبه (282) **فاجعل ذلك عليه رحمة ومغفرة ورضوانًا**» ففعل (283) الله معه ذلك حتى إنه

(280) ح: عليه
(281) ي: ضجر
(282) ي: غضب
(283) ي: ففعال

يومًا دعا على صبيّة صغيرة أضجرته فخافت من دعائه فقال لها لا تخافي فقد سألت الله وذكر هذا الخبر فكان دعاؤه بالشرّ خيرًا في حقّ المدعوّ عليه.

وأراد الشيخ أن يظهر لمن عنده تأسّيه برسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك وتأدّبه وما تنتجه (284) طاعة المريد للشيخ إذ الواجب على المريد أن يرى نطق الشيخ نطق (285) الحقّ في جميع ما ينطق به من خير وشرّ عرفًا وشرعًا وهذا عزيز في المريدين جدًّا بل الغالب على القابلين منهم أن يقبلوا ذلك إذا قبلوه ولم يردّوه على كره منهم لا جرم أنهم يعاقبون على الردّ وإن كان الحقّ بأيديهم في ذلك ولكن طاعة الشيخ أوْلى بالمريد على كل حال.

ولقد قال لي شيخ يومًا كلامًا فيه فحش عظيم أوصله إلى الغير [٢٦٨] من عامّة الناس وإيصال ذلك معصيّة في الشرع المقرّر عندنا فتأدّبت لامتِثالِ (286) أمره بمَحْضَر الجماعة فقال لي و تفعل ذلك قلت له إي والله قال وتعلم أن ذلك معصيّة شرعًا قلت نعم قال وكيف تفعله وأنت تعلم أنه معصيّة شرعًا عن كره أو عن طيب نفس قلت له عن طيب نفس قال وبما ذلك قلت له لأنّا ما أخذنا الشرع عن الشارع وإنما أخذناه بالنقل عنه كما قال أبو يزيد أخذتم علمكم ميّتًا عن ميّت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا [٧٤] يموت وكلامك عندي هو الشرع المقرّب إلى الله فإنك عندي ممّن ينطق [عن الله لا] (287) عن هوى نفسه والأخذ عنك أثبت وأصحّ من أخذي من أقوال علماء الشريعة فقال بارك الله فيك اجلسْ لا تفعل ذلك فإني ما أردت إلا أن أُرى الجماعة صدْقك في الخدمة وقيامك بالحرمة وقد ظهر والحمد لله يا بنيّ أن ذلك الذي أمرتك به معصيّة عندي وما كنت لأتركك بفعل ذلك وإنما (288) ابتليتك حتى تعلم (289) كما قال تعالى في مُحْكم كتابه مع علمه ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ**﴾ [محمّد ٣١].

---

(284) ي: ينتجه
(285) ح: بنطق
(286) ح: فتأدّب لامساك
(287) ي: -
(288) ي: وانا

وأما قوله رضي الله عنه **أو يحضر عنده عاص بمعصيّة فينهاه عنها نهيًا ليّنًا** فذلك منه امتثال لما أمر الله به موسى وهارون إذ أرسلهما إلى فرعون فقال لهما ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى.**﴾ [طه ٤٤] ولا معصيّة أعظم من الشرك ومع هذا أمرهما باللين فيما يدعوان به فإن الله يحبّ الرفق في الأمر كله فجاء الخبر بكله وهذا من الأمور التي ينبغي فيها الرفق فإنه من الإحسان و النفوس قابلة لما يكون من المحْسن مجبولة على حبّ مَن أحسن إليها والحبّ يقتضي القبول [٢٦٩] فينتهي بالرفق والكلام الطيّب كلُّ أحد ولا ينتهي بعدم الرفق إذا أعنف وشدد الناهي في نهيه كلُّ أحد فإن النفوس تكره أن يُحْظَر عليها وأن تُنازع (290) ولا سيّما في هذه الأمّة على الخصوص فإن الله تعالى ما أرسل محمّدا رسولها إلا رحمة حتى إنه لما دعا صلّى الله عليه وسلّم على رِعْل وذكوان وعُصَيَّة من المشركين في القنوت أوحى الله إليه ينهاه عن الدعاء عليهم فقال له ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً** [٧٥] **لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء ١٠٧] ﴿ **وَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ [الشورى ٤٨] ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية ٢٢] أي بمتسلّط.

فمن أجل هذا نهى هذا الشيخ من نهاه نهيًا ليّنًا ودعا له بالتوفيق كما فعل الجنيد حين مرّ مع أصحابه على قوم مجتمعين على معصيّة فغضب الجماعة وقالوا للشيخ ادعُ على هؤلاء وقال الجنيد اللهم كما جمعتَهم على معصيّتك فاجمعهم كذا على طاعتك.

فانظر ما أحسن هذا وما أبلغه فبلغ دعاء الجنيد لتلك الجماعة فبادروا (291) إليه وتابوا على يديه فهذا ما أثره الإحسانُ في الدعاء إلى الله ونحن وإن لم نرض بالمقضي- به فإن الله ﴿ **لا يَرْضَى لِعِبَادِهِ**

=

(289) ي: نعلم

(290) ي: يُنازع

(291) ح: فتبادروا

الْكُفْرَ﴾ [الزمر ٧] لكن يتعيّن علينا ويجب [292] الرضا بقضاء الله وقدَره والقضاء ليس عين المقضى فلا يتنافى عند من تعلّم [293] العلم.

واعلم أنه لا شيء أصعب في هذا الطريق ولا أشدّ خسارة ولا حرمانًا من الاعتراض على الشيوخ وردّ القول عليهم وإذا رأيتم الأجنبيّ فضلاً عن المريد يردّ [294] على الشيوخ بما تقرّر في علمه فاعلموا أنه محروم لا يفلح أبدًا ولا يجيء منه [295] شيء ما دامت هذه الخلّة فيه ولا أقلّ من أن ينزلوا هذا الشيخ [٢٧٠] منزلة المجتهد إذا اجتهد في الحكْم [296] ومن ردّ على مجتهد حكمه [297] بالنظر إليه فقد أساء الأدب على الشارع وردّ ما قرّر الشارع حكمه في حقّ ذلك المجتهد ومن ردّ شرعًا مقرّرًا فقد عصى الله ورسولَه فيما قرّره وإن كان هذا الفقيه لا يقول بذلك ولا تعبّده الله به وحرام عليه فعله لا قبوله من ذلك المجتهد وهذا يقع كثيرًا من جهلاء المقلّدة من الفقهاء مَن تقدم مِن الأئمة فأضافوا إلى التقليد [٧٦] الوقوع في المجتهدين وتخطيتهم وليس لهم ذلك.

ثم قال وإن رأيت يجري أمرٌ [298] من أمور الدنيا بحضور الشيخ وتعتقد في ذلك أنه ما هو على وجه المصلحة فافهم من ذلك أن أمور الدنيا ما ينبغي أن يأتي بها الإنسانُ على وجه السداد والإحكام بل دفع حال [299] يوم بيوم ثم عرّض نفسك لفعْل ذلك فإن أذِن لك في إصلاحه وإلا قد فهمت الغرض وبالجملة كن [300] بين يدي الشيخ كأنك بين يدي مَن إذا رأى منك زلّة قطع رأسك بل هذا أبلغ فإنك تخسر مع ذلك والعياذ بالله الدنيا والآخرة فاحفظ نفسك وتوسّل إلى الشيخ في جميع ذلك ثم بعد ذلك تسعى في تطييب

---

(292) ح: نحب
(293) ي: يعلم
(294) ي: يعترض
(295) ي: -
(296) ح: فحكم
(297) ي: كلمةً
(298) ح: أمرٍ
(299) ي: -
(300) ي: فكنْ

قلب كل مريد للشيخ وتحترمه وتهابه غاية الهيبة والاحترام وتكرمه فإن المريد إكرامه لأجل الشيخ ولكرامة عين تكرم مائة عين وإن قدرتَ على المواساة فإياك من التقصير في ذلك إلى كل من قدرتَ عليه خصوصًا المريدين وليكن السخاء والإيثار سجيتك وليكن [٢٧١] الذل والمسكنة والانكسار شيمتك أيها المريد دائماً وكذلك الحزن وكن شديدًا في كل ما ذكرتُه لك قوي العزم في ذلك جميعه وتعلم أنه مهما كان قلب الشيخ معك ما يضرّك أحد أصلاً وإن زال قلب الشيخ عنك والعياذ بالله صرت [٧٧] بين الناس كالمطرود من مكان [إلى مكان] (301) والعياذ بالله من ذلك واعلم أنه إذا كان قلب شيخك معك لو اجتمع أهل السماء والأرض أن يضرّوك لم يقدروا على ذلك فإنه مهما كان قلب الشيخ معك كان الله معك.

شرح أما قوله فيما يجري من أمور الدنيا بين يدي الشيخ إلى قوله دفع حال يوم بيوم فاعلم أولاً أن هذا الشيخ قاصر في العبارة عمّا يجد (302) واعلم أن القوم قد ذكروا في الفتوح المصطلح فتوح في العبارة وما كل من يجد يقدر على التوصيل وما كل من يقدر على التوصيل يكون حسن العبارة عن ذلك فيما يمكن أن يوصل وما لا يمكن فذلك (303) مُمْتَنع لنفسه كعلوم الأذواق فقال لك هذا الشيخ في وصيّته فيما يجري من أمور الدنيا بحضور الشيخ به (304) و سكوت الشيخ على ذلك ولا تعتقد (305) فيه إن جرى مثل ذلك ما فيه مصلحة بل فيه مصلحة يعلمها الشيخ ويجهلها غيره هذا لا يلزم قد تجري (306) أمور من أمور الدنيا ما فيها مصلحة عرفيّة ولا شرعيّة في حكم الظاهر ولله فيها سرّ فقد يكون في ذلك ابتلاء إلهي في حقّ الحاضرين الشيخ وغيره فإنه القائل تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾

(301) ي: -
(302) ح: تجد
(303) ي: لذلك
(304) ح: -
(305) ي: يعتقد
(306) ي: يجري

[محمّد ٣١] وما ذكر بأي شيء وقد يكون في المجلس صاحب دعوى فيبتلى بما جرى ليرى ما يقع منه في ذلك.

وأما قول هذا [٢٧٢] المبلغ **فافهم من ذلك أن أمور الدنيا ما ينبغي** يقول ما (307) يلزم **أن يأتي بها الإنسان على السداد** [٧٨] **والإحكام** يقول قد يدفع بها حال الوقت ولا شكّ أنه يريد سدادًا خاصّا فإن دفْع حال الوقت مِن أحسن السداد ولكن هذا الذي ما عنده حالٌ يدفعه ما جرى لا يكون عنده ذلك سدادا وهو سداد عند من يدفع به حال وقته ثم إن اعتبرتَ غرض الشارع فيما جرى فإن كان يحمده الشرع فهو السداد بلا شكّ فإنه لا يلزم من أمور الدنيا أن تكون كلها مذمومة شرعًا كما ورد في خبر صحيح المعنى «**الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشرّ. إذا قال أحدكم لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربّه**».

وقال قتادة «ما أنصف أحد الدنيا (308) ذُمَّت بإساءة المسيء فيها ولم تحمد (309) بإحسان المُحْسن فيها» وإن كان ذلك الذي جرى ممّا يذمّه الشرع فقد ذمّه لسان الحقّ فلا (310) حكم لك فيه بل الحكم للشرع فغايتك أن تقول لماذا سَكَتَ الشيخ عن مثل هذا فاعلم أن المنكرات قد ورد الأمر بتغييرها على قدر الاستطاعة فإن اقتضى الوقت التغيير باليد فاعلم أن الإيمان بالسلطان والولاة قويّ وإن لم يقدر باليد وكان آمنًا على نفسه إذا غيّره باللسان فهو وسط ما هو بذلك القوّة في الولاة أعني الإيمان ولا بذلك الضعف وإذا (311) لم يكن آمنًا على نفسه إذا غيّره باللسان وغيّره بقلبه لكونه مؤمنًا فذلك أضعف [٢٧٣] الإيمان في السلطان والولاة لا في حقّ هذا المغيّر بقلبه فإن حقّ نفسه عنده جعله الله أعظم الحقوق عليه حتى [٧٩] قال فيه «**أنه من [قتل نفسه] (312) بيده حرّم الله عليه الجنّة**».

---

(307) ي: -
(308) ي: الدنيا أحد
(309) ي: يحمد
(310) ي: ولا
(311) ي: إن
(312) ي: -

وقال في قتل [313] غيره «**إذا لم يؤخذ به أن أمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء آخذه به**» فما قطع عليه مثل ما قطع على القاتل نفسه فالظالم نفسه أعظم من الظالم لغيره فإن الإيمان إذا كان في السلطان في غاية من الضعف بحيث أن لا يأمن هذا المغيّر [314] باللسان أو باليد من جور السلطان عليه وقتله من أجل ذلك فهو مخيّر بين أن يغيّر أو لا يغيّر فإن غيّر مع علمه بقتله فإنه ظلَم نفسه وإن لم يغيّر فإنه ظالم لنفسه وهو من المصطفين الذين ورّثهم الله كتابه ويحتاج المغيّر مثل هذا إلى معرفة [315] بقوّة نفسه ومنزلتها فإن في [316] مثل هذا يقول أبو سليمان الداراني إني أرى [317] المنكر وأعلم انّي إن غيّرته قُتلت ووالله ما أخاف الموت ولكني أتركه لكوني لا آمن على نفسي أن يدخلها التزيّن بذلك عند الموت حيث قتلت على تغيير المنكر ولا يصفو لي الأمر مع عدم نفسي. فأتركه فهكذا حاسب القوم نفوسهم.

وإن كان ذلك الأمر الذي جرى بحضور الشيخ من أمور الدنيا ما للشرع عليه إلا حكم الإباحة والشيخ بل أهل الطريق بلا خلاف لا يرون أن يمشي ـ عليهم زمان في تصرّفاتهم في مباح بل في واجب أو [٢٧٤] مندوب فإن لم يكن ثَم ما يقتضي. وجوبًا ولا ندبًا فلا أقلّ من حضور المؤمن في ذلك المباح إحضار الإيمان فيه أنه مباح وهو واجب عليه أعني الإيمان بإباحته فيكون حال الشيخ في ذلك الوقت أو [٨٠] مَن كان من أهل الطريق النظر في وجوب الإيمان بإباحته فيكون ناظرًا في واجب.

ثم إن الشيخ المحقّق ما يفرّق في أفعال الله كلها الجارية في الدنيا بين ما هو من حيث الدنيا أو من حيث الآخرة لشهوده المصرّف [318] في

(313) ح: قتله
(314) ح: للغير إن غيّر
(315) ي: تَعَرُّفِه
(316) ح: -
(317) ي: أرنى
(318) ح: المصرّف

التصريف (319) فهو ينظر في حكمة ذلك الواقع من الله في ذلك الوقت وفي تلك الجماعة وإما أن يكون للمجموع أو لأحدهما فلا بدّ من العلم بالمناسبة بين ما ظهر وجرى من ذلك (320) وبين الزمان والجماعة أو (321) أحدهما فيعلم أن تلك المناسبة اقتضت جرْي ذلك الأمر فينظر عند ذلك في الأمر المناسب ما حكْم الله المشروع فيه مع شهوده أنه من عند الله وبتصريف الله هذا لا يغيب عنه ولا عن أهل الله فإذا علم حكم ذلك المناسب كان بحيث علمه (322) به فإن اقتضى- العلم أن يتكلّم في ذلك بنهي أو غيره تكلّم وإن اقتضى- له السكوت سكت فإن الكبير يجري بحكم العلم في الأشياء كما قال بعض السادة ليس السخي من سخا بماله وإنما السخي من سخا بنفسه على العلم يقول يجعل العلم حاكمًا عليه.

فإن قلت فهذا صاحب المواقف قد قيل له في موقف العلم لا تأتمرْ للعلم (323) **قلنا** [٢٧٥] صدقت ما هو مُؤَتَمِر للعلم و إنما هو مُؤَتَمِر للعالِم الذي أمَره وإنّ (324) العلم لا يأمر وإنما الأمر للعالِم (325) الذي أمره فإذا أمر الإنسان نفسه بكونه عالمًا ذا علم فيتجوز في اللفظ بأن يقال إنما العلم أمَره بذلك وهذا تحقيق الأمر في نفسه كما قال في مثل هذا سبحانه وتعالى ﴿**لاَ** [٨١] **تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام ١٠٣] انباء عن حقيقة وإنما الحقيقة أن الذي يدركه المُبصر- بالبصر- لا البصر- كذلك العلم لا يأمر و إنما العالِم يأمر به إذ لا يأمر حتى يعلم وما كل من يعلم يأمر وقد قال السادة أن الصوفي ابن وقته.

فالشيخ ما سكت فيما جرى إلا على بصيرة وسكوته دعاء إلى الله وأهل الله المتَّبِعون هديه ما يدعون إلى الله إلا على بصيرة بالنصّ الوارد في ذلك وقد يكون الدعاء باللسان وقد يكون بالسكوت وعَدم النكير وقد تقرّر من حكم الشرع أن ترك النكير من النبي عليه السلام

(319) ي: التفريق
(320) ي: من ذلك من ذلك
(321) ي: و
(322) ي: علم
(323) ح: يأتمر العلم
(324) ح: فإنّ
(325) ح: للعالِم و إنما هو مُؤَتَمِر للعالِم

(326) إذا جرى أمر بحضوره حجّة حيث أنه شاهده وسكت عليه ولم يقل فيه بشيء فدلّ سكوته على إباحة ذلك في ذلك الوقت فسكوته عين حكْم في المسألة كسكوته بحضوره وقد أكل الضبّ على مائدته أكله خالد بن الوليد وغيره ولم يقل فيه بتحريم ولا تحليل (327) بل سكت فدلّ سكوته على إباحة أكله فهذه عبارة معنوية بلسان حال فالشيخ الكامل يُفيد بسكوته كما يُفيد بكلامه سواء.

يقول المترجم عن حال الشيخ على طريق الشرح (328) أن يفهم من ذلك أن أمور الدنيا ما يلزم أن تجري (329) [٢٧٦] على السداد بل دفع (330) حال يوم بعد يوم ذلك مبلغه وأن حاله يشهد أنه يريد (331) أن لو كان غير (332) ما جرى لكان أولى ولكن حكم الزمان وقد بيّنا أن الحكم في ذلك لله بما يعطيه الوقت فهذا قد ذكر بعض وجوه المسألة.

وأما قوله **ثم عرّض نفسك لفعل ذلك** يعني إن كان ما جرى مما يفعل إما بأن تتكلّم فيه أيضًا أنت (333) كما تكلّم الغير فإنّ حُكْم [٨٢] الشيخ مع المريد التلميذ عنده ما هو مثل حُكْم الشيخ مع مريد آخر ليس بتلميذ له ولا هو مثل حُكْم الشيخ مع الغير ممّن ليس بمريد أصلاً فالشيخ مع مريده حكمه أن يتكلّم بالمصلحة في حقّه أو يسكت عند الفعل سكوتًا هو كلام في المعنى منه عند هذا المريد [لعلمه بما] (334) يفهمه منه فإن كان مريده (335) من البلادة بحيث لا يفهم عن الشيخ بالسكوت فحينئذ يتعيّن على الشيخ الكلام مع المريد عندما

(326) ي: صلى الله عليه وسلم
(327) ي: بتحليل ولا تحريم
(328) ي: انشرح
(329) ي: يجري
(330) ي: رفع
(331) ح: مريد
(332) ي: عين
(333) ي: -
(334) ي: -
(335) ي: مريد

يعرض نفسه لذلك إما بالأمر فيه أو بالنهي عنه فتكون (336) عند ذلك بحسب ما يقوله الشيخ لك.

وأما قوله **وبالجملة كن بين يدي الشيخ كأنك بين يدي من إذا رأى منك زلّة قطع رأسك بل أبلغ** يريد أن تحذر من الشيخ كما تحذر ممّن يريد إزالتك (337) فإنك إذا عرضت نفسك لفعل (338) ما من غير أمر من الشيخ فقد تكون زلّة ومعلوم من الطريق أن الشيخ إذا لم يعاقب المريد على زلّته فقد خانه وخان الله فيه فإنه (339) حقّ عليه عقابه لا التجاوز عنه فإنه ما صحبه ودخل تحت حكمه إلا لإقامة أحكام ما يطلبه الطريق إلى الله (340) عليه.

ألا ترى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كيف قال «**من أبدى لنا صفحته**» يقول من ظهرنا (341) عليه بأنه (342) قد فعل فعلاً يقتضي إقامة حدّ عليه فيه أقمنا عليه حتى قال فأبلغ في قضيّة عين (343) في حقّ المرأة التي خانت الأمانة فقطع يدها فإنها كانت تستعير الحُلي ثم تنكره (344) وكانت [٢٧٧] من أشراف قومها فلما كُلِم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيها أن يتركها [٨٣] لشرفها قال صلّى الله عليه وسلّم «**لو أنّ فاطمة بنت محمّد**» يعني نفسه «**سرقت قطعت يدها**» لقول (345) الله في الثناء على قوم ﴿**لاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ [المائدة ٥٤] يعني في جنب الله والقيام بحقّه.

وأما قوله **فاحفظ نفسك وتوسّل إلى قلب الشيخ في جميع ذلك** يقول إن علمتَ من نفسك أنك من البلادة بحيث أنك لا تفهم من

---

(336) ي: فيكون
(337) ح: إذايتك
(338) ي: لتفعل
(339) ي: خانه
(340) ي: الله تعالى
(341) ح: طفرنا
(342) ي: فإنه
(343) ي: غير
(344) ي: تنكر
(345) ح: بقول

قرائن الأحوال عين حكم ما يريده منك الشيخ (346) فعرّف الشيخ بما أنت عليه فإن الشيخ قد يشتغل بالله في وقت عنك ولا (347) يعرف ما أنت عليه (348) ولا غيرك فتُنَبِّه (349) الشيخ بحالك حتى يعاملك بما يكون فيه مصلحتك فيعدل فيك إلى الكلام بما يريد منك أن تفعله أو أن لا تفعله ولا تتّكل فيك على قرائن الأحوال فإنك لست (350) من أولئك.

وأما قوله **ثم بعد ذلك تسعى** (351) **في تطييب قلب كل مريد للشيخ** بقول الله تعالى في حقّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهم له عليه السلام بمنزلة المريدين المربّيين للشيخ والشيخ وارث فهو كالرسول فيهم فإنه من أُولي الأمر فيمن حكمه على نفسه فوجبت طاعته كما وجبت الطاعة على الجميع لله ولرسوله ولا سبيل إلى نزاعه ولا إلى الردّ عليه والتأويل بحضوره والذي كان يطلب النبي صلّى الله عليه وسلّم من الصحابة من الإيمان بالله وبما جاء به هو بعينه يطلبه الشيخ من التلامذة الإيمان بما يخبرهم به عن الله وكانوا رضي الله عنهم بينهم كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ فكان يرحم بعضهم بعضًا ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً**﴾ [الفتح ٢٩] أصحاب [٨٤] خشوع وسكينة وهم بين يدي الله تعالى وبين يدي الشيخ وبين يدي بعضهم مع بعض كما قيل [في مجالسهم] (352)

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم (353)
لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

(346) ي: الشيخ منك
(347) ي: فلا
(348) ح: فيه
(349) ي: -
(350) ي: ليست
(351) ي: يسعى
(352) ي: شعر
(353) ي: رؤسهم

ما منهم شخص [٢٧٨] إلا ويهاب صاحبه هيبته (354) لشيخه ويحترمه احترام شيخه ولا يسامحه (355) في زلّة إن وقعت منه عن غفلة أو تأويل فينبّهه عليها ليرجع عن ذلك التأويل أو يذكر في ذلك وجهًا [مقرّبًا فيها] (356) إلى الله تعالى فتقع (357) الفائدة بينهما فما من مريد من هؤلاء إلا ويراقب أحوال صاحبه بحضوره ومراقبته (358) نفسه في خواطرها فإنهم مأمورون بأن يتواصوا بالحقّ ويتواصوا بالصبر ويتواصوا (359) بالمرحمة فإنهم أصحاب الميمنة ولذلك وصّى هذا الشيخ في هذه الوصيّة.

فقال **وتحترمه وتهابه** (360) **غاية الهيبة** يعني لمريدي شيخه وعندي أن ذلك ينبغي أن يعامل به في جميع عباد الله فإنه ما يدري متى تفجؤهم (361) رحمة الله فيكتب في عليّين في الحال بالحال فمن الأدب مع الله احترام عباد الله ولا ينظر إلى معصيّتهم التي وقعت منهم وليكره المعاصي لا العاصي.

وأما قوله رضي الله عنه **وتكرمه فإن المريد إكرامه إنما هو لأجل الشيخ ولكرامة عين تكرم ألف عين** يقول لما قام الشيخ للمريدين مقام الحقّ في عباده وجب عليهم أن يتحابّوا في الله أي لأجل الله لأنهم عبيد لسيّد واحد وهؤلاء أولاد دين لأب واحد فإن الله تعالى يقول ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الحج ٧٨] فسمّاه أبًا للمسلمين وقال في المؤمنين ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ** (362) **إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات ١٠] [٨٥] ولا يشكّ أن أبناء الأب أخوة بعضهم مع بعض فإذا صحّت الأخوة كانت الشفقة والرحمة وإذا كانت الشفقة والرحمة كانت النصيحة ولذلك قال رسول الله (363) صلّى الله عليه وسلّم «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قَالُوا**

(354) ي: بيبته
(355) ي: مسامحة
(356) ي: تقرّبًا
(357) ي: فيقع
(358) ي: مراقبته
(359) ي: ويتوا
(360) ي: ويحترمه ويهابه
(361) ي: يفجؤهم
(362) ي: المُؤْمِنُو
(363) ح: النبيء

لِمَنْ يَا رَسُولَ (364) **اللَّهِ قَالَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» ولا شكّ أن جميع عباد الله مسلمون لله لكن من طرق مختلفة ألا ترى المشركين كيف قالوا [٢٧٩] في آلهتهم إنهم ما يعبدونها إلا لتقرّبهم إلى الله فقد أسلموا نفوسهم إلى الله تعالى من طريق لا يرضاها الله فوجب نصحهم بأن يتركوا تلك الطريق إلى طريق ما شرع لهم.

ألا ترى ما أحسن تربية الله لعباده (365) المشركين في التنبيه على غلطهم بقوله تعالى ﴿**أَتَعْبُدُونَ** (366) **مَا تَنْحِتُونَ**﴾ [الصافات ٩٥] وقوله ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ**﴾ [النحل ١٧] وقوله ﴿**قُلْ سَمُّوهُمْ**﴾ [الرعد ٣٣] فلا يمكن أن يكون في الرفق بهم (367) من القادر عليهم والتلطّف وحُسْن الدعاء إلى الله تعالى والتعلّم (368) أحسن من هذا التلطّف الإلهي بهم.

فهكذا ينبغي أن يكون عليه أهل الله من الرحمة بعباد الله مطلقًا فكيف بالمؤمنين منهم فكيف بمن جمع معهم (369) على خدمة عالم بالله يقول الله تعالى يوم القيامة «**أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**» وقال بإيجاب محبّته لمثل هؤلاء فقال (370) في الصحيح «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ**» فأوجب على نفسه محبّة أمثال هؤلاء ومن أخذ محبّة الله من الله بطريق الوجوب أعظم منزلة ممّن أخذها بطريق الامتنان فإنه جامع لرحمتين من الله فإنه [٨٦] برحمة الامتنان أحبّ في الله من أحبّه وبطريق ما أعطته هذه الرحمة الامتنانيّة وجبت محبّة الله له فجمع بين الرحمتين كل محبّ أحبّ في الله من أحبّه.

---

(364) ح: يَرَسُولَ
(365) ي: عباده
(366) ي: تَعْبُدُونَ
(367) ي: -
(368) ي: التعليم
(369) ي: منهم
(370) ي: يقال

وأنبّهك (371) على أمر ذقتُه وهو عزيز وجوده وذلك إنك إذا صحبتَ أو أحببتَ شخصًا في الله واتّفق أن بغضك ذلك الشخص إما لشهوة (372) نفسه و خاطر سوء قام له فبغّضك لنفسه أو طرأ عليه شبهة فيك وتنبه (373) لبُغْضك في الله بحسب ما [أعطته له تلك] (374) الشبهة فابق أنت على حبّك فيه لله وعامِله معاملة المتحابّين في الله ولا تنظر لما طرأ عليه في حقّك ولتكن (375) أنت الرحيم به في ذلك فإذا فعلت هذا فقد وفّيت واعطيت المقام حقّه فاحرص على مثل هذا ولا يؤثر في حبّك فيه [في الله ما] (376) وقع عنده من البُغْض فيك في الله على [٢٨٠] زعمه فإنك ما رأيت منه ما يوجب بُغْضك فيه في الله ولتلطف (377) في إصلاح قلبه عليك رحمة به من حيث لا يشعر.

ثم قال هذا الشيخ **وإن قدرت على المواساة فإيّاك من التقصير في ذلك كل من قدرت عليه خصوصًا المريدين وليكن السخاء والإيثار سجيتك وليكن الذلّ والمسكنة و الانكسار شيمتك أيها المريد دائمًا** هذه وصيّة منه لإخوته من المريدين ولغيرهم من المؤمنين أن يكونوا بهذه الصفة وهو قوله تعالى «**والمتباذلين فيّ**» واحذر من التقصير مع القدرة على ذلك وليكن عطاؤك بقدر الحاجة وذلك هو السخاء وأما الإيثار فإعطاؤك ما [تتوهم أنك محتاج] (378) إليه في المستقبل وأنت مستغنٍ [٨٧] عنه في الحال ولذلك قال الله تعالى ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر ٩] فهذا تقدير وقوع الخصاصة فإذا كانت الخصاصة على التساوي فحقّ نفسك عليك أوجب عند الله وكذلك الأقرب فالأقرب حالاً كالزوجة ونسبا كالولد ودارًا كالجار ونسبة كالمملوك هكذا تربية الحقّ تعالى في ذلك على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم في أداء الحقوق وكل من

(371) ي: أنبهك
(372) ي: بشهوة
(373) ح: ينته
(374) ي: أعطيته لك لك
(375) ح: وليكن
(376) ي: الله مما
(377) ح: ولتتلطف
(378) ح: يتوهم أنك يحتاج

خالف ما عيّنه الحقّ في أداء الحقوق فتلك مواساة شهوة وغرض ما هي لله فليتحفّظ صاحب المواساة من هذه الأغلوطة ولا يجنح (379) فيها إلى تأويل فإنه لا بدّ أن يرا غبّ ما فعل وهذا لا يمكن إلا لمن راقب الله في أحواله وتصرّفاته.

ثم قوله في الانكسار والذلّ والمسكنة دلّك (380) على فوائد جمّة وذلك أن المعطي أبدًا يجد في نفسه عزّة على المعطي له وهو (381) أضرّ شيء يكون بالعبد فيحتال في إيصال ذلك للمعطي له من غير علم منه أنه أعطاه هذا المعطي شيئًا والحِيَلُ في ذلك كثيرة قد فعلناها كثيرًا ثم الذي يرجع إلي المعطي من العلم بالله في ذلك أن يقول لنفسه [٢٨١] لو كان هذا الذي آثرت به وواسيت به غيرك رزقك المخصوص بك ما قدرت على إخراجه ولا إعطائه وإذا لم يكن لك في تقدير الله وقسمته (382) الأشياء فقد علمت أنه أمانة بيدك وأنت (383) مأمور بأداء الأمانة إلى أهلها فما أعطيت ما هو لك وانما أعطيت ما أودعه الله عندك له فإن كان لك أجر فما هو إلا [٨٨] أجر أداء الأمانة فلا ترى مع هذا أن لك مزيّة ولا تميّز عليه بما أوصلت إليه [فإنك ما أوصلت إليه] (384) بالعلم الصحيح إلا ما هو له (385) لا لك فهذا دواء نافع إن استعملته لم تر لك (386) فضلاً على أحد فإن كان الأخذ منك بمنزلتك في هذا النظر فلا تبالِي في إعطائك إيّاه ذلك سرًّا وعلنًا وإن لم يكن له هذا القدم فإنك تعلم قطعًا أن نفسه الأبية تنكسر عند الأخذ منك ويرى لك فضلاً عليه فاحتلّ في إيصالك (387) ذلك إليه من حيث لا يقوم به انكسار ولا يجد ذلاً في ذلك والوجوه كثيرة.

---

(379) ح: يحتج
(380) ي: ذلك
(381) ي: وهذا
(382) ح: قسمه
(383) ي: أنت
(384) ي: -
(385) ح: لك
(386) ي: -
(387) ي: إيصال

وأما قوله **وكذلك الحزن** يقول يكون شعارك الحزن دائمًا وهو نظرك فيما فاتك [فإنك تجبر] (388) ما فاتك به فهي كدْية خفية أعني الحزن فإن الحزن متعلّقه ما فات تحصله (389) بالحزن كما تحصله (390) أيضا بالنيّة وليس له طريق أعني لتحصيله إلا أحد هذين الأمرين الحزن والنيّة.

وأما قوله **وكن شديدًا في كل ما ذكرته قوي العَزْمِ في ذلك جميعه** فاعلم (391) أن الله تعالى قد أمر عبده (392) فقال ﴿**واصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف ٣٥] وأولو العزم هم الأشدّاء الصلب في دين الله كأبي بكر في إيمانه في صلح الحديبيّة فما اختبر الله إيمان المؤمنين بأشدّ ممّا (393) اختبره في ذلك الصلح حتى أن عمر اختلّ عنده إيمانه في ذلك اليوم على صلابته في دينه ومن ذلك اليوم علمنا أن صلابته كانت طبيعيّة ثم آمن فصرفها في إيمانه فانه لما اضطرب إيمانه بهذا الشخص المعيّن بقيت [٢٨٢] الصلابة فيه على حكمها فقال أنعطي الدنية [٨٩] في ديننا ألسنا على الحقّ وهم على الباطل فلولا أن الله لطف به بأبي بكر فيما نبّهه به فقال له مثل (394) مقالة الرسول صلّى الله عليه وسلّم سواء وأما الصحابة فكادوا يموتون غيظًا لما أمرهم أن يحلّوا من إحرامهم في ذلك وأبو بكر ما عنده خبر لصلابة إيمانه وشدّته وحكمه على طبيعته انظر إلى قوله تعالى ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [النساء ٦٥] وقد قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما قضى به في صلح الحديبيّة ثم نصّ في ذلك المجلس فقال «**والله لا يسألون** (395) **خُطّة فيها لله رضا إلا أجبتهم لذلك**» فقد علمنا بهذا في إجابته التي

(388) ي: بخيرٍ
(389) ي: بتحصيله
(390) ي: تحصل
(391) ح: واعلم
(392) ي: عنده
(393) ي: ما
(394) ي: هل
(395) ح: يسألون في

أنكرها الصحابة أنها ممّا لله (396) فيها رضي وما منهم إلا من وجد في نفسه حرجًا مما قضى به في إجابته إلا أبو بكر الصديق لا جرم أن إيمانه وزن إيمان الأمّة كلها ورجحهم بمثل هذا ولقد حَصل لي بحمد لله هذا الإيمان الصدّيقي البكري برسول الله [وبورثته رضي الله عنهم] (397) حتى أنّي لا أقول بعصمتهم إلا فيما يبلغونه عن الله ولو وقع منهم جميع المخالفات والكبائر ما قدح شيء من ذلك في إيماني بهم مع كوني أعلم بأن الذي وقع منهم من الكبائر كبائر عند الله وأنهم قصدوا وقوعها على علم منهم أنها كبائر ولا ينقص عندي وفي قلبي مثقال ذرّة من إيمان (398) بهم فما فوقها لله الحمد على ذلك فإن عصموا عن مثل هذا فذلك لله (399) وهذه مسألة كثيرة التفصيل فيها وإيضاحها يطول لأن المؤمن لا يتعدّى في مثل هذا ما يعطيه الدليل [٩٠] العقلي والدليل العقلي لا يعطيه في حقّ هؤلاء إلا العصمة من الكذب في التبليغ عن الله خاصّة وما عدا ذلك فوقوعه جائز منهم إلا أن ينصّوا [٢٨٣] على ذلك بوحي من الله لهم فإنهم لا يعلمون ما في علم الله [فيهم فهكذا] (400) فليكن الإيمان وكذلك (401) قال النبي صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه في نهيه عن تأبير النخل «**ما أخبرتكم به عن الله فخذوه وما لا فأنتم أعلم بمصالح دنياكم**» فإن كنت نبيهًا صاحب يقظة فقد علمت ما أتى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في هذا الخبر وعلمت ما أشرت به فيما ذكرته.

وأما قوله **وتعلم** (402) **أنه مهما كان قلب الشيخ معك ما يضرك أحد أصلاً وإن زال قلب الشيخ عنك والعياذ بالله صرت بين الناس خسيسًا مثل المطرود من مكان إلى مكان والعياذ بالله من ذلك** واعلم أن قوله **وتعلم** (403) معناه تقطع وتجزم (404) كما يقطع العالم

(396) ح: الله
(397) ي: وبوريثه رضي الله عنه
(398) ي: إيماني
(399) ح: الله
(400) ي: بهم بهذا
(401) ح: ولذلك
(402) ي: يعلم
(403) ي: يعلم

بالشيء على الشيء فهذا من باب دلالته على الهمّة لما علم أن همم النفوس تؤثر في أجرام العالم وهذه مسألة عظيمة جدًّا قد نبّه عليها ذوقًا منه ولذلك (405) قطع ولو لم يذق [لم يقطع] (406) فبحاله نطق وبما هو عليه الأمر في نفسه نطق أيضًا.

وقوله **صرت بين الناس خسيسًا** أراد بالناس هنا أبناء جنسك من المريدين وأهل الطريق والخساسة التي وصفك بها عندهم معناها لا قدر لك في قلوبهم وسقطت من أعينهم ومن سقط من أعين أهل الله فقد سقط من عين الله فإيّاك ومخالفة أهل الله.

كان أبو يزيد يأكل طعامًا فقال لبعض المريدين كُلْ معنا فقال المريد إنّي صائم فقال أبو يزيد كُلْ معنا ولك أجر يومك قال إنّي صائم قال أبو يزيد كُلْ [٩١] ولك أجر عشرة أيّام فقال إنّي صائم قال أبو يزيد للجماعة دعوه فقد سقط من عين الله إذ (407) كان [٢٨٤] قد سقط بهذا الفعل من عين أبي يزيد ورمى به طريق الله فرُؤي (408) ذلك الشخص بعد ذلك وهو شيخ مُسنّ يتعرّض (409) للجواري في الطريق ويغمزهن.

وأما أنا فدخلتُ على شيخنا أبي الحسين يحيى بن الصائِغ بسبتة وهو يأكل طعامًا وبي وجع وذلك الطعام يزيد أكله في ذلك الوجع ومع ذلك كنت صائمًا فقال لي كُلْ معنا فذكرت له صومي ووجعي وانّ ذلك الطعام يزيد أكله في الوجع فعاود فقال كُلْ معنا فقلت بعد أن عرّفتك فالسمع والطاعة لك وأكلت فزال الوجع من حينه في أوّل لقمة فرأيت ذلك من بركة سماعي وطاعتي لكلام الشيخ ونظرتي الشيخ (410) بالتعظيم والتوقير وكذلك جميع من لقيت من المشائِخ

=

(404) ي: يقطع ويجزم
(405) ي: وكذلك
(406) ي: -
(407) ي: إذا
(408) ح: فراي
(409) ح: يعرّض
(410) ي: نظري إلى الشيخ

والمريدين الصادقين ما أعرض عنّي (411) أحد منهم ولا خدمت شيخًا قطّ إلا وخدمني في أمر لم يكن عنده أفاده الله ذلك على يدي هكذا كان حالي مع المشائِخ ولم أر له سببًا إلا طاعتي وتصديقي بكل ما يتحقّقون به وتسليمي لما يأتون به ويكونون عليه وذبّي عن إعراضهم ولقد (412) رأيت والله أعلم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النوم أو بعض المعصومين فقال لي أتدري بما نلتَ ما نلتَ من الله قلت له لا قال باحترامك لمن يدّعي أنه من أهل الله وسواء كان ذلك في نفس الأمر كما ادّعاه أم لا [٢٨٥] فراعى الله لك ذلك وشكره منك فأعطاك ما قد علمت ومن ذلك الوقت أرجو أن [٩٢] الله تعالى قد ورّثني من نبيّه ما امتنّ (413) به عليه في سورة ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...** ﴾ [الفتح ١-٢] إلى قوله ﴿**وَأَصِيلاً**﴾ [الفتح ٩] بل إلى قوله ﴿**فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [الفتح ١٠].

وما رأيت من نال مثل (414) هذا أو قريبًا منه إلا صاحبنا سليمان الدنبلي لقيته بدمشق مرارًا فقال لي يا أخي إنّ لي خمسين سنة ما أخطر الله في خاطري سوءً ولا حدّثت به نفسي. وهذا من أعجب ما سمعتُه فإن الحفظ ما هو إلا أن لا يقع منه في الظاهر وإن حدّث به نفسه فهذا أعظم (415) حيث عصم الله نفسه من إلقاء الشيطان فيه فإن الأمور المذمومة المكروهة والمحرّمة من إلقاء الشيطان وضدّها من إلقاء الملك والمباحات من إلقاء النفس من ذاتها فإن أمَرَت بسوء فمن إلقاء الشيطان إليها لا من ذاتها والفتح في المعارف الذوقيّة من الله هذه أربعة لا خامس لها يجدها كلّ أحد من نفسه.

وأما قوله **واعلم أنك إذا كان قلب شيخك معك لو اجتمع أهل** [٢٨٦] **السماء والأرض أن يضرّوك لم يقدروا على ذلك ومهما كان قلب الشيخ معك كان الله معك** هذا نبّهك على مقام الشيخ وحفظه إيّاك

(411) ي: -
(412) ي: لقد
(413) ي: امتنّه
(414) ي: -
(415) ي: عظم

فإن الشيوخ رضوان الله عليهم ما تكون قلوبهم معك إلا عن أمر الله فإنهم أصحاب إذن إلهي فلهذا قال **كان الله معك** (416) وقد (417) ورد في الأخبار الصحاح الإلهيّة على لسان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما يؤيّد ذلك.

ثم قال **وأي عزم وقع لك** (418) **أو خيال ما عرض لك فازنه بميزان الشرع فإن وجدته يوافق قواعد الشرع** [٩٣] **وأحوال المريدين فهو إلهام فخذه** (419) **بقبول وإن خالف ذلك** [٢٨٧] **فتضرّع إلى الشيخ في إزالته.**

هذه وصيّة لأهل الله لا لمريد التربية فإن مريد التربية ما عنده ميزان الشرع إنما ذلك للشيخ الذي يربّيه وإن (420) كان مريد تربية فحقّه أن يعرض عزمه أو خياله على الشيخ خاصّة والشيخ ينظر في ذلك بما يعلمه من الله فيه.

وأما قوله في حقّ المنفرد بنفسه دون الشيخ ممّا عزم عليه أو خيال عرض له فليس يريد بميزان الشرع أن يعلم حكم الشرع فيه فإنه ما كل ما يقع له يعلم ما حكم الشرع فيه ولا سيّما هؤلاء الطوائف فإنهم منعهم الشغل بالله عن البحث في الأخبار والأحكام النبويّة وما أخذوا منها إلا ما تعبّدهم الله به في ظواهرهم وظاهر بواطنهم خاصّة وإنما أراد بالميزان هنا هذا الشيخ ما أراده الجنيد بقوله علمنا هذا مُشَيَّد بالكتاب والسنّة والمعنى في ذلك أن الذي وجدوه من العلم في بواطنهم والعزم وغير ذلك إنما هو نتيجة عن العمل بالكتاب والسنّة وسبب ذلك أن الأمور المفتوح بها على النفوس من جانب الأرواح العلويَّة المسمّين في الشرع ملائكة وعند القدماء عقولاً فعّالة قد تَرِدُ بهذه الأمور على النفوس عند تركها شهوات الطبيعة وخلوصها من أسرها وصفائها برياضة ومجاهدة وصقالة مرآتها ينتقش بها فيها جميع ما في العالم فتنطق بالغيوب وتعلم ما هو الأمر عليه وسواء

(416) ي: تعالى
(417) ي: -
(418) ي: -
(419) ح: تجده
(420) ح: فإن

كانت هذه النفوس مقيّدة بالشرع الخاصّ على طريق الإيمان به أو لم تكن فإن صفاءها [٩٤] يعطى ذلك أي يعطى لحوقها بالأصل الذي صدرتْ منه فما أخبرتْ إلا عمّا أعطاه [٢٨٨] مقامها ومحلّها فقال الجنيد هذا الحاصل لنا ولأهل الله لم يكن طريقنا فيه طريق القدماء يعني بالنظر الفكري في أصل خلقة النفوس وما أهلّتْ له وإنما سلكنا بما قال لنا الشارع وآمنّا به وأخذنا عنه سلوكنا وإن وقعت المشاركة في الفتح والنتيجة فإن أصحاب الأذواق يجدون فرقًا بين الإدراكين بيّنًا ذوقًا ثم إن أهل الله العاملين على الإيمان يكون من الله لهم إلقاء خاصّ لا يناله أبداً من لم يكن طريقه الإيمان وبهذا أيضًا يفترّق الصنفان فهذا يريد هذا الشيخ بقوله **أزنه** (421) **بميزان الشرع** أي هو نتيجة عن عمل مشروع لا عن عمل نظريّ حكميّ ولذلك أكّده بعد قوله **قواعد الشرع وأحوال** (422) **المريدين** أي أزنه بميزان أهل الطريق وهذا قول الجنيد علمنا هذا مقيّد بالكتاب والسنّة أي إنه لم يحصل لنا إلا على العمل بكتاب الله وسنّة رسوله.

وأما قوله **فهو إلهام** إذ كان يقوم بالنفوس ما يشبه الإلهام وهو الوسوسة التي قال الله فيها ﴿**يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾ [الناس ٥] فيتخيّل من لا يعرف الفرق بين الأمرين في الوسوسة أنها إلهام وقد بيّنّا لك ما يختصّ بكل خاطر فاعمل عليه ولا تبالي غير أن هنا دقيقة وذلك مهما خطر لك خاطر بفعل أمر فيه قربة إلى الله تعالى أو تركه فلا ترجع (423) عنه أصلاً إلى قربة أخرى حتى تمضيه وتفعل ذلك هذا تحفّظ منه فإن فيه سَمًّا قاتلاً [٩٥] من عدوّ الله لما لم يقدر عليك بإيقاع معصيّة فاحشة بيّنة أدرج لك النقص في مقامك ورضي به أي بأن تكون ناقص الحظّ وإن سعدتَ فيخطر لك خاطر عمل مقرّب وإذا عزمتَ وعقدتَ مع الله فعْله أراك ما هو أوْلى منه لترجع عن ذلك فتكون من الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه.

فمتى وجدت [٢٨٩] مثل هذا فاعلم أنه إلقاء شيطانيّ ولذلك قلنا لك إذا كنت على عقد مع الله من صوم أو غيره وأمَرك من هو أكبر منك

(421) ي: يزنه
(422) ح: بأحوال
(423) ي: يرجع

بأمْر يناقض ما عقدت عليه فاعرض على هذا الكبير ما عقدت عليه فإن أمَرك بعد ذلك برجوعك عن ذلك إلى أمْره فارجع عن ذلك إلى ما أمَرك به ولا تخالفه ويكون هو المطلوب بذلك لا أنت عند الله وإن أمَرك بالبقاء على عقدك فابق على عقدك ولا تحلّه وهو مذهبنا أنه مَن عقدَ مع الله عقدًا فلا يحلّه حتى يفرغ منه فإن النفوس إذا تعودتْ حلّ العقد مع الله انحلّتْ من عقد الشريعة ولحقتْ **﴿بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾** [الكهف ١٠٤] وما أدري قط أن أحدًا من المريدين أمرتُه بأمر وكان على عقد من الله تعالى يخالف ذلك الأمر فذكره لي إلا وأمرتُه أن يبقى على عقده الأول عن أمري أيضًا فإذا فرغ زمان ذلك وانقضى. حينئذ يفعل ما كنتُ أمرتُه به إن بقيتُ أنا على ذلك وإنما فعلتُ ذلك نصيحة له وتنزيهًا لنفسي. عن المطالبة في [٩٦] ذلك من الله تعالى إذ لا بدّ منها.

ثم قال أيضًا **واجتهد أن تُخفي الصفات التي كنت تظهرها إلى الناس حال صبْوتك من الخصال المحمودة والأفعال الجميلة وتظهر ما كنت تخفيه من الناس خشية من الناس وحياءً منهم واحفظ سرك جهد طاقتك فإن وجدت واردًا من جهة الشيخ في زيارة قبر شيخ من المشائخ فبادر إلى ذلك فإنه خاطر صحيح [٢٩٠] شرعي إلهام من الشيخ لك فإذا حضرتَ (424) عند القبر فإن أُلهمتَ بأن تفعل ما يفعله التائبون من الخروج عن النفس والدنيا وإرادتك النفسيّة وعن الجنّة والملكوت بأسره وتبيع الكل في محبّة الله فافعله فإنه خاطر محمود غير أنك تجعل الدخول في ذلك جميعه الذي بعته إلى الشيخ فإن أذن لك بالدخول فيه فادخل فيه وتكون أنت في ذلك جميعه عارية.**

هذه وصيّة لا تكون إلا لمن لا تعلّق له بشيخ من المريدين وإنما يتعلّق بالإخوان فإن مريد التربية ليس له أن يتحرّك ولا يسكن ولا يظهر إلا بأمر شيخه وشيخه ما يأمره إلا بما له فيه المصلحة.

(424) ح: خطرت

هذا شيخ الشيوخ أبو مدين كان يقول لأصحابه أظهروا خرق العادات لعِلَّة الطاعات منكم وأشهروها كما أن العُصاة في [٢٩٧] هذا الزمان يتظاهرون بالمخالفات فاجعلوا كلمة الله هي العليا ولا تطفئوا نور الله بالإخفاء ﴿**أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الأنعام ٤٠].

وكان رضي الله عنه لا يُقرأ عليه قطّ كتابان كتاب الرياء وكتاب السماع فكان يقول في كتاب الرياء إنه يولد الرياء والتدقيق فيه يحكمه (425) في قلب العامل ولا عامل إلا الله فإن الله تعالى يقول ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات ٩٦] فبماذا ترائي والعمل ليس لك.

وكذلك اظهروا في العامّة وتحدّثوا بما يعطيكم الله من الكرامات في بواطنكم وظواهركم تكونون في ذلك ممّن أطاع أمر الله فإن ذلك من أكبر النعم على العبد والله يقول ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى ١١] وقال صلّى الله عليه وسلّم «**التحدّث بالنِعم شكر**» فكما يتحدّث [٢٩١] العامّة بنقيض ذلك فخالفوهم ونبّهوهم أن جميع ما يتقلّبون فيه إنما هي من الله تعالى نِعم إن كانت رزايا فهي طريق الأجور التي تحصل لهم فهي طريق إلى نِعَم محقّقة وإن كانت غير رزايا فهي نِعم معجّلة ينبغي الشكر عليها فإن الله تعالى يقول ﴿**وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم ٧] فعلى كل حال إظهار الدين أعلى من إخفائه فما شرع الله الصلاة في مساجد الجماعات والنداء في الصوامع والحجّ وأمر بالإهلال فيه كل ذلك ليُظهر دين الله وتعلو (426) كلمة الله تعالى.

وحسّن هذه الأفعال كلها إذا فعلتَها لأمرين الأمر الواحد لأمر الله لك بتحسين أعمالك والثاني ليقتدي بك من يراك ممّن لا يعلم أو يتنبّه (427) الغافل [٢٩٨] الذي يعلم ويتذكّر ولتكن في عبادتك كلها في السرّ والعلن على السواء وهذه الطريقة طريقة الأكابر ودونها هذه الوصيّة التي اوصى بها هذا الشيخ نعم إنما وجه هذا في طريق مريدي الملاميّة وهي طريق لا تناقض ما أشرنا إليه فإن مريدي الملاميّة قد

(425) ح: بحكمه
(426) ي: ويعلو
(427) ي: تنبيه

عملوا على مخالفة خواطر النفوس ونصوا عليها في كتبهم فقالوا ينبغي لمريدي الملاميّة أن يجاهدوا نفوسهم بمخالفتها فينامون في الوقت الذي يشتهون أن لا ينامون ويسهرون في الوقت الذي يشتهون أن يناموا ويجوعون إذا اشتهوا أن يأكلوا ويأكلون إذا اشتهوا أن يجوعوا ولا يصحبون إلا من يكرهون صحبتَه ويتركوا صحبة من يشتهون صحبتَه وإذا حلى لهم الصوم يتركوه وإذا حلى لهم الفطر يتركوه ويبادرون (428) لقضاء حاجة من يكرهونه [٢٩٢] ويؤخّروا حاجة من يحبّونه إلى أن يفتح الله أعين بصائرهم فيروا الأمر على ما هو عليه في نفسه فيتصرّفون عند ذلك بحسب ما يُلقى إليهم ويتلقونه من الله.

وأما هذه الطريقة التي دلّ عليها هذا الشيخ في وصيّته هي طريق المحاسبي وأمثاله وهي طريق فيها بُعد والموت قريب ولا بدّ له أن ينتقل من هذه الصفة إلى ما قلناه فليأخذ ما قلناه ابتداءً على علم والكلّ حَسَن ولكن هذا أحسن وأقرب للفتح.

كان الشيخ أبو مدين يقول لا يجيء صادق جَيِّد إلا من مُرائي جَيِّد وذلك أن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول «**الخير عادة**» فإذا تعوّدت النفوس فعل الخير الظاهر ولو كان يُرائي بذلك فإنه إذا [٩٩] تاب هذا المرائي كانت توبته مثل الإكسير تقلّب عين أعماله (429) المتقدّمة فيتوب على ما أسلف من الخير الذي ظهر فيقبل جميعه ويعطى نتيجته فكأنه ما زال على خير هذا فائدته ويهون عليه فعل الخير مع التوبة لأنه قد اعتاده في حال الرياء فما خاف هذا الشيخ إلا من الرياء والعُجب الذي يدخل النفس إذا أثني عليها بما ظهر عليها من الصفات المحمودة فيزيد في العمل على أصل جَيّد (430) ولا شك أن أصله جَيّد ولكن جَهْلُه وشقاؤه في العلم فإذا استعمل العلم كان بحكم ما ذكرناه في هذه المسألة.

(428) ح: ويبادروا
(429) ح: تَقْلِبُ عَين أعماله عِيانَه
(430) ح: غير جَيّد

وممّا يؤيّد ما ذكرناه ما حُكي عن الجنيد أن رجلاً عطِس بمجلس فيه (431) الجنيد فقال الحمد لله فقال له الجنيد أتمها وقل ربّ العالمين فقال يا سيّدي (432) ومَن العالَم حتى يذكر مع الله فقال الجنيد الآن قلْها يا أخي فإن (433) المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر فهذا قد أفنى العالم في جنب الله وقد أقرّه الجنيد على ذلك حين علم أنه الحقّ وعلّل فهذا الذي يرائي بعمله على من يرائي [٢٩٣] وما ثَم إلا الله أو بأيّ عمل له يرائي به والعامل هو الله كما قال على لسان عبده «**سمع الله لمن حمده**» كذلك على جميع أعماله بآلة عبده.

وأما قوله **واحفظ سرَّك جهد طاقتك** فيريد بحفظه ما يلزم من القيام بحقّه الذي تعيّن عليك فإن كان سرًّا يجب إظهاره فمن حقّه أن تظهره (434) في موطنه وإن كان سرًّا يجب إخفاؤه فمن حقّه أن تخفيه (435) فإنه ما عيّن أي سرّ أراد فخذ وصيّته بالعموم في ذلك فإنه ما أمرك [١٠٠] إلا بحفظه (436) خاصّة وليس حفظه إلا ما ذكرت لك وما سُمّي سرًّا إلا قبل الإطّلاع عليه فإن السرّ هو ما بينك وبين الله تعالى من غير أن يطّلع عليه مَلك ولا خلق وهذا ليس ثَم أصلاً ولا فرق إذا اطّلع عليه واحد ليس هو الله أو كثيرون.

وإنما قلنا إن هذا ليس ثَم من أجل أنه كائن قد وقع عندك في دار الدنيا وما من شيء هو كائن في هذه الدار إلا وقد علمه القلم واللوح والمعتكفون عليه فأين السرّ الذي انفردتَ به دون أحد من خلق الله هذا ما لا تجده فما أراد بحفظ السرّ هذا الشيخ إلا ما ذكرناه من إعطائك حقّه خاصّة.

وأما قوله **فإن وجدت واردًا من جهة الشيخ في زيارة قبر شيخ من المشايخ** يقول وأنت تعلم عند وروده أن الشيخ يريد ذلك منك ولا فرق بين ذلك وبين مشافهته إياك بالأمر فإنك فيه على بيّنة منه

(431) ي: -
(432) ح: سيدنا
(433) ي: إن
(434) ي: يظهر
(435) ح: يخفيه
(436) ي: تحفظه

فبادر إلى ذلك كما تبادر إذا أمرك في الظاهر فإنه قد ظهر في باطنك ذلك كما يظهر باللفظ في ظاهرك فإنه لا بدّ لكل احد في هذه الطريقة من علامة تكون بينه وبين ربّه فيما يأخذه عن ربّه أعني من الطريق الذي يحمده ربّه إذ الكل منه ولكن قد فصّل تعالى ذلك فجعل منه بواسطة نفس وملك وشيطان وبلا واسطة.

فلا بدّ للمريد من فارق والعلامة ليست محصورة فكنتُ أذكرها فقد كان أبو يزيد [٢٩٤] لا يأخذ شيئًا من الحقّ إلا بأربعة شهود محمّد وإبراهيم وعيسى- وموسى في نور معه لا إله إلا الله وأما نحن فلنا علامة تخصّنا ليس هي هذه فلكل شخص علامة بينه وبين الله تثبت عنده بالذي تثبت النبوّة عند النبيّ أنه نبيّ في نفسه وإذا [١٠١] وجد المريد هذا الوارد من جهة الشيخ وتشهد له العلامة المقرّرة عنده أن ذلك من جهة الشيخ ولا يكون ذلك أبدًا إلا ويعلم (437) الشيخ بذلك فإن وجده ولا علم للشيخ بذلك ويتخيّل أنه من الشيخ فقد لبّس عليه الأمر ولا يكون ذلك واردًا من جهة الشيخ إلا حتى يكون ذلك مرادًا للشيخ فافهم.

وإذا وجدتَ ذلك الوارد فاعمل فيه بحسب ما تعطيه حقيقته من غير تقييد وأما الذي أوصاك (438) به من الفعل إذا وجدت ذلك فإنه تكلّم على وارد خاصّ وهو قوله في زيارة قبر شيخ من المشائِخ فامتثل وصيّته فإنها نافعة في هذا الموطن ونحن إنما نبّهناك على ما يقتضي الوارد مطلقًا فيعمّ قولي كل وارد من جهة الشيخ وغيره.

وأما قوله **تبيع الكل في محبّة الله** فيدلّك على (439) الخروج من نفسك فإن نفسك هي التي تطلب الكل وهذا الخطب هيّن فإن أبا يزيد يقول في حقّ المؤمن فأحرى المريد قال المؤمن لا نفس له فقيل له في ذلك فقال ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم**﴾ [التوبة ١١١] فلا نفس له ولا مال فإنه قد باعها من الله واشتراها الله منه بحكم الوكالة من النفس الناطقة والنفس التي وقع

(437) ح: وبعلم
(438) ي: وصاك
(439) ي: عن

فيها البيع والشراء هي النفس الحيوانية صاحبة (440) الأغراض والشهوات فاشتراها من المؤمن بوكالة النفس الناطقة وعوضها بالجنّة ﴿**التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**﴾ [الزخرف ٧١] والحيوانيّة هي صاحبة الشهوة فتسلّمت النفس الناطقة الجنّة [١٠٢] التي هي الثمن وادخرتها عندها لهذه النفس [٢٩٥] الحيوانيّة فإذا امتنّ الله على النفس الناطقة يوم البعث بهذه النفس الحيوانيّة وردّها عليها أبقى لها الثمن لم يرجع الحقّ فيه فوهبته النفس الناطقة لهذه النفس الحيوانيّة فإنها صاحبة الشهوات والجنّة دار الشهوات وقد فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك مع جابر بن عبد الله كان معه في سفر فاشترى منه صلّى الله عليه وسلّم بعيره الذي كان عليه فاشترط جابر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ظَهْرَه إلى المدينة فقبل الشرط فلما وصل إلى المدينة وزن له صلّى الله عليه وسلّم ثمن البعير فلما قبضه وهبه البعيرَ نفسه فجمع له بين الثمن وردّ البعير.

فهكذا فعلُ الله بالمؤمن الذي هو نفسه الناطقة لما اشترى منه النفس الحيوانيّة بالجنّة أعطاه الجنّة وردّ عليه النفس بالبعث فيها إلى يوم القيامة بل عند قبضه إيّاها وهي الشهادة فإن الشهادة وهي القتل في سبيل الله انتقال من يد البائع إلى يد المشتري من غير موت فإن المقتول في سبيل الله ليس بميّت ولا يقال فيه إنه ميّت شرعًا فإنه في نفس الأمر ليس بميّت فعندما انتقل ردّها الله على النفس الناطقة كما ردّ النبيّ عليه السلام الجمل على جابر عند وصوله وأعطاه الثمن معًا فوصف الله لنا ذلك بقوله تعالى ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** [٢٩٦] **أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران ١٦٩] وقال عليه السلام في أرواح الشهداء «**إنها تَعْلُقُ من ثمر الجنّة**» أي تأكل وليس ذلك إلا للمقتولين [١٠٣] في سبيل الله وليس ثَم من دخل الجنّة بالنقد إلا هؤلاء خاصّة.

وأما قوله (441) **غير أنك تجعل الدخول في ذلك كبيعك** (442) **الذي بعته إلى الشيخ فإن أذن لك في الدخول فيه فادخل فيه وتكون**

(440) ح: صاحب
(441) ح: وأما كان قوله
(442) ح: كبيعه

أنت في ذلك جميعه عارية يقول هذا لمن كان مريدًا تحت تربية شيخ وفي حكمه فيخطر له مثل هذا فيكون حكمه ما ذكر من عرض ما خطر له في أمر البيع أعني بيع الكل فإن الشيخ لا يأمره بذلك إلا بحسب الوقت وما فيه له مصلحة غير ذلك لا يكون وذلك أنه في وقت وفي حال آخر لا يأمره بالبيع بل يوقفه على عين الحقّ في الأشياء ولا بيع ولا شراء لأن المالك لا يشتري ما هو له مالك.

ثم قال **فإن كان في يدك مال أو مَنْصِب أو لك زوجة أو ولد فذلك جميعه للشيخ إن شاء أبقاه في يدك وإن شاء أخرجه عن يدك إلى من يريد.**

يقول هذا المتحكّم عليك بكل ما يريه الله فيك فسَلِّم أمرك إليه وإياك والاعتراض عليه فيما يتصرّف (443) فيه ممّا هو في يدك فإنه رضي الله عنه ما يفعل بك شيئًا إلا لمصلحة تعود (444) عليك وهو غير متّهم فإنه وارث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النظر في المصالح ولا ينظر في ذلك [٢٩٧] من نفسه وإنما ينظر فيما يُلقي (445) الله إليه في أمرك على الطريقة المعهودة التي بينهم وبين الله ما هم مع النظر العقليّ ولا مع التدبير والرؤية فإن ذلك قد يوافق ويخالف.

ولما كان الأصل قوله تعالى ﴿**فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ**﴾ [غافر ١٢] لم تر الطائفة أن تتحكم في شيء إلا بحكم الله المعهود [١٠٤] بينهم فإن للأولياء طريقًا يتلقّون منها ما يُجري (446) الله على أيديهم وذلك التلقّي يسمّى إلهامًا وفهمًا عن الله ويسمّى في حقّ الرسل وحيًا وتنزيلاً وشرعًا وللرسول الأمران وليس للورثة إلا الأمر الواحد من ذلك وهو ما ذكرناه وأصل الطريق في أمر الزوجة خصوصًا دون ما ذَكَرَ أن المريد إذا جاء إلى الشيخ وهو ذو زوجة لا يفرّق بينه وبينها وإذا جاء وليس له زوجة لا يزوجه بل يقبله على الحالة التي جاء عليها وبايعه وهو فيها وكذلك جميع ما بيده في حكم التبع لما ذكرناه هذا أصل الطريق

(443) ي: ينصرف
(444) ي: يعود
(445) ح: يَلقي
(446) ح: يَجري

فإذا شرع الشيخ في غير ما يعطيه أهل الطريق من الجهاد في ذلك فلا يفعله إلا بأمر إلهيّ فيه لهذا المريد مصلحة.

والجامع الذي أجمع عليه أهل الله تعالى في تربية المريد أن الشيخ يأتي إلى المريد بما يخالف إرادته وهواه وغرضه هذا أصل التربية فإن جاء في أول أمره مُسلِمًا لا غرض له البتة في شيء دون شيء فهذا [٢٩٨] قد قطع من الطريق مسافة كبيرة يهلك فيها كثير من الناس فحينئذ يكون للشيخ معه حكم آخر ما هو حكم من بقيتْ عليه فضلةٌ مما هو مالك له أو متحكّم فيه من مال أو منصب أو زوجة أو ولد وليس الاعتراض على الشيخ بما يفوه به لسان المريد ذلك هو بمنزلة التلفّظ بالكفر في حقّ المؤمن بالرسول وإنما الاعتراض منه أن يخطر له في نفسه ذلك دون تلفّظ به فليزل ذلك عن نفسه إن كان مريدًا لما قصد ولا يذكر مثل ذلك للشيخ فإن إزالة [١٠٥] ذلك متعيّنة على المريد لا على الشيخ فإن الله تعالى يقول في ذلك ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ [القصص ٥٦] و﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ**﴾ [البقرة ٢٧٢] فلا يتعدّى بالشيخ مرتبته ولا بالرسول فما هو لله فهو لله وما هو للرسول والوارث فهو للرسول والوارث فمتى وَجَد المريد الاعتراض في نفسه ولم يُزله ولا رجع على نفسه بلائمة بأن يقول لها هذا طعن في إيمانك بما قصدت إليه فإن صحبه (447) مع ذلك الاعتراض القائم به ولم يُزله فهو منافق وهو المعبّر بلسان القوم فيه أنه غير صادق في طريقه ومن لم يصدّق (448) لا يجيء منه شيء أبدًا وإن جهل وذكر ذلك الاعتراض للشيخ فهو بمنزلة من ظهر بالكفر للرسول فواجب على الشيخ أن يُتوّبه [٢٩٩] من ذلك أو يُخرجه عن داره وأصحابه إن لم يتُب كما يجب على الرسول إذا كان صاحب سيف أن يعرض على المرْتَدّ (449) التوبة الذي هو الإسلام فإن لم يسلم قُتل وهذا عين إخراجه عن أهله وولده بالقتل فليس الشيخ مخاطبًا بإزالة الاعتراض ولا بتوفيق المريد جملة واحدة وإنما له تربية الصادقين فيه

(447) ي: صحبته

(448) ي: يصدق

(449) ح: ذلك المريد

المسلّمين له الذين جعلوا أزِمّتهم بيده يقودهم حيث يرى فيه المصلحة كصاحب الإبل يطلب بها المرعى الخصيب.

ثم قال **وكذلك أيضًا أمر الآخرة تجعله إلى الشيخ إن شاء أمر بك إلى النار أو إلى الجنّة** يقول الأمر في نفسه على قسمين دنيا وآخرة مكروه ومحبوب فالمكروه صعب على النفوس وهو النار حيث كان والمحبوب هَيّن على النفس وهو الجنّة حيث كان فالله تعالى [١٠٦] قد حَفَّ النار بالشهوات وقد حَفَّ الجنّة بالمكاره وهى الأمور التي يَشقّ (450) على النفوس إتيانُها فصار باطن الجنّة ظاهر النار وباطن النار ظاهر الجنّة فمن اتّبع طريق الشهوات كانت غايته إلى النار ومن اتّبع المكاره وغلب على نفسه فيها كانت غايته الجنّة وكذلك (451) رأى ذلك الرجل الذي لقيته بالموصل كان من أهل الكشف من حديثة الموصل رأى معروفًا الكرخي في وسط النار فهاله ذلك حتى لقيني وما كان وجد أحدًا يُعرّفه ذلك الأمر [٣٠٠] فقلتُ له لو دخلتَ إليه لرأيتَه في الجنّة ذلك النار التي رأيتها هي المكاره التي اقتحمها في أيّام مجاهدته حتى أفضت به إلى الجنّة كيف رأيته قال رأيته سالمًا لا يحترق والنار محيطة به قلت له يقول لك من أراد أن ينال مقامي فليَلِج هذه الغمرات فسُرِيَ عنه.

ثم لتعلم (452) أن الأمر صبر وشكر نعمة وبلاء فالبلاء يطلب (453) الصبر والنعمة تطلب الشكر في الدنيا فقال هذا الشيخ **وكذلك أيضًا أمر الآخرة** يعني في الدنيا **تجعله إلى** (454) **الشيخ** فإن أمَر بك إلى الجنّة أي سَلَك بك طريق الراحات ونيل الأغراض النفسيّة لما يرى في ذلك من المصلحة للمريد فإن أمزجة الناس تختلف فيعلم أن مزاج ذلك المريد الخاصّ لا يصلح إلا بالنعم فهو من الشاكرين ولو ابتُلي بالبلاء والمكاره لنَفَر وكفر والغرض نجاته من المهالك فبأيّ شيء حصل ذلك سلك به الشيخ عليه فهذا أمْر الشيخ بذلك المريد إلى الجنّة وكذلك إذا رأى من مزاجه أن النعمة تفسده وتلحقه بأهل

(450) ي: تشق
(451) ح: لذلك
(452) ح: ليعلم
(453) ي: تطلب
(454) ي: -

البطـر والأشر وأن الفقـر والـبلاء [١٠٧] يُصْـلِحه ويـردّه إلى الله فـيعلم الشيخ أنه من الصابرين فيبتليه بما يكون به صابرًا وليس إلا المكاره فيربّيه (455) عليها فيفضي به إلى السعادة وله أجر الصابرين كما كان للآخر أجر الشاكرين فهذا أمر الشيخ به إلى النار هنا.

وإما أن يأمر به إلى الجنّة من طريق الشهوات [٣٠١] والنعم مع علمه أنه يهلك بها فلا وكذلك الطريق الأخرى وليس يريد هذا الشيخ بهذا القـول أن يـأمر بـه إلى المعـاصي الـتي تقـوده إلى النـار وهي الشـهوات المذمومة ولا إلى الطاعـات بالتغالي فيها الـتي تُكَسِّـلُه عـن الإتيان بها بـل لـه رضي الله عنـه ميزان في ذلـك يعرفـه فـإن ظـاهر قولـه بالجنّـة والنـار إذا كانتـا هنـا هـو أن ينظـر كل واحـدة بمـا حُفّـت بـه في الخـبر النبويّ الإلهيّ والنفوس كلها ليسـت على مزاج واحـد والشـيخ أعـرف بالمصـلحة والإيمـان كمـا قـال عليـه السـلام «**نصـف صـبر ونصـف شكر**» فالشكر يطلب النعم والملذوذات والصبر يطلب (456) المكاره والمشـقات والصـبر والشـكر حالتـان منزلتهمـا في الـدنيا والله يحـبّ الشـاكرين كمـا يحـبّ الصـابرين ﴿**قُـلْ مَـنْ حَـرَّمَ زِينَـةَ اللهِ الَّتِي أَخْـرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ**﴾ [الأعراف ٣٢] فهذا شخص انتقل من جنّة إلى جنّة فليحمد الله وليشكره على ذلك وقد أبنت (457) لك عن مقصد هـذا الشـيخ بهـذا القـول فـإن الشـيخ والرسـول لا يـأمر بأحـد في حـال إرشاده بما (458) يكون غاية طريقه إلى النار هذا ما لا يكون.

ثم قال **وبالجملة إذا بلغت هذه الغاية** (459) [١٠٨] **فكن مع شيخك كأنـه هـو الـذي أخرجـك إلى الوجـود ويُميتـك ويحييـك ويضـرّك وينفعك به ويخذلك ويشرّفك ويكْسِرك ويجبرك ويعزّك ويـذلّك بإذن الله عزّ وجلّ.**

(455) ح: ويربّيه

(456) ح: يطلبه

(457) ح: اثْبَتّ

(458) ح: لما

(459) ي: الاية

شرح يقول **وبالجملة إذا بلغت هذه الغاية** من التسليم لأحكام الشيخ فيك فلتعلم أن الله تعالى هو المتحكّم فيك فإن المريد إذا صدق [٣٠٢] في صحبة الشيخ لم يجر الله على يد الشيخ إلا ما فيه نجاة ذلك المريد وسعادته وقد يكون ذلك فيما يسرّ ظاهره وفيما يسوء ظاهره كما ذكر.

يقول لك لا تنظر الشيخ من حيث صورته الظاهرة التي يشبهك بها وإنما يكون نظرك أن الحقّ تجلّى لك في صورة هذا الشيخ كما تجلّى في صورة الرسول فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله فإذا نظرت إلى الشيخ بهذه العين علمت أنك ما تَحَكَّمَ فيك غير الله تعالى والصورة الشيخيّة آلة يفعل بها الله فيك ما يأمرك به لسان هذا الشيخ.

فتقييده بإخراجك إلى الوجود من العدم يقول إخراجك من الشرّ المحض إلى الخير المحض (460) الذي هو الوجود قال لي رسول الحقّ في بعض الوقائع عن الله اعلموا أن الشرّ في العدم والخير في الوجود ولكن إذا اتّصفت بالوجود فينبغي أن تكون في ذلك مع الله كما كنت في حال عدمك من عدم الاعتراض عليه فيما يفعله بك **فيُحييك** بالعلم و**يُميتك** عن الجهل فيجعل لك نورًا تمشي به في ظلمات كونك حتى تقف منك عليك ما (461) يلحقك بالأحياء الذين يُرزقون وتعلم أنه قد أماتك عن نقيض ما أنت عليه وكذلك **يضرّك** بما [١٠٩] يأمرك به ممّا لا يوافق غرضك وتكرهه نفسك فإنك بايعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره **وينفعك** بما تجده عقيب هذا الضرر كما يجد المريض عافية الدواء الكرِه إذا شربه فيعقبه عافية وصحّة.

وقوله **ويخذُلك** بتركه إيّاك في الموضع الذي تستنصر به فيما جاءك من نائبات الزمان ممّا لا يوافقك لما يرى في ذلك من المصلحة لك [٣٠٣].

وقوله **ويشرّفك** يقول بالإقبال عليك بالنصرة في وقت آخر بحسب الحال فتشريفه تشريف وخِذْلانه تشريف لمن عقل.

---

(460) ح: -

(461) ي: بما

وقوله **ويكْسِرك** أي يخيّب ظنّك فيه عند طلبك نصرته ومساعدته على دفع صروف الزمان.

وقوله **يجبرك** يقول إذا كشف لك غطاء العمى فرأيت ما حصل لك من الفائدة في ذلك الانكسار الذي كسرك ولا سيّما إن كان مشهودك في الجبر [462] الله فإن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم فتطّلع [463] بالجبر على عنديّة هذا الانكسار فتفرح بذلك وتعلم أن الشيخ ما أراد بك في ذلك الانكسار إلا ما فيه السعادة لك والبشرى.

وقوله **ويذلّك** بما يعرّفك به من عبوديّتك.

وقوله **ويعزّك** بما يطلعك عليه بأن الله من حيث هويّته هو جميع قواك وظاهر في الوجود بذاتك والعزّة له فتكون عزيزًا كما قال الله [464] ﴿**وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِه**﴾ باللهِ ﴿**وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون ٨] بالله وبالرسول.

وقوله **بإذن الله** أي كل ذلك بإذن الله تعالى للشيخ في تصرّفه فيك على هذه الأمور المتضادّة.

ثم قال **فإن بلغ مَبْلَغ الشيخ سخّر الله له السماوات والأرض** نَبَّه على مقام [١١٠] الشيخوخة لا أنها الغاية فإن منزلة المسمّى شيخًا في هذا الطريق حظّه من ميراث النبوّة الإرشادُ والتنزيل وما ذلك بغاية الرسل صلوات الله عليهم ولهذا يفضّل بعضهم بعضًا كما قال تعالى ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى** [٣٠٤] **بَعْضٍ**﴾ [البقرة ٢٥٣] وقال ﴿**ولقد فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [الإسراء ٥٥] مع التساوي في الرسالة والنبوّة فإنهم من حيث هم رسل حقيقة واحدة ووقع التفاضل في أمر آخر كالناس يجتمعون في الحدّ الإنساني بما هو إنسان ويفضّل بعضهم بعضًا بما هو زائد على الإنسان فمنزلة الشيخ منزلة الرسول في الإرشاد ومنزلة الطبيب من علماء الطبيعة وإن كان الطبيب لم يبلغ الغاية في علم الطبيعة وما يعلم منها إلا بما هي

(462) ح: الخير
(463) ح: فيطّلع
(464) ح: -

مدبَّرة لجسم الحيوان أو الإنسان إن كان دون ذلك فإن زاد على هذا فقد فضّل على غيره من الأطبّاء ولكن بأمر لا يتعلّق بالطبّ.

وأما قوله **سخّر الله له السماوات والأرض** فهو تحكّمه في أرواح المريدين وأجسامهم بالرياضات والمجاهدات وعلى هذا بايَعُوه فمن نكث منهم فإنما ينكث على نفسه وليس للشيخ أن يردّ بيعة المريد ان سألها منه ولكن يقول له إن رجعت عمّا بايعتني عليه فذلك راجع إليك وأما أنا فمن المحال أن أردّ إليك بيعتك فإني مأمور من الله بنصيحتك كما هو الرسول مأمور بالتبليغ ولقد جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له أقلني بيعتي فأبى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال «**لا أفعل وإن ارتددت ارتددت كفرًا**» وما فعل فارتدّ ذلك الرجل والحديث مشهور [١١١].

وأما التسخير فالله تعالى يقول ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً** [٣٠٥] **مِّنْهُ**﴾ [الجاثية ١٣] وتسخير الشيء في حقّك إنما هو أن يعطيك ما في قوّته من ما آمنه الله عليه في حقّك فما هو تسخير ذاتي.

قال أبو طالب المكّي في الأفلاك إنها تدور بأنفاس العالم ومعنى ذلك أن علّة دورانها وحركاتها أنها تعطي التنفيس (465) في المتنفّس فإنها أمينة على ذلك فإذا فرغ ما أُلقي فيها من هذا العطاء ولم يبق في العالم متنفّس لأنه لم يبق عندها نفَس (466) تعطيه هلك العالمُ وانفطرت السماء ومات الحيوان وانتقل العمران إلى الدار الآخرة فهذا من تسخير السماوات والأرض فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولاً وقدّر فيها أقواتها فيما يخرجه منها وتسخيرها الخاصّ كطيّها في حقّ بعض الناس وكإخراجها أمرًا ما قبل أوانه المعتاد في عادة الطبيعة لا في الطبيعة فإنّا ما نعرف من الطبيعة إلا على قدر ما أعطتنا من نفسها وهذا الذي جاءنا منها قبل أوانه هو أيضًا منها أعطتنا إيّاه بإذن ربّها فلولا ما في قوّتها إعطاء ذلك ما رأينا من ذلك شيئًا وقد رأيناه.

(465) ح: التنفّس
(466) ح: نفْس

حكاية أخبرنا محمّد بن عبد الكريم العدل بمدينة فاس قال قال لى أبو الحسن بن حرازم رحمه الله كنت صغيرًا فمُنع المطر عن الناس وكان بجبل زرهون رجل مشهور بالصلاح فخرج والدي إليه وأنا معه فدخلنا عليه وبين يديه صاجُ حديد على النار يسخّنه ليخبز عليه عجينًا له فذكر له والدي امتناع المطر وسأله الدعاء للاستسقاء فقال الرجل ما هو [١١٢] الغلاء [٣٠٦] مِن امتناع المطر ولا تَنْبُتُ الأرض من كون المطر ينزل (467) فيها لو شاء الله أن ينبتَ في هذا الحديد الذي على النار سنبلةً أنبتها قال ابن حرازم فرأيت السنبلة قد نبتت في صاج الحديد وهو على النار فأخذناها وفركناها وأكلناها فقال الشيخ إنما ضربتُك مثلاً ومع هذا فما خرج أن يكون هذا ممّا أذن الله فيه للطبيعة أن تُعْطيه فأمْرها مجهول وما تحمله من القوى أجهل وأجهل.

قال ابن حرازم وجئنا مدينة فاس وما نزل مطر فأوقع الله في القلوب الشبع والاستغناء فجاء الرخاء والعيش وارتفع غلاء السعر وكثر الخير في البلد ولم يروا سنة أشدّ رخاءً منها مع امتناع المطر ووجود (468) المحْل تصديقًا لما قاله ذلك الرجل الصالح ولا شكّ أن الرجل الكامل الذي يَظهر في العالم بصورة الحقّ حتى يعرفه كلُّ العالم ما عدا بعض الثقلين فإن السماوات والأرض ومن فيهن ما عدا بعض الثقلين مسخّرات له كما أن السماوات والأرض ومن فيهن تسبّح له فإذا رأت الصورةَ الإلهيّةَ كان من تسبيحها عين تسخيرها له فإن الإنسان وإن كان على الصورة الإلهيّة لا يزول عن حقيقة الافتقار فبهذه الحقيقة يقع التسخير له فإن الله تعالى تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء ٤٤] أي ينزّهه عن الافتقار [٣٠٧] هذا معنى التسبيح هنا ويكون في حقّ هذا الإنسان الكامل ذلك التسبيح تسخير لما يراه فيه من شدّة الافتقار إلى الله تعالى [١١٣] وعلى قدر ما يقوم بالإنسان من الاستغناء بالأسباب عن الله للغفلة التي تطرأ عليه على ذلك القدر يمنع من تسخير العالم

(467) ي: تنزل

(468) ح: ووجد

فيتعب في تحصيل أمر ما بنفسه وجسمه [فبهذا قد أبنت] (469) لك ما أشار به هذا الرجل في قوله عن الشيخ إن الله **سخّر له السماوات والأرض**.

ثم قال **واحْفَظ أمرَك في ذلك جميعَه فإن حضرْتَ عند أحد أو دُعيتَ إلى دعوة فكُلْ وإن كنتَ صائمًا فلا تظهر أنك صائم وإن قلّلت من الأكل فهو أوْلى**.

شرح هذه الوصيّة (470) لا يصلح أن تكون لمريد بين يدي شيخ فإنه بحكْم الشيخ وإنما هذه وصيّة لمن هو مع نفسه يدبّرها والذي دعاه إلى مثل هذا الخوفُ عليه من التزيّن عند الغير بما هو عليه من العبادة ورأى أنّ الصائم في التطوّع أمير نفسه فرأى أن الفطر له أولى من غير إعلام بصومه وأخلص لعمله وهذه حالة هذا الموصّى وأنه على نفسه تكلّم وأما الصحيح المعتمد عليه أنه لا يفطر ويبقى صائمًا ويدعوا لصاحب الدعوة فيجمع في ذلك بين الخبر (471) وبين أمر آخر هو المطلوب فأما الخبر قوله عليه السلام [٣٠٨] «**إذا دُعي أحدكم إلى وليمة فليُجِبْ**» فيَجِب عليك الإجابة «**فإن كان مفطراً فليأكل وإن كان صائمًا فليُصَل**» أي يدعوا لصاحب الطعام.

وامّا أمْره (472) بالأكل ومراعاة ذلك في الوجه الذي يذكره وذلك أن الإنسان إذا شرع في عبادة فإنما هو عقَد وعهَد بعقده مع الله فلا ينقضه حتى يتمّ فإن نقضه كان من [١١٤] الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه والله يقول أيضًا ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمّد ٣٣] ولهذا يرى بعض العلماء أن عليه الإعادة إذا أفطر وقد ورد في ذلك خبرٌ (473) فإذ ولا بدّ من تمشية وصيّة هذا الشيخ بالأكل لمن كان صائمًا فليقل هذا الشخص بالإعادة فإنه مأمور بها شرعًا وإذا كان مأمورًا بها شرعًا فيكون في صومه الأوّل متطوّعًا ويكون له أجر من تطوّع ويكون في

(469) ح: فهذا قد أثبت
(470) ح: وصيّة
(471) ح: الخير
(472) ح: وما امَرَه
(473) ي: خبرا

القضاء مؤدّيًا واجبًا فيكون له أجر من أدّى واجبًا وهو أتمّ فلْيَنْوِ ذلك إن أفطر ولا بدّ والأوّل أولى وهو أنه لا يفطر والمشائِخ رضي الله عنهم يتكلّمون بما تقتضيه أحوالهم في أوقاتهم خاصّة المخصوصة بهم بخلاف الكمّل منهم فإنهم يتكلّمون بما يقتضيه الوقت في حقّ السامع لا في حقّ المتكلّم.

وأما قوله **وإن قلّلت من الأكل فهو أولى** هذا يقتضيه طريق القوم أعني التقليل [مِن الطعام] (474) فإن في ذلك صفاء النفس وتنشيط الجوارح واستدامة [٣٠٩] الصحّة وقلّة الفضول وقد قال عليه السلام «**بحسْب ابن آدم لُقَيْمات يُقِمْن صلبه**» فحدّ الأكل في حقّ كل إنسان هو أن يأخذ من الغذاء على قدر ما يعلم أنه لا يضعف عن أداء ما أوجب الله عليه فيه الحركة إليه (475) البدنيّة من صلاة وحِرْفَة وسعْي على العائلة في كسْب معيشة هذا لا غير.

وأما قوله **واحفظ أمرك في ذلك جميعه** يقول احفظ أمرك مع الله يعني أن تقصد في ذلك جميعه القربة إلى الله في جميع حركاتك [١١٥] وسكناتك حتى في المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر يؤجر فيه مَن تكون حالتُه هذه وذلك بأنه يأتي المباح من حيث أنه مباح واعتقاد ذلك واجب عليه وإحضاره هذا الاعتقاد في زمان إتيان المباح هو مأجور فيه أجر الوجوب مع التصرّف فيما هو مباح له التصرّف فيه.

ثم قال **وينبغي لك يا مريد أن تسعى في قضاء حوائج المسلمين وتأخذك رقّة وتجعل نفسَك أقلّ الناس وأفقرهم إلى الله تعالى** (476) **وتبتدئ بأهل بيتك ما استطعت وتؤثرهم على نفسك وتقدّم حاجتهم على حاجتك جهد طاقتك وتقدّم مصالح شيخك على مصلحتك إن رضي منك بالسعي في ذلك وتؤثره على نفسك حتى بقاؤه على بقاء نفسك وتكثر التذلّل والتضرّع بين يديه حتى لو قدرت أن تكون الترابَ الذي يمشي عليه فافعل ذلك.**

(474) ي: -
(475) ح: -
(476) ح: عزّ وجلّ

أما قوله **بالسعي في قضاء** [٣١٠] **حوائج المسلمين** فيريد بذلك أن تقدّم حاجة المسلمين في سعيك إذا تعرض لك حاجة لمسلم ضروريّة ولغير مسلم فينبغي لك أن تقدّم حاجة المسلمين كما قدّمه الله بعنايته به في إعطائه الإسلام وحرّم غيره من ذلك فإن الله قد جعل في ذلك مراتب عيّنها فيما ينبغي أن يقدّم كالجار الأقرب على الجار الأبعد وكالزوج على الولد وهو قطعة من الكبد وإنما مراد القوم السعي في قضاء حوائج الخلق على الإطلاق تخلّقًا بالله تعالى (477) [١١٦] في ذلك فإن الله تعالى كل يوم هو في شأن الخلق من أوله إلى آخره من دخل (478) الوجود منه ومن لم يدخل فإن متعلّق الشغل إيجاد (479) المعدوم وهو لله تعالى والشغل بقضاء حوائج الخلق أتمّ تخلّق يتخلّق به العبد فإنه ساعٍ في إيجاد (480) المعدوم لأن صاحب الحاجة ما عنده ما هو محتاج إليه فيسعى هذا العبد في إيجاد ذلك عنده ألا ترى البَغِيّ حين رأت كلبًا يلهث عطشًا فنزعتْ خُفّها وأخرجتْ به من البئر ماءً وسقت الكلب فشكر الله فعلها فغفر لها بشربة كلب فكيف لو كان إنسانًا وكيف لو كان مسلمًا والله يقول ﴿**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ**﴾ [الرحمن ٣١] فما له شغل إلا بالعالَم لأنه ما له شئون إلا فيما سواه فهو الموجد على الدوام بيده ملكوت كل شيء فإذا سعيتَ في قضاء حوائج الخلق كنت بهذه المثابة صاحب صفة إلهيّة ومن اتّصف بصفة إلهيّة وتحلّى بها أوصلته تلك الصفة إلى رتبتها (481) ومنزلتها من الله.

وأما قوله **وتأخذك رقّة** فإن النبيّ عليه السلم يقول «**في كل** [٣١١] **كبد رطبة حرّاء أجر**» وهذه (482) البَغِيّ ما جعلها (483) تسقي هذا الكلب العاطش إلا رقّة وشفقة قامت بقلبها عليه (484) فشكر الله فعلها

(477) ح: عزّ وجلّ
(478) ح: دخل في
(479) ح: إتحاد
(480) ح: إتحاد
(481) ح: زِينَتها
(482) ي، ح، ب، ظ، ج: هذا
(483) ح: جعلتها
(484) ي: -

فغفر لها بالفعل وأما ما تعطيها بالرقّة التي قامت بها فما يقدر قدر ذلك إلا الله تعالى ولقد حدّثني الوجيه الحسن المدرّس بملطية من أولاد سلمان الفارسي عن والي بخاري أنه كان يسير فرأى كلبًا أجرب في يوم شديد البرد فأخذته عليه رقّة فأمَر بعض وزعته أن يأخذ الكلب إلى البيت وأحسن إليه وجلله وأضرم له نارًا وجعله في موضع [١١٧] حتى دفي وأطعمه وسقاه فرأى فيما يرى النائم يُهتف به وكان ظالمًا في ولايته يا فلان كنت كلبًا فوهبناك لكلب فبعد ثلاثة أيّام درج إلى رحمة الله وكان له مشهد عظيم (485) مثل مشاهد المشهورين في العامّة بالصلاح وجعل الله له في نفوس الناس (486) القبول والثناء الجميل كما أقبل هو على ذلك الكلب فهذا ثمرة تلك الرقّة التي اتّصف بها.

وأما قوله **وتجعل نفسك أقلّ الخلق وأفقرهم إلى الله تعالى** يشير بوصيّته إلى التواضع حتى تكون (487) مثل الأرض الذلول يَطَؤك (488) البرُّ والفاجر وكالشمس مع علوّها ونزاهتها تطرح شعاعها على المزابل والقاذورات (489) وما تنزّه نفسها عن ذلك فهكذا ينبغي أن يكون المؤمن عليه مع الخلق ولا ينظر إلى ما هو عليه من طاعة ومعصيّة وكفر وإيمان ولا تحجبه حقارتُهم عن ذلك فإن الله ما يُدْرِي هذا العبدَ بما يختم لكل واحد على التعْيين ولهذا ذكر القشيري عن بعض السادات حين ذكر المشائِخ أنه قال (490) من ظنّ أن (491) نفسه خير من فرعون فهو متكبّر.

فينظر العبد نفسه مسخّرًا لجميع [٣١٢] الخلق بتسخير الله فمن حيث أنه مسخّر لجميع خلق الله يجعل في نفسه أنه أقلّ الخلق قدْرًا لأن مِقدار المسخّر بالنظر إلى من سُخّر له دونه وهو مسخّر لأقلّ الخلق قدرًا فهو أقلّ عند نفسه من ذلك الأقلّ يقول الله تعالى

(485) ح: -
(486) ي: النفوس
(487) ي: يكون
(488) ح: يطول
(489) ح: القدارات
(490) ح: -
(491) ح: أنه

﴿وَرَفَعنا بَعْضَهمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهم (492) بَعْضاً سُخْرِياً﴾ [الزخرف ٣٢] فسخّر الأرفع الأدنى فيما سخّره فيه فاجعل بالك لهذه المسألة [١١٨] فإنها نافعة جدًّا في باب المعرفة وكون العامّة والرعايا مسخِّرة سلطانها في مهمّاتها مع علوّ مرْتبة السلطنة والإمامة.

وأما قوله **وأفقرهم إلى الله تعالى** فإن الخلق كله فقير إلى الله تعالى (493) إلا أنه يطرأ (494) عليه عوارضُ نفسيّة (495) من روائح العزّة الإلهيّة بقدر ما حصل له من الصورة الإلهيّة التي فُطر عليها فإن كل إنسان يجد في نفسه أوقاتًا عزّة ورفعة ولا يعرف سببها وليس إلا كونه على الصورة الإلهيّة ولا سيّما وما يمشي عليه زمان إلا وهو متخلّق فيه باسم إلهيّ وليست الرتبة الإلهيّة في الصورة إلا عين هذه الأسماء فيشتغل العالم عن غنائه بالله بفقره إلى الله فهو أوْلى به فدلّه على الأوْلى والأوْجب فإن الله تعالى يقول ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر ١٥] فيكون هذا العبد من أفقر الخلق إلى الله أي أقلّهم مشاهدة لغِناه بالله وعزّته بالله في قوله ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون ٨] فشرفه في ذلك وفقره وهو عين غِناه عن العالَم فإضافته واتّصافه بالفقر إذ هو الأصل أوْلى به من اتّصافه وإضافته إلى الغِنى بالله فإنه الفرع [٣١٣] والاعتماد على الأمور الذاتيّة الأصليّة لا على العوارض الطارئة الفرعيّة فاعلم ذلك.

وأما قوله **وتبتديء بأهل بيتك ما استطعت وتؤثرهم على نفسك** فاعلم أن الله تعالى (496) فيما شرع قد رتب لك وعيّن مَن تقدّم فهذا قوله **ما استطعت** فإنه قد يجيء (497) مواطن يقول لك الحقّ فيها بلسان الشرع قدِّمْ نفسك [١١٩] فما أنت مستطيع في ذلك الوقت

(492) ي، ح، ب، ظ، ج: وَرَفَع بَعْضَكمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُكم
(493) ح: عزّ وجلّ
(494) ح: تطرأ
(495) ح: نفسه
(496) ح: عزّ وجلّ
(497) ح: تجيء

بحكم [498] الشرع عليك وإنما استطاعتك فيما أنت مخيّر فيه فتقدّم عند ذلك الأوْلى فالأوْلى وتتّصف عند ذلك بالإيثار وأما إذا تساوت الحاجات في الكل فلتقدّم من قدّمه الشرع فإنه الأوْجب ثم الذي يليه حتى ينتهي إلى الآخر في الوجوب أو في الأفضليّة فإن الإنسان بترك الواجب يكون عاصيًا وبترك الأوْجب يكون ناقص الحظّ دني الهمّة.

انظر في قوله عليه السلم «**ما نهيتُكم عنه فانتهوا عنه**» مطلقًا «**وما أمرتُكم به فافعلوا منه ما استطعتم**» فجعل الاستطاعة في الأمر وأمَر بامتثال النهي مطلقًا وقد نهى عن الصلاة النافلة بعد العصر. وقد أمَر بتحيّة المسجد للداخل فيه فإذا دخل العالِم المسجد بعد العصر. فالذي يترجّح عنده أنه لا يصلّي للنهي الوارد الذي أُمر بإتّباعه من غير تقييد ويكون ممتثلاً لأمر الله تعالى [499] أيضًا فإنه قال فيه «**فاتوا منه ما استطعتم**» فيقول يا ربّ لم يتركني نهيك مستطيعًا الصلاة عند دخول المسجد وهو الأوْلى فهذا فائدة قوله **ما استطعت وجهد طاقتك** فإن العالِم بحكم العلم فيُمشّي أحواله في نفسه على السداد فإن الإنسان إذا مشى في أحوال غيره فإنما هو ماشٍ في أحوال نفسه [٣١٤] فإنَّ سعيه على الإطلاق إنما هو له إذا كان في الصلاح كما هو عليه إذا كان في الإساءة يقول الله تعالى ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾ [فصّلت ٤٦] وقال ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**﴾ [النجم ٣٩-٤٠] فتكون مرتبته بحيث رتبة سعيه بحيث رتبة [١٢٠] من سعى في حقّه يميّز ذلك الشرع الحقّ فهو الميزان الموضوع في الأرض الذي يتعامل به المستعملون له.

وأما قوله **وتقدّم مصالح شيخك على مصلحتك إن رضي منك بالسعي في ذلك** يقول النبيّ عليه السلم «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من أهله و ماله وولده والناس أجمعين**» وهو من جملة الناس فلا بدّ أن يكون الرسول أحبّ إليه من نفسه مع أنه لا يحبّه إلا من أجل نفسه فلنفسه أحبّه لأن ثمرة ذلك الحبّ إنما يحصل

(498) ح: لحكم
(499) ح: -

لنفسه لا يعود على ذلك المحبوب منها شيء إلا إن دفع عنه في الوقت ما يضرّه خاصّة فمن المصالح في ذلك أن يقوم في الذبّ عن عِرضه ويسعى في دفع الضرر عنه ويتّقي (500) ذلك كله ويتلقّاه (501) بنفسه (502).

ولذلك قال **وتؤثره على نفسك** فإن ذبّك عن شيخك هو عين ذبّك عن الرتبة التي أنزله الله فيها والله تعالى (503) قد أثنى عليها وعظمها حيث جعلها خلافة عنه في حقّ من استخلفه عليه ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج ٣٢] وأي شعائر أعظم من مراتب الدعاة إلى الله الأدلّاء عليه ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾ [الحج ٣٠] وأيّ حرمات أعظم من حرمات الدعاة إلى الله الأدلّاء عليه وهم الرسل والورثة المعبّر عنهم بالشيوخ.

حتى قال في وصيّته هذا الشيخ **وتقدّم بقاءَه على بقاء نفسك** (504) **إن قدرت** [٣١٥] **على ذلك وقَبِل منك في موطن فافعله** وهو أن تفاديه بنفسك فإن التقوى هي نَسَب الله والمتّقي هو الذي جعل نفسه وقاية لله يتّقي بها جميع ما ينسب إليه ويرمي به من سهام [١٢١] الصفات المذمومة فيكون العبد مجنّا لها يتلقّاها بنفسه فلا تصل (505) إلى الحقّ فإن الله تعالى قد وصف نفسه بأنه يؤذى وتَسَمّى بالصبور على ذلك مع مثل هذا الموطن يفادى العبدُ المؤمن ربّه بنفسه والشيخ خليفة الله عليه فيفعل في حقّ شيخه فيما يؤذى فيه ما يفعله في حقّ ربّه وهذا يجب عليه في حقّ كل مَن له هذه المرتبة سواء كان الشيخ معدومًا قد دَرَجَ أو موجودًا أو كان شيخه الذي يستند إليه أو شيخ من المشائِخ ممّن له رتبة الإمامة والخلافة والمقام.

---

(500) ح: وتتقي
(501) ح: تلقاه
(502) ج، ب؛ ح، ي، ظ: بنفسك
(503) ي: -
(504) ح: نَفاسَتِك
(505) ي: يصل

وأما قوله في حقّ من هو بين يدي شيخ وفي حكمه **أن يكثر التذلّل بين يديه** وذلك أنه يريد أن (506) لا يكون له تصرّف في نفسه إلا ما يتصرّف فيه به شيخه فإنه يستجلب بذلك قلب الشيخ وإذا كان قلبه معه عظمت المنفعة فإن قُرْب المشائِخ من المريدين الذين بين أيديهم قرْب الحقّ من المؤمنين الذين يطلبون القرْب إلى الله وهو القُرْب المضاعف فقرْب الحقّ من المؤمن إذا اقترب منه بما أمره به من التقرّب إليه ضعفان من قرْب المؤمن إليه وإنما كان ضعفين لسرّ خفي يحرم كشفه ولكن نومئ إليه فإن القرْب من الله يكون بالغِنى بالله وبالفقر إلى الله وليس في وسع الكون أن يجمع في النفَس الواحد بين القرْبين فإنه واحد المشهد فإذا كان شهوده الغِنى بالله لم يسع الوقت أن يكون شهوده فيه الفقر إلى الله وإذا كان شهوده الفقر إلى الله لم يكن في قوّته الغِنى بالله [٣١٦] مشهودًا له وإن كان كِلا الأمرين [١٢٢] صفة له ولكن ليست هذه الصفة مستحضرةً له وهذا هو ضعف قرْب الله إلى هذا العبد فإنه الغنيّ الحميد فقرْبه إلى العبد قرْب غِنى عنه فهو متفضّل عليه بالقرْب منه.

وثَم أمور لا يمكِن وجودها عن الله إلا به فهو كآلة (507) للصانع فإذا أظهر (508) من العبد فعلاً إلهيًّا يقتضي أن لا يكون منه ذلك الفعل إلا بقرْب الحقّ إليه فذلك القرْب هو الذي ضاعف القرْب الأوّل فصار ضعفين من قرْب العبد إليه ولذلك قال «**من تقرّب إليّ شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا**» والذراع شبران ممّن ذلك ذراعه «**ومن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت إليه باعًا**» فإن الباع ذراعان ممّن ذلك باعه «**ومن أتاني يسعى أتيته هرولة**» والهرولة ضعف السعي ممّن ذلك سعيه فذكر التضعيف بالمثلين وهو عين القرْب الذي أوردناه من قرْب الغِنى والفقر إن فهمت والله الغنيّ (509) الحميد وفي هذه المسألة تفصيل

(506) ج، ب؛ ح، ي، ظ: -
(507) ح: كالآلة
(508) ح: ظهر
(509) ح: هو الغنيّ

طويل (510) وهذا القدر فيه كفاية ومقنع لأصحاب الإشارات والله وليّ التوفيق.

ثم قال **فإن طَرَدَك أو زَبَرَك أو نهرك أو لطمك أو ضربك فازْدَد أنت رقّة له وتواضعًا وكلّما كرّر عليك ذلك فزِدْ أنت فيه محبّة وتذلّلاً ورقّة وانكسارًا بين يديه فإنه يقصد تهذيبك وتتريبتك ويمتحنك بذلك يفعل ذلك كله مصلحة لك يعلمها (511) الشيخ وتجهلها أنت.**

أما قوله **إن طردك** فلا يخلو في طرْده إياك أن يعيّن لك جهة تمشي إليها [١٢٣] أو لا يعيّن فإن عيّن لك في الطرد بجهة تمشي إليها فاقصد تلك الجهة امتثالاً لأمره (512) ولا تبرح بها حتى يرضى عنك وإن لم يعيّن لك فلا تبرح خلف الباب ليلاً ونهارًا إلا في أوقات تحتاج [٣١٧] فيها إلى الطهارة لأجل الصلاة واتّخذه مسجدًا حتى يرضى عنك ويقرّبك أو تَمُوت على تلك الحالة.

حكى القشيري أن شيخًا أمر مريدًا بالخروج من عنده مطرودًا فلما قفا امتثالاً لأمر الشيخ استدعاه الشيخ قال له ما وقع في نفسك أن تفعل فقال المريد عزمتُ على أن أحتفر لنفسي حفرة على باب دارك وأدخل فيها حتى أموت أو ترضى عني فقال الشيخ مثلُك يصلح لخدمة الشيوخ وأدناه وقرّبه وقدّمه على الجماعة.

واتّفق لشيخنا عليّ بن عبد الله بن جامع أخبرني بنفسه يوم ألبسني الخرقة التي ألبسه الخضر إيّاها بنفسه بحضور قضيب البان قال لي كنت أخدم عليًّا المتوكّل وكان من الرجال الكمّل رضي الله عنه قال فغضب عليّ يومًا لأمر رآه فأنزلني من حجرته وفتح الباب وصفعني وأخرجني فحصلت رجلي الواحدة في الأرض والأخرى على درجة كانت خارج الباب وفارقني الشيخ وأنا على تلك الحالة وأغلق الباب في وجهي ودخل منزله فبقيت على تلك (513) الحالة التي فارقني الشيخ عليها أيّامًا ليلاً ونهارًا لا أنزل رجلي من على تلك الدرجة والأخرى على الأرض إلا في أوقات الصلاة (514) من أجل الصلاة فإذا صليتُ عدتُ

(510) ح: يطول
(511) ح: يعملها
(512) ي: بأمره
(513) ح: -
(514) ح: الصلوات

إلى حالتي وإذا كان النوم نمتُ على تلك الحالة لا أتَغَيَّر عنها فسأل الشيخ عني بعد أيّام بعض أصحابه فقال له ما فعل [١٢٤] عليّ فقيل له هو على الحالة التي فارقك عليها وزال بصرك عنه فقيل كيف تقول قال هو بما قلت لسيّدي [٣١٨] قال ففتح الشيخ الباب وخرج إليّ بنفسه وعانقني وقبّل بين عينيّ وأدخلني منزله وما زلت حظيًا عنده إلى أن دَرَج.

فطرْد الشيوخ ما هو طرْد وإنما هو تأديب فلا ييأس المريد في ذلك الطرْد من رحمة الشيخ فإنها رحمة الله به ولو مات في حال طرْده فإنه ما جرت عادة الشيوخ الداعين إلى الله أن يطردوا واحدًا من باب الله وإنما ذلك أدب في حقّ المريد فإن كان طرْده إيّاه لعلمه أنه ليس له عنده شيء فيعرّفه ويقول له ما أنت لي ومالك عندي شيء فلا تتعبْ نفسك وانظر غيري أو يُعيّن له شيخًا آخر يعلم أن له عنده شيئًا فإن علم أنه لا يجيء منه شيء لما يطلبه المريد وأنه ليس له في أهل الاختصاص اسم لا يعرفه بذلك فإنه من أضرّ شيء في الطريق عند الله فليكرمْه وليعاملْه معاملة الأجانب الذين يقصدون رؤية الشيخ على طريق البركة لا على طريق التربية ولا يأمره ولا ينهاه ولا يتحرّك في حقّه بحركة مع المريدين الذين عنده فإن كان المريد فَطِنًا يعلم أنه لا يجيء منه شيء لما يطلبه ومع هذا فليوفّ ذلك الشخص خدمتَه واحترامه للشيخ ولا يفارق خدمته ولا الأدب معه كما كان قبل ذلك وإذا أرى غرض الشيخ في أمر ما يقدر هذا المريد على قضاء غرض الشيخ يفعله من نفسه ابتداءً من غير أمر الشيخ له بذلك فإن الشيخ لا يأمره أبدًا ولو أمر [١٢٥] الأجنبيّ فإن هذا لا يأمره أصلاً لئلا يقع في نفسه أنه كما [٣١٩] كان من أصحابه.

ومهما زبر الشيخُ المريدَ أو نهره أو ضربه أو لطمه فيعلم أنه مقبول عند الشيخ ولولا ذلك ما تحكّم عليه فإن الشيوخ لا يَصْدر منهم في حقّ المريدين (515) مثل هذا التحكّم في بشرته أو في ماله وهو يراه أجنبي عنه بل ما يفعل ذلك معه إلا لعلمه بأنه (516) يجيء منه ما

(515) ح: المريد
(516) ي: أنه

يريده به ويقبله استعداده وهي بشرى من الشيخ للمريد بانّه مفلح فإن الشيوخ لا يتحرّكون في بشرة المريد ولا في ماله بحركة يمكن لو دعاه من أجلها إلى الشرع اقتصّ منه الشرع له أو حكم عليه كما يفعل مع الأجنبيّ سواء هذا ما لا يقع من الشيخ أبدًا الذي هو شيخ حقيقة وقد يقع من المتشيخين مثل هذا لانّهم ليسوا بشيوخ ولا هم من أهل الطريق.

فالشيخ لا يتحرّك بحركة يقوم عليه بها حجّة عند الشرع فتحكّمه في المريد بمثل هذا التحكّم دليل واضح عند أهل الله على سعادة هذا المريد ولا يكون هذا أيضًا من الشيخ (517) ابتداءً إلا عقوبة لزلّة وقعت من المريد في ظاهره أو باطنه ولا يجوز في هذه الطريق للشيخ أن يعفو عن زلّات المريدين إذا أطلعه الله عليها وأيّ شيخ لم يعاقب المريد على زلّته الباطنة أو (518) الظاهرة فقد خانه في التربية.

يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «**من أبدى لنا صفحة أقمنا عليه الحدّ**» يعني في الجنايات التي تقام فيها الحدود فحكم هؤلاء الشيوخ في البواطن حكم الرسل في الظواهر وإنما كانت مرتبة الرسل تقتضي الظاهر دون الباطن [١٢٦] ويقبلون المنافقين مثل ما يقبلون المؤمنين لأنهم جاؤا بذلك من عند الله لجميع أمّتهم عمومًا والشيوخ ليسوا كذلك ما جاؤا إلى الناس ولا أُرسِلوا إليهم وإنما جاء الناس [٣٢٠] إليهم وطلبوا منهم تطهير بواطنهم والوقوف على عيوب أنفسهم وبايعوهم على التحكّم فيهم لما يرون فيه المصلحة لهم ظاهرًا وباطنًا فتعيّن على الشيوخ الأخذ بزلّات البواطن كما تعيّن على الرسل والحكّام الأخذ بزلّات الظواهر ويحرّم عليهم العفو عن ذلك إذا طلبت الجناية إقامة الحدّ على الجاني.

وأما قوله **إذا فعل معك ذلك الشيخ فازدد له رقّة** يعني بالرقّة هنا المحبّة أي ازدد فيه محبّة حيث لم يسامحك وكذا الإخوان في الله والصحبة في الله لا يسامح بعضهم بعض في الله.

(517) ي: الشيوخ
(518) ي: و

يقول أهل الله لا زالت الصوفيّة بخير ما تناقروا فإذا اجتمعوا فلا خير فيهم يقول ما عندهم شيء من المداهنة بل هم بريئون منها فلا يقبل الأخُ من أخيه إلا ما يعلم أن الله يقبله منه ويردّ عليه ما يعلم أن الله يردّه عليه ويعامله في حقّ الله بكل ما أمره الله به أن يعامله وأما ما يرجع منه إلى نفسه فيعفو عن ذلك ويصفح ويُصلح ويُحسن هكذا أهل الله فكيف الشيوخ.

والفرق بين الشيخ مع المريد والأخ مع أخيه في الله أن الأخ يعفو عن زلّة أخيه في حقّه وليس للشيخ أن يعفو عن زلّة المريد في حقّه فإن حقّ الشيخ حقّ الله ولا سبيل إلى العفو عن حقّ الله كالحكم الظاهر المشروع في مثل الزانى والسارق لو تاب بين يدي [١٢٧] الحاكم بعدما وصل أمره إلى الحاكم وردّ المال الذي سرقه كله لم يُنجه ذلك ولا دفع عنه قطع الحاكم يده ولا جلد الزاني إن كان عزبًا أو رجمه إن كان ثيبًا فحقوق الله لا عفو فيها من الحكّام فإذا كان يوم القيامة ولم (519) يبق حاكم إلا (520) الله حينئذ لله في الجاني أن يعفو عن حقّه أو يأخذه به.

فلما كانت حقوق الشيوخ على المريدين حقوق الله لذلك [٣٢١] لم يجز للشيوخ العفو عنها والزلّات التي تقع من المريدين في حقّ الشيوخ ممّا يعفى عنهم حقّها في العامّة أي يجوز للعامّة أن يعفو عنهم في ذلك (521) فليس للشيوخ العفو عنها فإن حرمتهم واجبة عليهم ولا تقع زلّة من المريد في حقّ الشيخ إلا مع سقوط الحرمة وإذا سقطت الحرمة من قلب المريد لم ينتفع بذلك الشيخ أصلاً فيتعيّن على الشيخ طرْده عنه حتى ترجع إليه الحرمة فإذا رجعت حرمة الشيخ إلى قلبه عاد إلى خدمته ولا يعاقبه قطّ إلا بالطرْد عنه ومهما لم يطرده فقد خان الله فيه ويحسب المريد أنه على شيء وليس على شيء وإن نزل عن الطرْد عن بيته فلا أقل من الإعراض عنه وعَدم الالتفات إليه فيعلم أنه قد جنى ما أوجب عليه مثل هذا من الشيخ.

---

(519) ي: لم

(520) ح: الي

(521) ي: ذلك به

حكى القشيري أن شخصًا خدم شيخًا فرأى منه ما أنقصه في عينه وذلك أنه رأى الشيخ يعجن العجين وكان خبّازًا بغير نقاب فلما علم الشيخ منه ذلك طرَده عنه وقال لا تصحبني فإن الحرمة التي كنت تنتفع مني بها قد سقطتْ عنك فإذا زال عنك ذلك حينئذ تنتفع ففارقه فلما زال عنه ذلك رجع إليه فانتفع به.

فحرمة الشيوخ حرمة الله فإنهم نوَّاب الله عليهم وفيهم وفرحة (522) المريد [١٢٨] بضرب الشيخ ايّاه وانتهاره أعظم من فرحه (523) بإقباله عليه فإن في ضربه إياه لا يحتاج إلى ميزان وفي إقباله يحتاج إلى ميزان فإن قبول الشيخ على المريد قد يكون لمصلحة المريد في ذلك لعلمه بما هي عليه النفوس فثَم نفس لا تصلح إلا بالغنى وثَم نفس لا تصلح إلا بالفقر والضيق والمعيشة الضنك ولو [٣٢٢] استغنتْ لبطرتْ (524) وكفرتْ وثَم نفس لا تصلح إلا بالذلّ والهوان وثَم نفس لا تصلح إلا بالعزّ والإقبال فقد تكون نفس هذا المريد الذي يُقبل عليه الشيخ لا تصلح إلا بالإقبال عليه فلا بدّ للشيخ (525) أن يُقبل عليه لأنه لا يعامله إلا بما للمريد فيه المصلحة وذلك واجب على الشيخ.

وقد يكون إقبال الشيخ على المريد مكرًا من الله به واستدراجًا كما ذكرنا ويكون إقباله عين البعد فلهذا يحتاج إلى الميزان (526) وقد بيّناه فيما قبل وهو أن يعلم حدّ إقبال الشيوخ على الأجانب والعوامّ وحدّ اقباله علي المريدين فاذا راي اقبال الشيخ علي صورة اقباله علي الاجانب لا يفرح بذلك ويعلم أنه مطرود وإذا لم ير منه إقباله على العوامّ فليُبْشِر بخير ويعلم أنه على منزلته من الإرادة فاعلم ذلك فلا بدّ للمريد من هذا الميزان وأن يكون فيه يقظة ويتعيّن على الشيخ إذا رأى المريد قد استقلّ ونال الرتبة وساواه أو زاد عليه أن يتأدب معه إن ساواه بأدب الأكفاء وإن زاد عليه تأدب للمرتبة (527) التي زاد عليه

(522) ح: وفرجة
(523) ح: فرجته
(524) ح: بطرت
(525) ح: لشيخ
(526) ح: ميزان
(527) ح: المرتبة

بها وقد فعل شيوخنا معنا ذلك حتي (528) جلسوا بين أيدينا فإن الأدب إنما هو مع [١٢٩] المرتبة فاعلم ذلك فإنّا نعلم أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد ساويناه في الإنسانيّة وقد أمرنا الله أن نعزّزه ونوقّره وما ذلك إلا للمرتبة (529) التي أنزله الله فيها لا لعينه وكذلك السلطان وكذلك أولياء الله وبالرتبة علا الناس بعضهم على بعض فلا يفوتنّك استحضار مثل هذا في خاطرك والله الموفّق لا ربّ غيره.

ثم قال يا مريد فاقبل ذلك إن كنت محبًا صادقًا ومريدًا صافيًا فإذا نابك أمرٌ في دنياك أو دينك والعياذ بالله من النائبة في أمر الدين فاقصد شيخَك وشيخَ شيخك [٣٢٣] وإخوة الشيخ وتوسّل إلى الله بهم فإنه ما ينقطعُ عنك نَظَرُ الشيخ حيًّا وميّتًا لأنه فوّض الله سبحانه (530) إليه تتربيتك فما يقطع نظره عنك وكن علي ذلك من يقين وكذلك (531) أيضًا أقصد مريدين الشيخ إخوانك (532) فإنهم يقصدون الشيخ في حقّك ويتوسَّلون إلى الله بالشيخ والهمم تؤثر ثم لا تكن عجولاً في أمرك فإن المستعجل قريب من العطب.

أما قوله **يا مريد** بحرف النداء فلبُعده في الوقت عمّا دعاه إليه فيما أوصاه به وإن كان فيه ما أوصاه به فللدوام عليه والثبات فإن النداء قد يكون من مكان قريب مثل هذا المتصف فناداه مِن قُرب (533) وقد يكون مِن مكان بعيد وهو إذا كان فاقدًا لما وصّاه به وأما النداء الذي يكون من الإنسان لنفسه وهو الداعي الذي [١٣٠] يدعوه إلى الخير من سرّه وباطنه فإنه جمع بين القرب والبعد معًا فإن دعاه من نفسه لنفسه (534) بالخير خير في نفس الأمر فهو نداء قريب وكونه يأمره في ذلك النداء بفعل أمور ما هو عليها في الحال فهو نداء من مكان بعيد لأنه من الموطن الذي يدعوه إليه.

---

(528) ج، ظ، ب؛ ح، ي: -
(529) ح: للرتبة
(530) ح: سبحانه وتعالي
(531) ح: لذلك
(532) ح: إخوتك
(533) ح: مَن قَرب
(534) ح: لنفسه من نفسه

وهكذا كل نداء وقع في القرآن أو في كلام الناس ولهذا قيّد بعض المشائِخ في تفسير الإشارة أنها نداء على رأس البُعد إذ قد تكون نداء على رأس القرب إذا وقعت من الشخص لجليسه إذا كان ثَم ثالث لا يريد المشيرُ تعريفه بما يشير إلى جليسه الآخر.

وقوله **فاقبل ذلك كلّه** يعني ما أوصاه به فإن كان فيه فمعناه أثبت عليه ودُم وإن لم يكن فيه فمعناه على ما تلفّظ به.

ثم قوله بعد ذلك في شرطه في القبول **إن كنت محبّا صادقًا** فهو المراد **أو مريدًا صافيًا** وهو المريد فإن المراد أول ما [٣٢٤] يرزقه الله الحبّ فيكون محبّا فيلتذّ بجميع ما يدعوه محبوبه إليه إذا كان صادقًا في حبّه إيّاه **أو مريدًا صافيًا** وهو الذي يجد المنع فيتحمّل ما يُدعى إليه بالمجاهدة والمكابدة لما يشقّ عليه ذلك ولهذا يقع الشرط في مبايعة الإمام على السمع والطاعة في المنشط والمكره أي فيما تستحليه النفوس فتنشط لعمله إذا أمرها به الإمام أو فيما تمجّه النفوس وتتثقّله عليها وتكرهه (535) ومع الكراهة تفعله والله يقول ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً**﴾ [الرعد ١٥] فيما كان له تعالى فهو بلا خلاف طوعًا وما كان من أجله فمنه ما يكون طوعًا ومنه ما [١٣١] يكون كرهًا ويحمله على فعل المكروه عنده إما رغبة أو رهبة دنيا أو (536) آخرة فإن فعل ذلك تعظيمًا للأمر فذلك محبّ عارف فإنه لو لم يخف ولا يرجو لم يبادر إلى فعل ما يشقّ عليه فعله.

وأما التعظيم فخارج عن الخوف والرجاء وهو قول النبيّ عليه السلام في حقّ صهيب لما أثنى عليه «**نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يَعْصِه**» وهو عين ما ذهبنا إليه من الفعل الشاقّ لما يجده الإنسان في نفسه من تعظيم مَن أمره به مع ارتفاع الخوف عنه من جهة ما والرجاء فيما عنده.

وأما قوله **فإذا نابك أمر في دنياك أو دينك فاقصد شيخك وشيخ شيخك وإخوة شيخك وتوسّل إلى الله عزّ وجلّ بهم في ذلك** فهو

(535) ح: فتكرهه

(536) ح: و

قول أبي يزيد البسطامي أو غيره من المشائِخ الكبّار قال يومًا لبعض مريديه إذا كانت لك إلى الله حاجة فاقسِمْ عليه بي وذلك لعلمه بذلك المريد فإنه يعتقد في شيخه هذه المكانة عند الله ممّا لا يعتقده في غيره وعرف الشيخ أن الهمم والصدق في الأمور [٣٢٥] إذا كان قويًا أثر وسواء كان ذلك المسئول به على المكانة التي يعتقدها فيه هذا السائل به أو دون ذلك فإن الإجابة لا بدّ منها ممّا يعطيه الصدق ونفوذ الهمّة من الأثر ولهذا يفعل السحر الذي تعمله النساء في الأمور ما لا ينفع من الرجال أكثرهم (537) وما ذاك إلا لأخذهم بالقبول وتصديقهم بأن (538) ذلك يكون ولا بدّ فيظهر الفعل عن صدقهن وهمّتهن وعزمهن وقطعهن به لا عن العمل.

وقد قرّرنا اعتقاد المريد الصادق في الشيخ [١٣٢] كيف هو فصدقه يرفع عنه ما نابه إذا توسّل بمن ذكره في ذلك الأمر الذي نابه وقد يكون ذلك من المجموع أعني من همّته ومكانة الشيخ فيكون بمنزلة شفعاء كثيرة في أمر واحد يقبل المشفوع عنده شفاعة كل واحد فيه لو انفرد وقد يصادف زائدًا على الهمّة والمتوسّل به في ذلك عند ذكره ربّه في دعائه أن يدعو باسم يعطي بالخاصّية الإجابة فيما دعا فيه من حيث لا يشعر.

وأما قوله في حقّ الشيخ **حيًّا كان أو ميّتًا** فما قطع يعني الشيخ نظره عنك يقول أن همّة الأنبياء فيمَن بعثت إليهم أن يهتدوا بها فلا يزال نظرهم (539) إليهم وكذلك الورثة وهم الشيوخ لا يقطعون نظرهم عن المريدين الذين تحت تربيتهم (540) فإنهم له كالأمّة للرسول المؤمنة منها التي يشافهها رسولها بالخطاب فيأخذونه علما لا غلبة ظن كما يأخذه الشخص عن ناقل عن الشيخ فإن المشافهة لا تقوم مقام النقل وأنها تفيد العلم فيعمل على بصيرة ولهذا متّبعوا الرسول (541) الذين أخذوا عنه وإن كان ميتًا على الكشف أو عن مَن أخذ عنه ذلك

(537) ح: أكبرهم
(538) ي: أن
(539) ج، ب؛ ح، ي، ظ: نظره
(540) ح: تربيته
(541) ح: الرسل

الرسول من الأرواح [٣٢٦] الطاهرة (542) أو عن الله وهو الأصل المرجوع إليه فيدعو هذا الآخذ على بصيرة إلى الله أي على علم اقتضاه العين وأعطاه ذلك الإتّباع بما شافهه به أو بما نقل إليه على وجه يصحّ عنده ذلك النقل فيأخذه بالقبول ويقطع به فذلك أيضًا من متبعيه وهو قوله ﴿**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف ١٠٨].

وأما قوله **فكذلك أيضًا أقصد** يعني في ذلك الأمر الذي نابك **مريدي** [١٣٣] **الشيخ إخوتك فإنهم يقصدون الشيخ في حقك ويتوسلون إلى الله** يريد بذلك أمورًا منها أن تعتقد في المريدين إخوتك أنهم صادقون وتزيل عن نفسك ما يخطر لك في حقّهم من التهمة حتى لا ترى لنفسك مزيّة عليهم فتستعين بهم على ما تريد فإن الله تعالى يقول ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ [المائدة ٢] فإن الإنسان إذا كان بهذه المثابة مع أقرانه لم يقم بنفسه لهم احتقار ولا نقص وهذه جنة (543) معجّلة له ﴿**إِخْوَانًا** (544)**عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الهجر ٤٧].

ومنها أيضًا أنه قد يكون في المريدين من هو أعلى منه عند الله تعالى أو عند الشيخ بحيث أن يكون قبوله من ذلك أسرع من قبوله من صاحب النائبة فإن الله تعالى إذا سمع فيه سؤال هذا المريد المقرّب عنده قضى حاجته فيه وزيادة إذا أرا الله له بصاحبه عناية فيعصمه من أجله فيما بقي من عمره.

ومنها أيضًا أن يكون في علم الله أنه لا تقضى تلك الحاجة إلا بهذا المجموع أو سؤال شخص واحد منهم فلا يكون إلا ما سبق به العلم فأوصاه بذلك لعلمه أن تكون الإجابة من هذا القبيل فما ترك شيئًا من المحتملات إلا ودلّه على ما فيه المصلحة في حقّه لأنه أوصى عامًّا قومًا مجهولين عنده.

وأما قوله لهذا الشخص **ثم** [٣٢٧] **لا تكن عجولاً في أمرك فإن المستعجل قريب من العطب** يريد قوله عليه السلام «**إن الله** (545)

(542) ح: الظاهرة
(543) ي: حسنة
(544) ح: إخوان
(545) ح: الله تعالى

يستجيب للعبد ما لم يقل العبد لم يستجب لي» فهذا معنى العطب فإنه إذا قال لم يستجب لي فإن الله لا يستجيب له بعد ذلك وذلك لأنه أساء الأدب وأكذب الله في قوله تعالى ﴿**أُجِيبُ** [١٣٤] **دَعْوَةَ الدَّاعِ**﴾ [البقرة ١٨٦] فالإجابة لا بدّ منها وسأبيّن موضعها وحدّها وبقي قضاء ما سأل فيه كيف هو.

أما قوله ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة ١٨٦] فإن الداعي إذا دعاه لا بدّ أن يدعوه باسم من أسمائه فيقول مثلاً يا الله أو ما كان من الأسماء أو الكلام إما باللسان أو بالقلب أعني كلام النفس فلا بدّ أن يقول الله له لبّيك أي إجابة لك دعاه مَن دعاه ودعاه فيما دعاه فلا بدّ من هذه الإجابة أي قد سمعتُ دعائك فيما تريد أو ما تسأل (546) فيه فيذكر العبد عقيب هذا الدعاء ما يدعوه فيه من الحوائج.

ولا شكّ أن علْم الله بالمقادير والأوقات والأحوال لا يتبدّل (547) فإن كان الله تعالى قد سبق في علمه قبوله وإجابته لما دعاه فيه فلا يخلو إما أن يكون عن زمان قريب أو بعيد أو موقوف على حال خاصّ من هذا الداعي أو مِن أمْر آخر لا بدّ من ذلك فتكون الإجابة من التعجيل والإبطاء بحسب ذلك أي بحسب وقوع ذلك كما حُكي في قصّة موسى في قوله تعالى ﴿**قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا**﴾ [يونس ٨٩] وكان بين دعائه في ذلك وظهور ما دعا فيه ووقوعه أربعون سنة فكان ينتظر بذلك ما سبق به العلم من الزمان أو من الحال أو من المجموع فإذا كان في علم الله أن المسئول فيه لا يقع فلا [٣٢٨] بدّ ممّا يقوم مقامه من تكفير خطايا عنه لو كُشف له عن ذلك لآثر ذلك على قضاء حاجته ورأى أنها أوْلى وأن الله قد رَفَق به واعتنى حيث عوّضه هذا بدلاً ممّا سأل فيه أو يرفع له بها درجات لم يكن يصل إليها لو قضى حاجته فيما سأل فيه بحيث أيضًا [١٣٥] لو كشف الله له عن ذلك لاختار هذه الدرجات على قضاء حاجته فعلى كل حال لا يخيّب سؤاله من الخير هذا كلّه ما لم يقل لم يستجب لي فإذا قال لم يستجب لي لم يحصل له شيء من هذا كلّه فإنّ عملَه قولُه لم يستجب لي والنبي

(546) ح: يسأل
(547) ح: تتبدّل

عليه السلم يقول «**إنما هي أعمالكم تردّ عليكم**» وليس له عمل هنا إلا سوء ظنّه بربّه فهو الذي أرداه (548) وهو العطب كما قال الله في حقّ قوم ظنّوا أن الله لا يعلم كثيرًا ممّا يعملون فقال لهم ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ**﴾ [فصّلت ٢٣] نسأل الله تعالى العصمة من مثل هذا.

ثم قال **ولا تلحّ على شيخك أصلاً في أمر من الأمور في حقك فإنه أعرف بالمصلحة في حقّك منك ولا تقل له شيئًا بلسانك ولا تشافهه فيه بل إذا كان في نفسك أمرٌ تريد تراجع الشيخ فيه فاذكره للشيخ فيما بينك وبين نفسك فإنه لا يخفى عليه شيء من حالك.**

أما قوله **ولا تلح على شيخك أصلاً في أمر من الأمور** إذا سألته **فإنه أعرف بالمصلحة منك في حقّك** يقول ذلك (549) كما وقع للفتى الذي رمى نفسَه في التنور المسجّر وكان سببه الإلحاح على الشيخ وقد تقدّمتْ الحكاية ولولا ما سبقت العناية له بما كان قد دعا به الشيخ قبل ذلك وإلا احترق وكان من أهل النار فإن (550) بعض الصحابة قدّمه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سَريّة على قوم فخرج عليهم فأضرم [٣٢٩] نارًا وقال لهم [١٣٦] ألم يأمركم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسمع والطاعة لي فقالوا بلى فقال لهم ألقوا نفوسكم في هذه النار فقالوا له إنما أسلمنا أن ننجوا من النار فوالله ما نسمع فلما بلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال «**أما إنهم لو ألقوا نفوسهم في النار ما خرجوا منها**» وقال عليه السلام «**إِنَّمَا أَهلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَة سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**» وقال الله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [المائدة ١٠١] وقال الصحابة نهينا أن نسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعني ابتداءً فكيف أن نُلِحّ في السؤال طلبًا للجواب فسكوت المسئول جواب لمن عقل عنه ولا سيّما الشيوخ ورثة الأنبياء فإنهم أعرف بالمصالح وبأوقات الكلام منك فإياك أن تسأل الشيخ سؤال مَن يطلب الجواب فتكرّر عليه ذلك وإنما أعرِض عليه

(548) ح: أراده
(549) ح: ذلك رضي الله عنه
(550) ح: فإنه

ما وقع لك في نفسك وفي خاطرك وفي رؤيا تراها فإذا فرغت من ذلك ورأيت الشيخ يسكت عنك به (551) فلا تزد على ذلك وقم إلى شغلك هذا هو الأدب النافع فإن الشيخ لو عرف أن إجابته إياك في ذلك لك خير فيه فعل فسكوته هو عين المصلحة في حقّك في ذلك الوقت.

أما قوله **ولا تقل له شيئًا بلسانك ولا تشافهه بذلك** هذه طريقة التعليم إلى الوصول لتأثير الهمم من المريدين في الشيوخ وغيرهم والصدق في ذلك فإن المريد إذا صدق حرك الشيخ بصدقه وهذا معروف [١٣٧] في الطريق ولقد كان لي صاحب في خدمة شيخ كنا نخدمه وكان الشيخ غائبًا فجاءني ذلك الأخ وسألني في أمر وقع له في القرآن فانتهرتُه وقلتُ له [٣٣٠] فأيّ فرق بينك وبين العامّة إذا كنت بهذه المثابة تأخذ العلم عن الرجال ألم يقل أبو يزيد أخذتم علمكم ميّتًا عن ميّت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت هلّا صدقتَ مع ربّك واستندتَ إليه في هذه المسألة حتى تأخذها ذوقًا من الله بلا واسطة والله لو كان الشيخ حاضرًا لجعلتُه يؤدّبك ألا ترى الشيخ رضي الله عنه ما يحيلنا إلا على الله في كل ما يخطر لنا من العلم فقال المريد صدقتَ وتاب وانصرف عني فلما كان من الغد جاءني وقبّل براسي وقال جزاك الله عني خيرًا من صاحب وأخ كريم انفردتُ الليلة مع الله في تلك المسألة فنفث في روعي الجواب عنها وهو كذا وكذا وذكر الجواب وكان جوابًا حسنًا سادًا فقلتُ له أليس هذا أحسن فقال بلى ومع هذا فما سكتتُ (552) عنه لما حضر الشيخ ذكرتُ له ذلك فقال نِعم ما فعلتَ وهجره الشيخ على ذلك مدة.

وأما قوله **بل إذا كان في نفسك أمر تريد تراجع الشيخ فيه فاذكره للشيخ فيما بينك وبين نفسك فإنه لا يخفى عليه شيء من ذلك العلم.**

اعلم أوّلاً أن المريد إذا صدق في الشيخ جعل الله له في نفسه مثالاً للشيخ ذلك المثال هو الذي يشهده ويغلب عليه حتى يقول هذا هو الشيخ ما يقول كأنه هو [١٣٨] بل يقول هو هو وكذلك هو هو فليذكر

(551) ح: -
(552) ح: سكت

تلك المسألة للشيخ المتوهَّم الموجود الحاضر في خياله كما يناجي المومن المصلّي الله في قبلته فإن ألقى الله عند الشيخ الأصلي من خارج ما أنت عليه عرف المسألة وحرك ذلك الشيخ المتوهَّم الذي تشاهده بالجواب عن تلك المسألة فإن ذلك الشيخ الذي في نفسك لشيخك الخارج كالظلّ مع الشخص سواء فذلك ظلّ شيخك فاعتكف عليه ولا [٣٣١] ينْشِئه عندك إلا نور صدقك فهو يمدّه في طبيعتك بالنور الإلهي الذي عندك منه من الإيمان بشيخك وكثيرًا ما يجري هذا للمريدين الصادقين.

وهذا للمريد أنفع في الجواب من الجواب الذي يأخذه عن الله من غير واسطة هذا الشيخ المتوهَّم فإن الحقّ تجلّيه في الشيوخ أعظم من تجلّيه في المريد كمسألة المريد الذي استغنى بالله عن أبي يزيد في زعمه فلما قال له الناصح العارف لأن ترى أبا يزيد مرَّة خيرًا لك من أن ترى الله ألف مرَّة لعلمه بأن الله تعالى ما يتجلّى لكلّ أحد إلا على قدر صفاء مرآته وشكلها وعَلِم أن مرآة أبي يزيد أكمل وكذلك كان فلما رآه ذلك المريد مات هيبة فلما دُفن قيل لأبي يزيد قصّته فقال كان يراه على قدره والآن رآه (553) فينا على قدرنا فلم يُطِقْ فهلك.

كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم (554) يأخذ الوحي عن الله في مرآة جبريل شيخه وهو قوله تعالى (555) ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ**﴾ [الشعراء ١٩٣-١٩٤] وقوله ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ**﴾ [القيامة ١٨-١٩] [١٣٩] فنسب القراءة إليه تعالى كما قال على لسان عبده المصلّي «**سمع الله لمن حمده**» ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾ [الأنفال ١٧] كذلك ما قرأتَ حين قرأتَ ولكن الله قرأ ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسمع التلاوة من جبريل والقاريء هو الله فإنه يقول ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ**﴾ فأضاف القراءة إليه تعالى كذلك تجلّي الحقّ في الشيوخ للمريدين هو أتمّ في الأخذ عنه من تجلّيه للمريد وحده من حيث هو.

---

(553) ح: فرآه

(554) ح: رسول الله عليه السلم

(555) ي: -

وأما قوله **وتوسّل إلى الشيخ** يريد ذلك الشيخ المتوهَّم الذي أنشأه صدقك ولذلك قال بعد هذا **فيما بينك وبين نفسك** ثم قال [٣٣٢] لك في توسّلك إليه أن يكون **بالله ثم بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم ثم بالملائكة والأنبياء ثم بشيخه ثم بالصالح من عباد الله** يقول توسّل لذلك الشيخ الذي في خيالك الذي هو ظلّ شيخك الخارج بالله أي اجعل الله واسطة بينك وبينه فيما تطلبه منه ثم إنه لما عرّف أن الله تعالى يتجلّى (556) على قدر كل طائفة ولهذا يرجع الأمر كله إليه وتُصح العقائد كلها عليه وإذا كان هذا وتوسّل (557) بالله يتوسّل بالله الذي في علم محمّد صلّى الله عليه وسلّم منه فإنه الشخص الكامل من هذا النوع الإنساني ثم بالملائكة فإنه باسمه النور ظهر (558) فيهم وبالنور تظهر الأشياء للبصائر والأبصار ويعني بالملائكة هنا الأرواح المخلوقة من أنفاس محمّد صلّى الله عليه وسلّم فلهذا قَدّم محمّدا عليه السلام عليهم في الذكر ولو أراد العالِين من الملائكة المهيّمين لقدّمهم على محمّد صلّى الله عليه وسلّم هذا إن كان هذا [١٤٠] الشيخ ممّن يقول بذلك وإن كان ممّن يقول بفضل الكامل من هذا النوع الإنساني على المَلَك ولا أكمل من محمّد صلّى الله عليه وسلّم في هذا النوع البشري ولهذا قدّمه على الملائكة والأوْلى بهذا الشيخ حمل كلامه على الوجه الأوّل فإن الإنسان ينبغي له أن يحمل كلام صاحبه على أتمّ الوجوه حتى يوفّيه حقّه فإن كان ذلك كذلك فقد أنصفه (559) وإن كان دون ذلك فقد أعطى المقام حقّه في العبارة عنه وهذه الطريقة أوْلى ثم بالأنبياء بعد الملائكة وهم أولو العلم بالله في قوله ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ**﴾ [آل عمران ١٨] فقدّم الملائكة وعلمنا أن قوله ﴿**وَأُوْلُوا الْعِلْمِ**﴾ منا أن الملائكة كلهم أهل علم بالله وإنما قال في حقّنا أولو العلم منا فإنه يريد أهل الكشف والتجلّي وأصحاب البراهين النظرية العقليّة لا يريد المقلّدين [٣٣٣] فإنهم وإن صادفوا العلم فما هم

(556) ح: -
(557) ح: واذاً توسّل
(558) ح: -
(559) ح: أيقظه

عالِمون فكل صاحب نظر في الله فهو عالم بالله وإن خالفه في ذلك عالم آخر فإن الأمر في نفسه أوسع من أن يتقيد بشخص (560) دون شخص وكذلك العلماء بالله من طريق التجلّي كالنظر العقلي في العلم بالله سواء فإن تجلّى الحقّ لكل صاحب تجلّي مخالف لتجلّيه للآخر فإن الأمر أوسع من ذلك والكل علماء بالله.

ولهذا ينبغي للناصح نفسه أن يبحث عن كل مقالة لصاحب نظر في الله حتى يعلمها فإنها صورة من صور الحقّ وينبغي أن يعلم ما جاءت به الأنبياء في الله فيعتقد ذلك فيكون صاحب هذا الأمر يرى الحقّ في كل معتقد وهذا هو النظر الكامل والمقام الشامل فلا يتصور من مثل هذا إنكاره للحقّ إذا تجلّى في موطن الانكار وإن سكت [١٤١] عن ذلك فسكوته عن معرفة بالله اقتضى له الموطن والحال السكوت.

ويتوسّل إلى ذلك الشيخ المتوهَّم أيضًا بشيخه الخارج كذا ذكر فإن هذا الشيخ المتوهَّم الذي هو ظل الشيخ الخارج من هذا الشيخ الخارج تكون المادّة له ولكن لا يراه المريد إلا من هذا الشيخ المتوهَّم علم ذلك المريد أو لم يعلمه ثم يتوسّل أيضًا لذلك الشيخ الذي عنده بالصالح من عباد الله يعني بالصالح (561) المقام الذي سألتْ الأنبياء أن تلحق بأهله بقوله ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النمل ١٩] وشهد الله به لبعض الأنبيا كعيسى بن مريم وغيره كما ذكر في القرآن.

ثم قال هذا الموصي رضي الله عنه بعد هذا التوسّل بهؤلاء المذكورين **انظر في نفسك فإن وجدتَ عندك شوقًا إلى الشيخ** يعني بذلك الشيخ الخارج تشتاق إليه ولا يكون ذلك مع مشاهدته في باطنه إلا ممّن علم أن ذلك الذي في باطنه منه أنه مثاله وظلّه لا عينه فاشتاق إلى الشيخ من خارج [٣٣٤] حتى يكون هذا المريد للشيخ من خارج بمنزلة ظلّه منه الذي هو الشيخ المتوهَّم فإنه أقرب سندٍ فإنه إذا أخذ عن الشيخ المتوهَّم يقول حدثني ظلّ شيخي عن شيخي فإذا أخذ عن الشيخ من خارج عند المقابلة إما بالفهم عنه في نظره إيّاه وإما أن يشافهه الشيخ بالخطاب فيقول حدثني شيخي.

(560) ح: شخص

(561) ح: بالمصالح

ثم قال بعد ذلك **وإن وجد باعثًا للوقوف بين يديه** والباعث هنا الذي يبعثه هو من ذلك الشيخ المتوهَّم وهو بمنزلة داعي الحقّ الذي [١٤٢] في قلب كل مؤمن إذا أراد أن يتوب يُسْمِعه اللهُ ذلك الداعي فإن الداعي لا يزال أبدًا داعيًا إلى التوبة ولكن في الآذان وقْر فمتى ما زال ذلك الوقر من أُذن المدعُوِّ سمع فأجاب وبادر إلى ما دعي إليه كذلك يبادر هذا المريد إذا وجد الباعث فإن ذلك خاطر الشيخ من خارج والشيخ المتوهَّم ترجمانه والباعث لسان الترجمان فاعلم ذلك ولذلك قال **فبادر إلى ذلك** واعلم أنه خاطر الشيخ قد أزعجك فلا تقف.

ثم قال **وإن قال لك قائل أن الشيخ يطلبك أو ذكرك ولم تجد ذلك الباعث متأكّدًا عندك فلا تسعَ إلى الشيخ** بناءً على ذلك من غير أن يكون ذلك في قلبك هذا يحرّضك على استدامة الحضور أبدًا مع الشيخ في قلبك حتى تصير لك الحضور عادة فتجد ذلك مع الله إذا فقدتَ الشيخ أو (562) استقللتَ بنفسك دونه وإن كان لا بدّ أن تبقى من المتقدّم المقتدي به بقيّة عند المتأخّر المقتدي لا بدّ من ذلك وهو مثل قوله تعالى لما ذكر الأنبياء لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم قال له ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام ٩٠] وإن كان هو السيد على الجماعة ولو كانوا بالحياة لاتّبعوه ولكن لما تقدّموا بالزمان والطريق واحدة كان المتأخّر مقتديًا بالمتقدّم بلا شكّ قال الله تعالى ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً** [٣٣٥] **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ وهو ما يختصّ به دون الجماعة ﴿**وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى ١٣] فوقعت الوصية بإقامة الدين وترك [١٤٣] النزاع والاجتماع عليه فلا بدّ أن يكون المتأخّر مقتديًا بالمتقدّم بالزمان فيما يقع فيه الاشتراك ﴿**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ هو ما يختصّ به أيضًا الشيخ الوارث أو المريد إذا استقلّ وخرج عن تأثير الشيخ فيه وساواه أو زاد عليه فلينظر المريد فيما يقال له من خارج ما يجد في قلبه فإنه له كالمصحف يتلو الحقّ فيه عليه ما يريده منه فلا معوّل للمريد إلا

(562) ح: و

على ما يجد في قلبه لا على ما يسمعه بأذنه وقد ورد في الخبر ما يؤيّد هذا وهو خبر صحيح من طريق الكشف «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ**» وقال في الصحيح من الطريقين في هذا المعنى في باب الورع «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**» كل ذلك إشارة من الشارع إلى المكلّف أن يتفقد قلبه في كل مسألة حتى يرى فيه آثار ربه تعالى.

ثم قال **فإن الشيخ قد سلّطه الله على قلبك ولو أراد إحضارك بين يديه لجذبك إليه** أما قوله في تسليط الشيخ على قلبه فذلك أن المريد ما يجيء إلى الشيخ ابتداءً حتى يجعل له سلطانًا على نفسه فما سلّطه على قلبه سواه بما اعتقد فيه ولذلك يعاقب إذا خالفه في شيء ممّا يدعوه إليه الشيخ أو يتحقّق به على شهود من المريد لذلك فإن في اعتقاد المريد أن الشيخ بهمّته يفعل فيه ما لا (563) يحتاج إلى نطق في ذلك باللسان بل نطقُه بالباطن بلسان الغيب ولا بدّ من ذلك وهو توجّه الإرادة من الشيخ فيما يريده منه فذاك حَدُّ أمره للمريد [١٤٤] بذلك [٣٣٦] فلا بدّ من كلام النفس وهو أمر معقول زائد على الإرادة فإن توجّه الإرادة على المراد حكم زائد على عين الإرادة يعبّر عن ذلك بالقول والأمر وهو قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا أَمْرُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [النحل ٤٠] فما اكتفى بالإرادة حتى جاء بالقول بجهة الأمر وإذا كان ذلك في الجناب الإلهي بل ما يعطي الحقائق إلا ذلك فأحْرى أن يكون ذلك في المخلوق وسبب ذلك تعلّق همّة المريد بالشيخ فالشيخ أقرب إليه من نفسه عنده وليس إلا الشيخ الذي في خاطره وبين المريد أعني قلب المريد و الشيخ رقيقة ممتدّة وهو حبل أوصله بتلك الرقيقة يجذبه وبها ينجذب له المريد وهو مثال حبل الله الذي أمرنا الله بالاعتصام به.

وأما قوله **وكن بذلك متيقّنًا له** ينبهك أن تكون صادقًا في اعتقادك في الشيخ أنه قادر على ما ذكر لك نافذ الهمّة فيك أي أن الله تعالى جعل له ذلك ولأمثاله ولذلك قال بعد هذا **كل ذلك بأمر الله** أي أن الله تعالى أمره بذلك إذ لا يفعل الشيخُ شيئًا إلا عن أمر إلهي كما أن مريد التربية لا يفعل شيئًا إلا عن أمر الشيخ وفيه يتعلّم الأخذ عن الله وإذا لم يتحرّك الشخص إلا عن أمر الله على الطريقة الخاصّة في

(563) ج، ب؛ ح، ي، ظ: -

سرّه والطريقة المشروعة في ظاهره فإنه تنفذ همّته ويمشي قصده ويكون ما هَمّ به ولا بدّ فإن غفل وتحرّك في أمر عن غير أمر إلهي فقد يصيب وقد يخطيء (564) والشيخ لا يتحرّك بحمد الله في كل ما يتحرّك فيه إلا عن أمر الله بخلاف الرسول صلوات الله عليه [١٤٥] فقد يحرّكه اللهُ في أمر من جهة نفسه فلا يقع ما يريد وقد لا يصيب في أمر من (565) الأمور يأمر (566) به من حيث نظره وذلك ليس من نقص فيه صلّى الله عليه وسلّم وإنما ذلك لما جعله اللهُ [٣٣٧] أسوة يقتدي به الضعيف والقوي فجعل جميع حركاته حجّة للفريقين لأنه بعثه الله رحمة لخلقه فسأل في أبي طالب عمّه ليكون من المهتدين من غير تحقّق بهدايته فلم يجبه الله لما سأل فيه وعوّضه عن سؤاله ما شاء من الخير ليكون العبد إذا سأل في أمر معيّن فلم يحصل له يجد برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عزاءً لنفسه في ذلك.

ثم إن الله تعالى وفّق رسوله صلّى الله عليه وسلّم لأن ينهى اصحابه عن تأبير النخل من نفسه لا عن أمر الله المعتاد ففسد النخل واعتذر عن ذلك فقال «**ما أمرتكم به أو نهيتكم عنه عن الله فخذوا به**» فيجد الضعيف إذا وقع في مثل هذا حجّة برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكذلك حكمه مع أبي بكر في أُسارى بدر وأمثال هذا فيجد القوي به حجّة والضعيف به حجّة وما عدا الرسول ليس له (567) هذا المَنْصِب فإذا لم يكن له هذا المَنْصِب في العموم كان حاله أنه لا يتحرّك إلا عن أمر الله ومهما تحرّك عن خاطر نفسي عرّف به أصحابه لئلا يسقط من قلوبهم إذا رأوا ذلك فيُحْرَمون فائدته فإذا عرّفهم كانوا منه على بصيرة ولم ينتظروا وقوع ذلك الأمر ولا بدّ أعني الذي تحرّك فيه الشيخ فيتعيّن على الشيخ أن يبيّن للمريدين حركته النفسية خاصّة.

وأما ما سكت عنه ولم يُعلِم به مريديه فهو عن أمر إلهي ولا يلزم [١٤٦] النبي ذلك أعني التعريف للصحابة إلا بعد الوقوع فمنزلة الرسول

(564) ح: ويخطيء
(565) ح: -
(566) ح: يأمره
(567) ح: -

تخالف (568) منزلة الشيخ للعموم ولأنه محلّ التأسّي والإقتداء والشيخ ليس كذلك لا في العموم ولا في أصحابه فإنهم هم الذين يلزمون أنفسهم التأسّي به والرسول يلزمهم التأسّي [٣٣٨] به وهذا لا خفاء به من فارق يقول صلّى الله عليه وسلّم «**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**» «**خذوا مناسككم عنّي** (569)» يقول الله فيه ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**﴾ [الأحزاب ٢١].

ثم إن هذا الشيخ أكّد قولَه في الشيخ أنه لا يكون ذلك كله إلا بأمر الله تعالى فقال **وإرادته** فيريد بلا شكّ الأمر الذي يكون به التكوين لا يريد أنه يأمر فيُحْدِثَ الأمرَ عنده فيكون محلاً للحوادث وليس كذلك وإن كان هنا نكتة أنبهك عليها وذلك أن الحقّ له التجلّي في الصور ويُحْكَم عليه بحكم الصورة التي يتجلّى فيها كما يُحْكَم عليه في العموم المعتاد في رؤيته تعالى في المنام في صورة ما فايّة صورة ظهر فيها للنائم تتبع (570) تلك الصورة لوازمها وهذا ما لا ينكر (571) والإدراك واحد من الفريقين الخاصّة والعامّة غير أن الخاصّة تشهد ذلك (572) من الحقّ في يقظتها ولكن في الموطن الذي تشهده العامّة لا بالحال الذي تشهده العامّة فإن حال العامّة في ذلك النوم والموطن واحد وإذا كان الأمر كذا فقد تكون الصورة ممّن يستلزمها قبول الحوادث فيحدث الأمر عنده عن إرادته في نفسه إذا كانت الصورة تطلب ذلك بحقيقتها والحقّ قد ظهر فيها فلا بدّ أن يُحكم [١٤٧] عليه بذلك فافهم ما ذكرتُه فهو نافع جدًّا في التخليص فإن الوهم سلطانه عظيم وغوره بعيدةٌ (573) واحذر ممّا تردّه العقول بأدلّتها فالله أوسع أن يتقيّد بدليل العقل دون غيره بل له ما يدلّ عليه النظر العقلي وغير ذلك هذا هو المرجوع إليه وبه جاءت الكتب من الله والرسل بأجمعهم واحذر من التأويل وردّ ذلك إلى ما يطلبه العقل بدليله في الله فإنه مهلك.

---

(568) ي: يخالف
(569) ح: عنّي مناسككم
(570) ي: يتبع
(571) ح: يتكرر
(572) ح: لذلك
(573) ح: بعيد

ثم زاد هذا الشيخ **ومشيئته** والمشيئة من الحقّ بعض أحكام الإرادة وهو ما يزيد في الوجود لا ما ينقص كإظهارُ عين لا إعدامها فالإرادة [٣٣٩] للعدم والوجود والمشيئة للوجود خاصّة فإن أُعدم بالمشيئة فهو زيادةُ حكمٍ في الموجود وهو رجوعه إلى العدم الذي منه جاء فيعتبر ذلك فيطلق عليه اسم المشيئة.

ثم زاد أيضًا **وقضائه في خلقه** يقول حكمه فيهم فإن القضاء الحكم.

ثم قال **واجتهد أن تُخفي** (574) **جميع ذلك إخفاءً بليغًا** وأكّد في الوصية بذلك تأكيدًا يعني ما تقدّم ذكره من أحوال الشيخ يقول يكون ذلك في نفسك لا تُعرِّف به أحدًا حتى لا يتطرّق الأذى منه إلى شيخك فيعود الحرمان والخسران على المنكرين لذلك في حال الشيخ والطريق رحمة والرفق بالمحجوبين عن مثل هذا واجب على كل سالك فإن إظهار مثل هذا في العموم من التغالي في الدين وقد ورد النهي في ذلك من الله تعالى بقوله ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ**﴾ وأنت من أهل الكتاب لأنك من أهل القرآن ﴿**لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ ثم قال ﴿**غَيْرَ الحَقِّ**﴾ [المائدة ٧٧] عند من يرى أن ذلك [١٤٨] غير الحقّ وهو في (575) العموم وعند من يراه الحقّ فما هو تغالِ فافهم ذلك.

ثم (576) قال **فإن حصل لك شيء ممّا كنتَ ترجوه من الله أن يأتيك به على يد شيخك فلا تراجع الشيخ فيه** يقول لك لا تُشْغِل وقتك بذكر الحاصل فيفوتك خير الوقت أي وارد (577) الوقت الذي هو من الشئون التي هو الله فيها في حق عباده فإن الحاصل لا فائدة لذكره إلا أن يجلب بذكره زيادة لامتثال أمر إلهي مثل قوله ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى ١١] ليُسمع الغير فيطمع فإن النفوس مجبولة على حب النعم والإنعام من القادر عليه فيؤثر ذكر ذلك في السامعين إلتجاءً وهمّة وطلبًا وافتقارًا إلى الله في تحصيل ذلك وأمثاله.

---

(574) ح: يخفي
(575) ح: -
(576) ح: -
(577) ح: واراد

ولذلك قال هذا الرجل **لا تراجع فيه شيخك فإن الشيخ هو الذي أتاك به** [٣٤٠] **من عند الله فلا فائدة لتعريفك به فإنه أعلم به منك** ولم يحجّر عليك ذكر ذلك فيمن تعلم (578) أنه يقبله ويستفيد به عند الله منزلة ثم أكّد في الوصيّة فقال **وإن تأخّر عنك ذلك المرجو فلا تراجع فيه أيضًا شيخك** يقول فإنه إذا كان لا يأتيك إلا على يد شيخك فلا فائدة لمراجعتك إياه في ذلك إذا تأخّر عنك فإنك تُبْرِم الشيخَ بذلك إذ لا يخلو الشيخ فيه عن الله من (579) أحد أمرين إما أن يكون الله تعالى قد أعطاه (580) ذلك وما أمَره بتبليغه إليك لمصلحة لك في التأخير فإن الشيخ غير متّهم في المريد ولا في الخلق أجمعين فلا فائدة للمراجعة مع علمك أنه قد علم المطلوب.

والأمر الآخر أن يكون الله لم يعط بعد ذلك الأمر للشيخ أن يأتي به إليك لتلحّ بالمراجعة فيه إلى [١٤٩] الشيخ وقد نهاك أن تلحّ على الشيخ في شيء فتستعجل أمرًا قد أراد الله تأخيره وذلك لجهلك بالاستعداد الذي أنت عليه فإن ما هناك (581) منع ولا تقدّم ولا تأخّر بل وهبٌ مطلق والقبول منا على قدر ما نحن عليه في كل نفَس من الاستعداد فما تأخّر القبول إلا لعدم الاستعداد فكن عارفًا بما أنت عليه تكن عارفًا بما هو الأمر عليه ولا تسيء الظنّ بشيخك فإن ذلك سوء ظنّ بربّك وإن الله عند ظنّ عبده به فإذا ظنّ به أنه لم يستجب له لم يستجب له بعد ذلك فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول «**إن الله يستجيب للعبد ما لم يقل العبد لم يستجب لي**» فاحذر من مكر الله بك من حيث لا تشعر ولا سيّما وقد علمتَ أن لكل أمرٍ شرطًا في حصوله وليس إلا الاستعداد الذي ذكرناه.

لذلك تمّم هذا المتكلّم فقال في وصيّته **فإن لكل شيء شروطًا جرتْ عادةُ الله بوقوف ذلك على اجتماع تلك الشروط** فقوله **عادة** أدبًا مع الله فإنه حقيقة فإنه ما ثم في الأمر نفسه عادة بل هو مع الأنفاس [٣٤١] حكم (582) جديد لا يشعر به فإن الأمثال تمنع من

(578) ح: يعلم
(579) ح: من الله عن
(580) ح: أعطاه الله
(581) ح: هنالك
(582) ي: خلق، وفي الهامش: حكم

الوصول إلى ذلك التحديد كما قال تعالى (583) ﴿**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً**﴾ [البقرة ٢٥] فيقولون هذا ذلك وبالذوق يُعرف الفرقان والوجود كله في عين الفرقان فالقرآن من حيث تماثل الصور والفرقان من حيث الأذواق فالقرآن في العموم والفرقان لا يحصل إلا للمتَّقين الله تعالى.

ثم قال **بل احضرْ ذلك ببالك ووجّه خاطرَك به إلى الشيخ كأنك تسأل إنجاز ذلك أو سبب تأخيره** [١٥٠] إنما أوصى (584) بهذا هذا الشيخ لأنه علم أن الإنسان خُلِقَ عجولاً وأنه لا يصبر فأعطاه طريقًا لعجلته والأوْلى أن لا يفعل فإن فعل فقد أبان له ما يقصده في ذلك الفعل ولاسيّما وقد سمع هذا الشيخُ والمسلمون قولَ أبي بكر للنبي صلّى الله عليه وسلّم في يوم بدر ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يناشد ربّه في نُصْرة الدين فإنه علم أن النُصْرة في ذلك اليوم مشروطة بمناشدته ولا علْم لغيره بذلك فقال له أبو بكر «**يكفيك يا رسول الله مناشدتك ربّك فإن الله منجز لك ما وعدك**» ولم ينكر عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قولَه فجاز لنا أن نطلب من الله أو من الشيخ إنجاز ما سألناه له لما نعلم من فضله فإن لم يحصل علمنا أن ثَم سببًا أخّر ذلك فنريد علم السبب فإن اقتضت حقيقة ذلك السبب أن نقطعه قطعناه وإن اقتضى الوقوف عنده حتى ينتهي وقفنا عنده والسبب محصور (585) في زمان أو مكان أو حال ما ثَم غير ذلك والحال وحدها من هذه الشروط معلومة للعارفين فإنهم أصحاب أذواق فيعلمون أن الحال التي هم عليها لا يحصل معها ما طلبوه وإن اقتضى حصول ذلك فحينئذ يعلمون أن المانع الزمان أو المكان.

ثم قال **فإن شيخك يلهمك ذلك وينبّهك على تلك الشروط بإذن الله تعالى** [٣٤٢] أي إن أمَره الله بذلك نبّهك عليه وإن لم يأذن سكت عنك فاعلم ذلك إلا أن هنا أمرًا أنبّهك عليه وذلك أن لك شيخًا من خارج ومثاله الذي فيك منه لإتّحادك به وكونك أشرِبته ذاتك [١٥١]

(583) ي: -
(584) ح: أوحى
(585) ح: محضور

فأنت ترى شيخك الخارج عنك في مثاله الذي فيك كما جاء «**اعبد الله كأنك تراه**» فأمَرك أن تمثّله بين عينيك في عبادتك إياه.

فقوله **فإن الشيخ يلهمك ذلك وينبّهك** فإن كان الشيخ الخارج عنك بجسمه فيشترط في هذا الإلهام والتنبيه معرفة الشيخ بذلك حتى أنه لو سُئل لقال عين ذلك الذي وجده المريد في نفسه من شيخه وإن كان الشيخ لا علم له بذلك فالإلهام والتنبيه إنما وقع فيك من الشيخ المتوهَّم عندك الذي قلنا أنه مثاله ولولا أن الحقّ بكل شيء عليم لقلنا فيه مثل هذا إلا أن الفرقان بينهما بَيِّن وذلك أن الشيخ من خارج وإن كان لا علم له بما يجده المريد على التعيين والتمييز ولكن يعلمه في التحميل وهمّته متعلّقة بكل ما يعطيه الطريق ممّا فيه سعادة السالك عليه والإله الحاصل في اعتقاد المعتقد الذي وسعه القلب هو المُلْحِم المنبّه لهذا العبد المعتنى به والحقّ الذي هو متعلّق كل اعتقاد منه تكون المادّة لهذا المعتقد الخاصّ الذي وَسِعه القلب ومنه يأخذ صاحبه والله الجامع عالم بذلك على التفصيل فيقول العبد بما يجده الوجدان الخاصّ قال لي الحقّ وقلتُ له مثل صاحب المواقف والمشاهد وغيرهما هذا هو الذي يُعَوَّل عليه في نفس الأمر إلا أن الشيخ هنا من حيث جسمه هو خارج عنك والحقّ الجامع [٣٤٣] لا يتصف بالدخول فيك (586) ولا بالخروج عنك ولا بأنه أنت ولا بأنه ليس أنت بخلاف حكم جسمية الشيخ فإنه غيرك ومتميّز (587) عنك [١٥٢] وعندك ما ليس عنده والحقّ الجامع كل ما عندك عنده وكل ما عنده ليس عندك مفصّلاً وإن كان عندك مجملاً ويُظْهِر لك شيئًا بعد شيء دنيا وآخرة إلى ما لا يتناهى.

فإذا نبّهك الشيخ وألهمك الخارج فهو على علم وبصيرة في ذلك كان أنفع وأتمّ في حقّك وإذا نبّهك وألهمك الشيخ المتوهَّم فأنت المُلهِم نفسك وأنت محلّ التهمة فقد تصيب وتخطيء فتحتاج إلى معرفة الفارق بين الشيخين فإنك وفي إلهام الشيخ الخارج لا تحتاج إلى ميزان بل تقبله مُسلِّمًا إن لم تعرف معناه في إلهام الشيخ المتوهَّم تحتاج إلى ميزان وتوقف في القبول حتى يشهد له الميزان فإنه عينك ما هو

(586) ح: منك

(587) ي: مميز

الشيخ الذي اتبعته فهو كالإله المُعتقد سواء في هذه القضية فإنك تحتاج في إله المعتقد (588) إلى ميزان الشرع الذي شرع لك ووضعه الإله الذي لا يتقيّد بعقد دون عقد وهو الحقّ الجامع و امّا الذي في المعتقد فهو الحقّ المخلوق به الذي أُستند إليه الخلق في خلقه فخلَقه الحقّ الجامع بهذا الحقّ المخلوق به فيه فالحقّ الجامع هو الغني عن العالمين والحقّ المخلوق به هو ذو الأسماء التي تطلبها الأكوان.

فهو الخالق الربّ القادر الرازق المحيي المميت المعزّ المذلّ المقدّم المؤخّر الأوّل الآخر الظاهر الباطن كما أن الحقّ الجامع هو الغني القدّوس السميع البصير العالم وأمثال هذه الأسماء فالسميع البصير العالم مشترك بين الحقّ الجامع والحقّ المخلوق به وهو الحقّ الاعتقادي والاسم المريد والقادر وأمثالهما [١٥٣] مخصوص بالحقّ الاعتقادي فافهم.

ولا يعرف ما قلناه إلا من عرف الفرقان بين الشيخين الشيخ الخارج والمتوهَّم فالشيخ [٣٤٤] الخارج وإن كان ليس عين المريد فهو عين المريد بوجه فهو من جملة المريد والمريد من جملة الشيخ وكل واحد منهما عين الآخر والحقّ الجامع في الخلق وليس الخلق فيه والحقّ الاعتقادي في الخلق والخلق فيه كالشيخ الخارج فهو الفارق وإن كنت متّقيًا قد أَبَنْته لك وإذا عرفته لم يلتبس عليك أمرٌ والله يرشدنا وإياك.

ثم قال هذا الموصي يوسف بن إبراهيم بعد هذا في هذه الوصيّة **وإذا أصابك اضطرابٌ في حالك وحسّك وتغيّر في ذهنك وضعف (589) في جسمك وفتورٌ في حواسّك فلا تجزع لذلك واستند إلى الله في ذلك جميعه واسأله الصبر والقوة عليه بقدرة الله تعالى وإرادته ومشيئته ولا تراجع شيخك في ذلك مشافهة أو تذكره بين يديه بلسانك بل تخطر ذلك ببالك نحو الشيخ واسأله بقلبك وتوسّل**

(588) ح: المعتقد تحتاج
(589) ح: وضعفا

بما ذكرته لك من التقسيم عليه فيما تقدّم ذلك بقلبك وإيّاك أن يَصْدُرَ منك قلق أو ضجر باختيارك.

إنما أوصاك بما أوصاك به عندما تجد ما ذكر لك في نفسك لعلمه بأنه قد يكون سبب (590) ذلك كله من الطبع وقد يكون من تجلّ إلهيّ من حيث لا يعلم (591) المريد أنه من تجلّ فإنه لا يعلم المتجلّي له كما يتّفق في الآخرة لبعض الخلق حين تجلّى لهم الحقّ فينكروه لأنهم قيّدوه فلما دخل هذا (592) الاحتمال في سبب هذه [١٥٤] الأحوال الطارئة لذلك قال لك لا تجزع حتى تعرف السبب فإذا عرفته حينئذ تكون بحسب ما يقتضيه أن تعامله به فإن لكل سبب معاملة تخصّه فقد نصحك وأما أمره إياك بالسؤال والتوسّل في ذلك فما (593) هو لإزالة الأثر وإنما هو لأن يتّضح (594) لك السبب الموجب لهذا الأثر.

وأما (595) قوله **اضطرابٌ في حالك** فيريد بالحال هنا ما ينقصك من ضرورات الدنيا التي بحصولها يكون لك الفراغ مع الله وهو ضعف يقين يطرأ على النفس فهو اضطراب طبيعي لا يمكن دفعه لما له في الجسم من الأثرٍ لأن الآلام [٣٤٥] النفسيّة هي التي خوطب المؤمن أن يدفعها عن نفسه وله القدرة عليها فكيف المريد بخلاف الآلام الحسّيّة فإنه لا يقدر على دفعها كأوجاع (596) في الأعضاء وكالجوع إذا أفرط وعادت النفس تتغذى من أخلاط بدنها لكون الطبيعة تريد قوام بدنها ولذلك كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتعوذ بالله من الجوع ويقول «**إنه بئس الضجيع**» ولا قدرة للإنسان على دفع الآلام الحسّيّة بخلاف الآلام النفسيّة فآلام النفس من ضعف اليقين وآلام الجسم من الأمراض الطبيعيّة التي تكون في الأعضاء والمتألّم بها الروح الحيواني والآلام النفسيّة المتألّم بها النفس الناطقة فالاضطراب الذي يحصل للنفس الناطقة بالآلام الحسّيّة إنما هو

(590) ح: بسبب
(591) ح: يعرف
(592) ح: -
(593) ح: ممّا؛ ي: ممّا، وفي الهامش: فما
(594) ح: ينصح
(595) ح: أما
(596) ح: كالأوجاع

لكون الروح الحسّاس الحيواني من جملة آلات هذه النفس الناطقة لما أمرت به من تتميم ذاتها بهذه الآلات فإذا [١٥٥] اشتغل الروح الحيواني بما يحسّه من الآلام القائمة بالأعضاء اشتغل عن النفس فيما تريده من مساعدته إيّاها فيما كلّفت به فيقع لها الاضطراب الذي ذكر في حال هذا المريد فلهذا قرن الاضطراب في الحال والحسّ.

وأما قوله **وتغيّر في ذهنك** فهو ممّا يقوم بآلة الفكر من عارض يعرض لمحلّها الطبيعي والنفس قد تحتاج في بعض ما تدبّر به هذا الهيكل إلى الفكر الصحيح من الاعتلال فإذا طرأ على المحلّ فساد في المزاج من عارض يعرض له من غذاء رديء أو غيره تغيّرت آلة الفكر وهي الذهن على النفس فيظهر له الفاسد بصورة النظر الصحيح فيتخيّل له (597) أنه صحيح فيفعله فهذا معنى التغيّر أي أعقبه غير ذلك فيفسد الأمر المعتاد للنفس في إصلاح شأن هذا الهيكل وأسباب ذلك كله تختلف وهي مع [٣٤٦] اختلافها لها أثر في المزاج لا بدّ من ذلك.

وأما قوله **وضعف في جسمك** فذلك من قوّة بعض الأخلاط على بعض بزيادة ينقص (598) عن مقاومتهما ما بقي لأن الأمر لا يتمّ على السداد للنفس إلا باعتدال الأخلاط فمتى ما زاد بعضها على بعض أو نقّص بعضها عن بعض كان الضعف في الجسم فأرادتْ النفس أن تقوم في أمر من الأمور الدينيّة التي كلّفت به فلم تستطع لما قام بالجسم من الضعف عن ذلك فتبقى النفس معطّلة عن تنفيذ إرادتها إذ لا تنفذ إلا بما يكون بالجسم من القوّة وقد عدمتْ فيسمّى عدمُها [١٥٦] ضعفًا.

وأما قوله **وفتور** (599) **في حواسّك** فهو المسمّى بالملل (600) ولذلك كثّر الله أصناف (601) الطاعات على المكلّف وأمرنا أن (602) نريح هذه

(597) ح: -
(598) ح: بنقصٍ
(599) ح: وفتورا
(600) ح: بالملك
(601) ح: بأصناف
(602) ح: بأن

النفوس وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتخلّل أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم فإن الآلة إذا حفيت لا تحسّن صنعة الصانع فيما لا يصنعه إلا بها والقيام إلى عبادة الله بالنشاط أعظم في الحُرمة ورغبة النفس في ذلك أوْلى من إجبارها على ذلك كرهًا فإذا رأيت نفسك قد فترت في فعل ما فاعدل بها إلى فعل آخر من الطاعات ممّا تجد فيه النشاط وترغب فيه فمن (603) عرف هذا حصل على المطلوب من غير مجاهدة لنفسه ولا عناء فتكون عباداته كلها في منشط عبادة المحبّين ولكن الطريق إلى ذلك يحتاج إلى علم غزير بأنواع القرب حتى ينقلب من طاعة إلى طاعة بنشاط فإن من أعظم الرزايا في الدين أن ينشط الانسان في فعل أغراضه الطبيعيّة ويتكاسل في فعل الأمور الدينيّة فإن ذلك استهانة استهان بها ربّه كالذي يحسّن صلاته عند رؤية الناس إياه ولا يحسّنها في خلوته كما جاء في الخبر الصحيح فمن عرف مداخل هذه الأمور لم يغلب على دفعها ولا يجزع في شيء من ذلك كله إذا قام به حتى يَعرف [٣٤٧] السبب فإذا عَرف السبب الموجب لحصول شيء ممّا ذكره أو كله حينئذ يقابله بما ينبغي.

وأما قوله **واسأله الصبر على ذلك والقوّة** فهذا يدلّك على أنه ما أراد إلا الأمور الطبيعيّة لا الأمور الدينيّة فإن الإنسان لا ينبغي أن يقابل الأمور الدينيّة إذا عرض له [١٥٧] أمر يفسد شيئًا منها بالصبر بل يتعمّل بطريق الوجوب عليه في دفع ذلك والقوّة عليه فأشدّ الصبر الصبر عن الله ولا يكون إلا بمخالفة لأمر الله لأنها السبب الموجب للبُعد عن الله ونعني بذلك البُعد عمّا فيه سعادة هذا العبد في الدار الآخرة هذا هو التحرير والانصاف لا البُعد عن الله فإن مَرْجَع الكل إلى الله السعداء والأشقياء وما زال الله معهم في كل حال ألا ترى الشبلي مع الشابّ لما قال له إن أشدّ الصبر الصبر عن الله كيف غُشي عليه فما غشي عليه إلا لتوهّمه فقد حظّ نفسه فأقام الله تعالى (604) هنا مقام حظّ نفسه وهو تلبيس (605) من النفس على نفسها في العلم.

---

(603) ح: ومن

(604) ي: -

(605) ح: تلبس

والصادق لا يفوته مثل هذا الشهود فينصف فلهذا عدلنا في تفسير الصبر عن الله إلى طريق غير ما ذهبت (606) إليه الجماعة منهم لأجل هذا حتى نُنْصِف ولا نُلبّس على نفسي. فقلنا إن الصبر عن الله أشدّ الصبر إنما هو عبارة في أخذنا الصبر عن الله من اسمه الصبور لأنه وصف نفسه بأنه يؤذى فسمى بالصبور فمن قام في صبره قيام الحقّ في اسمه الصبور فقد أخذ صبره عن الله وهو مأخذ شديد الخفاء لا يعرف كل احد كيف يأخذ عن الله صبره وهو على العالم بالله هيّن الخطب ولكن ذلك العارف قليل وقد تقدّم تفسير ما بقي من كلامه في هذه الوصيّة قبل هذا.

وما بقي من [٣٤٨] هذا الفصل إلا قوله في آخره **وإيّاك أن يَصْدُرَ منك قلق أو ضجر باختيارك** لا شكّ أن الإنسان إذا علم أنه مجبور في اختياره لم يزل يتقلّب في الجبر دائمًا سواء [١٥٨] كان مختارًا أو غير مختار فمن غفل عن هذا الذي قلناه وفرق بين الجبر والاختيار أى والجبر في الاختيار فنقول لا يغيب عنك جبر الاختيار كما يغيب عن بعض الناس فإذا كان جبر الاختيار لك مشهودًا في الفعل كان حكمك حكم المجبور والمجبور غير مؤاخذ ولا مطالب ولكن السبيل إلى شهود هذا الجبر في الاختيار الذي يسقط المطالبة عزيز المنال ذوقًا فإياك أن يخدعك علمك بأنك مجبور في اختيارك فإن ذلك غير نافع إلا أن يكون ذلك عن شهود ذوقي لا عن استحضار وقد نصحتك ولا تعرف الذوق في ذلك إلا باستصحاب هذا في جميع تصرّفاتك الاختياريّة فيكون فيها حالك حال المجبور الذي تعرف العامّة إجباره فإذا كان هذا حينئذ تنتفع بالجبر (607) في الاختيار لأن الاختيار هنا عند هذا يقوم مقام الفعل المجبور عليه في العادة فاعلم ذلك.

ثم قال **وإيّاك أن تُبدي شيئًا من ذلك عند أحد من خلقه أو يصدر منك ذلك عند أحد باختيارك تحفّظ من ذلك جهد طاقتك** الإشارة بقوله **من ذلك** إلى ما تقدّم ذكره آنفًا فإن أهل هذا الطريق صغيرهم وكبيرهم جميع العامّة ناظرة إليهم بالاقتداء بهم فإذا ظهر منهم شيء من ذلك ربّما اقتدى بهم الضعيف الرأى فيقول هذا فلان الصالح من

(606) ح: ذهب
(607) ح: الجبر

أهل الله قد فتر عن كذا أو ترك من الأعمال فلولا ما رأى في ذلك أنه لا يقدح في مقامه ولا حاله ولا في الطريق إلى الله ما فعله ولا اتّصف به فيتركه هذا العامّي اقتداءً بذلك [٣٤٩] المنسوب إلى الله تعالى [١٥٩] فيخسر (608) فلهذا وصّاك أن لا تُبدي شيئًا من هذه الأمور التي طرأت عليك لأحد من خلق الله باختيارك فإن اطلع عليك في ذلك أحد من العامّة من حيث لا تشعر ولا يكون لك فيه اختيار فذلك إلى الله ليس لك ألا ترى في وصيّتنا للشيخ أنه لا يترك المريد يطلع عليه في خلواته ولا في أكله ولا في شربه ولا في شيء من هذه الأمور الطبيعيّة فإن الشيخ يتصرّف في ذلك كله تصرّفًا إلهيًا عن وجود إلهي محقق والمريد لا يعرف من ذلك إلا ما جرت العادة به في العموم من الحظّ البشري الطبيعي فينقص الشيخ بذلك في عين هذا المريد الذي يكون بهذه المثابة فإذا نقص حرم الانتفاع به فمن نصح هذا الشيخ في تربيته أن لا يطلع له مريد على شيء من الأمور الطبيعيّة التي تشركه في الصورة العامّة وبينهما بالذوق ما لا يعلمه إلا أصحابه.

قال الجهلاء ﴿**مَا لِهَـٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان ٧] فأنكروا عليه ما يفعلونه ولهذا حُرموا الانتفاع به فلم يؤمنوا ولهذا كان يقول لهم في أكثر الحالات ممّا أمَره الله به أن يقول ﴿**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ [فصلت ٦] ثم نبّه على المقام الفارق بينه وبين العامّة في التصرّف وإن وقع الشبه في الصورة فقال ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾ [الأحقاف ٩] من ربّي فالعامّي يمشي ويتصرّف بالأمر العادي الطبيعي والنبي والوارث يتصرّف عين ذلك التصرّف بالوحي الإلهي وهو الذوق الذي قلناه والحركة عين الحركة والسبب مختلف غيبي يعرفه النبي والوارث من نفسه ويجهله العامّي [١٦٠] منه ومن نفسه فمن أراد اللّهُ حرمانه وخسرانه في تجارته أطلعه من الشيخ على فعل طبيعي من غير اختيار من الشيخ لذلك الاطلاع فالأوْلى بمن علم عن نفسه أنه ينظر إليه العامّة بعين [٣٥٠] الخير والصلاح ويقتدى بفعله أن يستر نفسه عنهم في تصرّفه الطبيعي نصيحة لهم فإنه مأمور بذلك من الله في قوله «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» فعمّ فمن

(608) ح: فيحشر

النصيحة تَسَتُّر هذا الشخص عن العامّة بذلك ولا يقال في هذا الموطن أنه مرائي فإن الرياء وعدم الرياء مع أحديّة الصورة يتغيّر بالقصد فإذا كان القصد جميلاً حَمِدَه الله وليس الغرض إلا أن يشكر الله فِعلك فإذا شكر فعلك لا تبالي مَن ذمّه أو حمده.

ثم قال **ولا تعلق بشيء** (609) **ترجوه من الله أن يكون من قسمك عند الله فإن الله تعالى ينجز لك ذلك كرمًا منه ولطفًا وإحسانًا إلى من يشاء من عباده فقرّر هذا مع نفسك وكن على ثقة ويقظة في ذكر**. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول الله عزّ وجلّ «**أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيرًا**» وقال الله تعالى ﴿**وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ**﴾ [فصلت ٢٣] فظنّهم أرداهم فالظنّ بالخير بالله ينجي من الردى فإذا رجوتَ الله في أمر فلا بدّ من ذلك الأمر أن يكون لك أو مثله فلا تستبط ذلك فإن الأمور عند الله مؤقتة فإذا جاء الوقت ظهر لك الأمر.

وأما قوله **كن في ذلك على ثقة** أي من الله أنه لا بدّ لك من أن تحصل ما تعلّقتَ بتحصيله همّتك أو مثله [١٦١] أو أعظم منه ممّا تحمده وتُسرّ به.

وقوله **ويقظة** يحذرك من الغفلة أن تكون صفتك فاليقظة هنا انتظار ما حسّنتَ الظنّ فيه بربّك أن يحصل لك.

وقوله **في ذكر** أي لا يحملك تأخير ذلك والاستبطاء عن العمل والذكر وهو أن تذكره مع الله في الأنات فإن الله يحبّ الملحّين (610) في الدعاء ولذلك كثرتْ من النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر مناشدتُه ربّه في النصرة لعلمه بذلك ولما لم يعلم أبو بكر ما [٣٥١] علمه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال له يا رسول الله يكفيك مناشدتُك ربّك فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك فلولا أن أبا بكر سمع من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن الله تعالى (611) قد وعده ما ذكر ذلك ولا تحكّم على الله لكن غاب عن أبي بكر ما علم رسول الله صلّى الله

(609) ح: لشيء
(610) ي: الملحم
(611) ي: -

عليه وسلّم من ربّه الذي جعله يكثر مناشدته في ذلك فلم يكن أبو بكر بأقوى يقينٍ ولا أحصى- في علم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما حمل أبو بكر على هذا الكلام (612) إلا شفقة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما رأى ما هو فيه من الشدّة والتضرّع حتى كان من قوله لربه «**إن تهلك هذه العصابة لن تُعبد من بعد هذا اليوم**» فانظر ما تحت هذا الخبر من الفوائد لمن تفطّن وعلم كمال علم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك.

ثم قال **فاجتهد أيها المريد إذا سلك بك هذا المسلك أن تقف عند شيء يعرض لك من العوائق فإنه أول ما يعرض عليك شيء خرجت منه وبعتَه لله تعالى** [١٦٢] فاعلم أولاً أن كلام هذا الرجل وإن كان فيه تخبيط (613) فالقصد مستقيم ولو أذن في تحرير ألفاظ حرّرناها لكن لا بدّ أن يحرّرها شرحُنا لكلامه حتى يستقيم الفهم فيها لأنه لا يجوز لك أن تجعل الله تعالى (614) مشتريًا إلا فيما جعل هو نفسه فيه ولا تتعدى وليست إلا نفسك إن كنت مؤمنًا فـ ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ**﴾ [التوبة ١١١] لدعواهم في ملكها فذكر وهو الصادق أنه اشتراها منهم فتضمّن شراؤه إياها بيعهم بقوله تعالى في بيعهم ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي**﴾ أي يبيع ﴿**نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾ [البقرة ٢٠٧] وليس إلا المؤمنون فهذه الآية أخت الأخرى فدلّت [٣٥٢] هذه الآية على بيعهم والأخرى على شراء الحقّ منهم وبيّن الصنف الذي باع وهو المؤمنون ولذا قال ﴿**وَمِنَ النَّاسِ**﴾ وما قال الناس فجاء بحرف التبعيض فإن العلماء من الناس ولا يتمكّن لهم بيع نفوسهم من الله تعالى (615) لعلمهم بأن ملك الله ما زال عنها فما اشتراها من العلماء ولكن تصرّف في نفوس العلماء ابتداءً تصرّف الملّاك وتصرّف في نفوس المؤمنين ثانيًا بعد الشراء منهم فبَين العالم والمؤمن فرقان عظيم ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة ١١] والذين أوتوا العلم هم الذين هم من الأمور على بصيرة والمؤمن مقلّد مُسلِم فالمؤمن متّبع

(612) ي: -
(613) ح: تحييط
(614) ي: -
(615) ي: -

والعالم لا يكون بهذه المثابة فإن المؤمن يرجع برجوع مَن قلّده والعالم لو ابتلاه صاحبه بأمر يوجب الرجوع ما رجع عن علمه لرجوعه ويعلم أن رجوع صاحبه وعرْض ذلك عليه ابتلاءً لعلمه والمؤمن [١٦٣] ليس كذلك فإن الله تعالى وإن أضاف الملك إلى عباده فإن العالم يقبل الإضافة ولا يقبل الملك (616) فإن العلم يمنعه من ذلك والمؤمن يقبل الملك والإضافة فوقع الشرا من المؤمن لا من العالم وما اشترى منهم إلا نفوسهم خاصّة لعلمه أن جميع ما يملكه المملوك تابع له فإذا اشتراه (617) تبعه جميع ما يملكه فكأنه اشترى الجميع لأن للسيّد التصرّف في عبده وفيما يملكه عبده فملك العبد مُزَلْزَل ومن الناس من يرى أن الأمور مستحقّة فيأخذها بالاستحقاق [لا بالمِلك] (618) وهذا هو طلبه الأحوال كما يقول باب الدار فالدار تستحقّ الباب فيضاف إليه إضافة استحقاق لأن الدار تملك الباب كذلك الأمور كلها بالنظر إلى الحقّ سبحانه [وتعالى] (619) يستحقّ بعضها بعضًا والمالك الله خاصّة كما أن مالك الدار مالك لبابه فلا نبيع (620) من الحقّ إلا ما قال فيه لنا أنه يشتريه (621) ولا نزيد على ذلك.

وأما ذكره العوائق فاعلم أن كل علاقة عائقة وما كل [٣٥٣] عائقة علاقة فالعلائق ما لك بها تعلّق قلبي فتعوقك تلك العلاقة لمحبّتك فيها عن غيرها فلا يكون لك مطلوب سوى ما تعلّقت به ما لك همّة فيما وراء ذلك وأما العوائق فهي أعمّ في المنع فإن من العوائق ما تتعلّق النفوس بها وهي العوائق الداخلة ومن العوائق ما لا تتعلّق النفوس بها وهي الموانع من خارج التي نهاك الحقّ عن التعلّق بها وأما ما أمرك الحقّ بالنظر فيها وتدبيرها من أهل وولد وغير ذلك فما هي عوائق فإن الحقّ (622) الله تعالى قد شرع لك فيها طريقًا إليه إذا

(616) ي: الملك إلى عباده
(617) ي: اشتري
(618) ي: -
(619) ح: -
(620) ح: تتّبع
(621) ي: نشتريه
(622) ح: -

سلكتَ عليه وصلتَ إلى مطلوبك [١٦٤] وهو الله فليس الأهل والولد ولا كل ما أضيف إليك وشرع فيه طريقًا إليه تعالى بعائقة وإنما الغافل (623) تعلّق خاطره بأمر معيّن من عند الله لا بالله فيكون ذلك الأمر الذي أضيف إليه عائقًا بينه وبين ما يروم الوصول إليه ممّا هو من عند الله ولو كان مطلوبه الله لا ما (624) عند الله لسلك على الطريقة (625) التي شرعها الله في ذلك الأمر الذي سمّاه هذا عائقة فوصل إلى الله فهذا من جهل الناس بما يطلبون وبما يسلكون عليه لا جرم أنهم ما يبرحون في التشوش ونكد الخاطر والأمراض النفسية فإن سبب المرض إنما هو الغرض فمن لا غرض له لا مرض له أعني المرض النفسي.

وأما قوله **فأوّل ما تُعْرض عليك الدنيا في صورة إمرأة جميلة فائقة في الجمال فالله الله لا تَنْظرْ إليها** هذا الرجل إنما يصف حاله وربّما أنه هكذا عرضت عليه لعلم الحقّ به أنه يحبّ المرأة الجميلة وما هو الأمر مقيّد بما قال بل الحقّ إذا أراد أن يبتلي عبده نظر بماذا هي النفس (626) متعلّقة وما هو (627) المحبوب له فيجلّى له الدنيا وكل [٣٥٤] شيء يختبره به في صورة ذلك المحبوب ليرى هل يتعشّق به ويقبله أو ينفقه في ذات الله ويخرج عنه فالله تعالى يقول ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران ٩٢] فكان ابن عمر يحبّ السكّر فيشتريه (628) بالمال ويتصدّق به ولا يتصدّق بالمال الذي اشتري به ذلك السكّر ويقول إني أحبّه فلا أتصدّق إلا بما أحبّ.

فتقييده (629) في الدنيا بصورة امرأة إنما ذلك تفيّد حاله فلا تطرد (630) ذلك فإن الأمر على ما قلناه وإنما يعرض الله [١٦٥] على هؤلاء القوم مملكته لكونهم ادعوا فيه وأنهم طالبون إياه غير ملتفتين إلى ما يكون

(623) ح: العاقل
(624) ي: من
(625) ح: الطريق
(626) ح: نفسه
(627) ي: -
(628) ح: فيسر به
(629) ح: فتقيده
(630) ح: يطرّد

منه فابتلاهم الله بكل مستحسن لنفس ذلك الطالب فإذا عرض عليه ما هو محبوب له فهنا تتفاضل الناس والجاهل منهم بالأمور لا يلتفت إلى ما جاءه ولا إلى ما عرض عليه فهو صادق في دعواه إلا أنه لا يجيء منه مُرَبّي ولا شيخ أبدًا والحاذق النحرير صاحب الفهم عن الله إذا ابتلاه الله بالعرض عليه ما ذكرناه يقبله أدبًا مع الله لا تعشّقًا به ويعرف مورد تلك الصورة ومصدره وبماذا يكون حجابًا وبماذا (631) يُصرف حجابها ويحيط (632) علمًا بها كل ذلك في نفس التجلّي (633) ثم يقول بعد تحصيل ما ذكرناه من العلم بتفاصيل ذلك «ربِّ ما طلبتُك لهذا و أنت تعرف مطلبي» فيجلّى له ملكه شيئًا بعد شيء عرضًا وهو يقابل كل ذلك بما ذكرناه ولا يقف معه بعد تحصيله العلم بذلك إلى أن لا يترك له شيئًا ممّا هو موجود وإذا لم يقف حينئذ عرف صدق دعواه وقُرّب ووهب مشاهدة الحقّ فيعلم عند ذلك أنه عين كل ما جلّي (634) له في الابتلاء فعرفه في كل شيء ورآه صورة كل شيء فهذا يجيء [٣٥٥] منه شيخ حقيقة للتربية ولو كان في زمان نبوّة شرعيّة لكان صاحب هذا الذوق رسولاً ولكن قد أُغلق هذا الباب وما بقي إلا الورث خاصّة وهو شرع خفيّ لا يشعر به إلا صاحبه وحجابه الوراثة فلو قلتَ رسولاً كفرتَ ولو قلتَ وارثًا صدقتَ والعين واحدة.

فقول (635) هذا الرجل في وصيّته **فإيّاك ثم إيّاك تنظر إليها** [١٦٦] **الله الله** جهلٌ منه بالأمر وخَوَرٌ في الطبيعة وشفقة على نفسه لضعفه بل العارف أو المريد المنبّه ينظر إليها وإلى محاسنها واعطافها وإلى ما تجمّلت به ويرز لها من نفسه ما يناسبها فيُعشّقه (636) بها أعني ذلك المناسب إذ الإنسان مجموع العالم فما يظهر الله صورة إلا وعنده ما يطلب تلك الصورة فلا يزال الأمر كذلك حتى يحضر له أجناس العالم فإذا لم يبق فيه إلا السرّ الإلهي الذي لا يقبل إلا الكلّ حينئذ يرفع

(631) ح: وبما
(632) ح: ويحبط
(633) ح: التخلّي
(634) ح: حكي؛ ي: حكي، وفي الهامش: جلّي
(635) ح: فقوّا
(636) ح: فتعشّقه

الحجب ويتجلّى له فيراه الكلّ فينظر في نفسه فيرى نفسه من جملة الكلّ فيراه به فلا يفقده بعد ذلك في صورة مقيّدة وغير مقيّدة فيكون هذا العبد مقيّدا في إطلاق مطلقًا في نفسه كما هو الأمر في نفسه غير ذلك ما يقتضيه العلم بالله بل ما ثَم ما يقال فيه غير ذلك فهو عين الحجاب والمحجوب والمحجوب عنه

فما ثَم إلا الله ليس سواه * فأنت به في الحالتين تراه

وأما قوله **فإن مَن نظر إليها قتلتْه** فذلك إن كان ذوقًا له ما قال فقد هلك وإن كان صاحب قياس فلا كلام معه وإن كان لم يقلْه ذوقًا فقد عرف الأمر على ما هو عليه فلا يحذر منه وهو المطلوب [٣٥٦] وما هو والله أعلم إلا محجوب غير عارف بالأمر فإنه قال عقيب هذا **والعياذ بالله من ذلك** فدلّ على أنه ليس بعالم (637) بالأمر إذ لو كان عالمًا بالأمر على ما هو عليه لقال في استعاذته والعياذ بالله من الله كما قال في هذا المقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صاحب الكشف الأتمّ [١٦٧] «**وأعوذ بك منك**» لما كان كشفه وعلمه ما ذكرناه فلم يجد ممّن يستعيذ الا منه لانه رآه عين كل شيئ ولا وجد بمن يستعيذ الا به وانظره في تعليمه صلّى الله عليه وسلّم بحال المحجوب في قوله «**أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك**» فاستعاذ من صفة بصفة ومن فعل بفعل فلما أراد أن يعرّف الأمرَ على ما هو عليه من أنه عين الرضا والسخط والعافية والعقوبة قال «**وأعوذ بك منك**» فوقف العلماء بالله مع هذا القول الأخير ووقف الراسخون في العلم بالله مع الكل وأعطوا لكل موطنٍ حقّه وهو الذي يعوّل عليه.

وأما قوله **بل يا مريد الله الهرب من هذه الصورة** يعني صورة الدنيا الذي تقدّم ذكرها.

ثم قال **وقدّر مع نفسك أنها سبع تأكلك بل أبلغ من ذلك فإن السبع يفوّتك الحياة الدنيا وهذه الصورة تفوّتك حياة الدارين فكن على يقظة من ذلك ثم دعا بالتخليص من شرّها وشرّ الشياطين وشرّ نفسك.**

(637) ي: عالم

أما مبالغته في ذلك فشفقة عليك على قدر علمه كما قال تعالى ﴿**ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ العِلْمِ**﴾ [النجم ٣٠] ولم يكن علمًا وهذه وصيّة في العموم لعامّة الناس لا لأهل الطريق ولا لمريدي التربية فإن مريد التربية [٣٥٧] شيخه يدبّره فهو يأمره بالإعراض عن تلك الصورة أو الإقبال عليها هذا ما لا يلزمنا فإن العلم يأخذ الأمور من صور الأحوال والمخلوقين عزيز جدًا قليل من العارفين مَن يعرف ذلك.

فهذه الوصيّة تليق [١٦٨] بالعُباد والزُهاد لا بالمريدين فإن سمّاهم مريدين فلكونهم يريدون سلوك طريق سعادة ظواهرهم لا سعادة بواطنهم فإن سعادة البواطن والقلوب في تعلّم (638) الأخذ من هذه الصور الدنياويّة والشيطانيّة والنفسانيّة فإن الله تعالى يقول ﴿**كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاءِ وَهَـؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾ [الإسراء ٢٠] أي ممنوعًا فما حجر عطاءه وجعل الإمداد منه للفريقين ليسعد من شاء فيعرف كيف يأخذ من الله من هذه الصور المذمومة وكيف يتصرّف فيما يأتيه به وكيف يتعشّق بها ويحبّها الحبّ البليغ وذلك لعلمه من أي حضرة يمدّها الحقّ فإن عطاءه ليس بممنوع ويعلم مزاج تلك الصورة الجسديّة ويفرق بين مزاجها ومزاج الصور الجسميّة وإذا كان الكل من عالم الطبيعة كما أن جميع ما تأتي به تلك الصور الجسديّة والجسميّة من الإمداد الإلهي.

ولا ينبغي أن يردّ شيئًا (639) ممّا يأتي من الله على الله بل العارف من المريدين الصادقين يعرف كيف يقبل وما يليق من الأدب مع الله في تلك الصور فيعامل الحقّ بذلك الأدب هذا هو الذي عليه أهل الله فلهم لسان الحمد المطلق الذي لله على عباده وما عدا هؤلاء فلهم لسان حمد ولسان ذمّ فهم أهل تقييد إما بشرع وإما بغرض وإما بملائمة (640) طبع وإما بالنظر إلى كمال ونقص فأحمد هذه كلها [٣٥٨] من يذمّ ويحمد بلسان شرع لأنه أخلص لكنه دون من ذكرناهم من أهل الله أهل لسان الحمد المطلق الذي لا ذمّ فيه وكيف يُذَمّ أمر يكون من الله فينبغي للعارف والمريد الصادق أن يعرف سرّ الذمّ

(638) ح: تعليم
(639) ح: يُرَدّ شيءٌ
(640) ي: ملائمة

الإلـهي [١٦٩] للأشـياء مـع كونهـا منـه و مـن ذمّهـا مـن الأسـماء الإلهيّـة وهـل لهـا تخليـص مـن هـذا الـذمّ إلى الحمـد فترجـع محمـودة بعـد مـا كانت مذمومة أم لا وهل التقسيم في الحضرة الإلهية يصحّ أم لا فإن صحّ فما سببه وإن لم يصح فما سببه ومن عرف تقسيم الله الصلاة بينه وبين عبده نصفين عرف ما قلناه فإن الله ما قسم بينه وبين أحد من خلقه أمرًا هو له إلا بينه وبيننا لكون هذه النشأة مخلوقة على الصورة الإلهيّة فهي ظلّها فما خرج في (641) التقسيم عن نفسه فكأنه يقول قسمتُ الصلاة بيني من وجه كذا وبيني من وجه كذا فلي حكم خاصّ من كل وجه في كل وجه وانا هو ذانك الوجهان ليس غيري فهذا يوصي المريد الخاصّ الذي يطلق عليه انه من أهل الله وخاصّته وهم أهل القرآن الجامعون لحقائق الأمور فما ثَم صورة تفوتك حياة دنيا ولا آخرة.

فمبالغة هذا الموصي في هذا الأمر لأحد وجهين إما لعدم علمه بما هو الأمر عليه وإما لكون الأكثرين لا علم لهم بما هو الأمر عليه فوصى بما جرت العادة بين الذين ﴿**يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ [الروم ٧] وبين نفوسهم والمريدون أجلّ من أن ينخرطوا في سلك هؤلاء بصورة مَا إنخرطوا فيه فما شبه العالم مع الإمداد الإلهي إلا كما قال الله تعالى ﴿**تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ** [٣٥٩] **وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ**﴾ [الرعد ٤] والناس من جملة الأشجار والنبات فإن الله تعالى يقول في تركيبهم الطبيعي ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً**﴾ [نوح ١٧] فنبتم نباتًا ثم قال بعد قوله ﴿**وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ**﴾ ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ**﴾ أي دلالات وبراهين [١٧٠] ﴿**لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد ٤] على ما يريد بذلك فيعلمون الأمور على ما هي عليه وصور الأحوال كالثمر لهذه الأشجار وفيها يقع تفاضل المطاعم وقوله (642) ﴿ **تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ**﴾ لا اختلاف فيه أنه واحد ثم قال ﴿**وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا**﴾ أي بعض هذه الأشجار ﴿**عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ**﴾ يعني من هذا الماء الذي هو غذاؤها وبه حياتها فإنه جعل من الماء كل شيء حيّ فيكون قبول بعضها

(641) ي: من

(642) ي: فقوله

أفضل من قبول بعضها فقبولها عين أكلها وهو القدر الذي يتغذى به من ذلك الماء على حدّ مزاجها وحقيقتها فتردّه إلى طبيعتها وحالها فكما تظهر فيه صورة الحلاوة والمرارة والماء واحد لا يتّصف بشيء منها كذلك الحمد والذمّ للأحوال الظاهرة على شجرات الناس المدد الإلهي واحد والذمّ والحمد يتعلّق به منها وأصل هذا كله التنبيه على أن (643) تجلّي الحقّ واحد (644) واختلاف الحكم عليه في صور تجلّيه أنه راجع إلى أعيان العالم الذي هو مجالي الحقّ فالوجود (645) العيني له والحكم للعالم في ذلك الوجود وهذا هو العلم الذي يُدَنْدِن عليه (646) الكُمّل من أهل الله مثل الرسل والورثة والكتب المنزّلة الإلهيّة وردتْ به في كل ملّة ونطقتْ به التراجمة عن الله ﴿**وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ**﴾ [هود ١٢٣] ﴿**أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ [الشورى ٥٣] فإذا تفاضل قبول الشجرات في الأكل مع الماء مع أحديّة حقيقته [٣٦٠] تفاضل أيضًا طعم ما تأتي به هذه الشجرات من الثمرات عند من يأكلها فجاء تفضيل بعضها على بعض في الأكل لها ومنها فهكذا (647) فلتفهم حقائق الأمور.

وأما دعاؤه بالتخليص من شرّ صور (648) الدنيا فهو التخليص من تعلّق الخاطر [١٧١] بها فإنها حالة مفارقة للإنسان لأنه مراد للآخرة فهو في الدنيا ظلّ زائل وعرض ماثل وإن الإنسان إذا تعلّق بما يزول عنه تعلّق تعشّق صعب عليه مفارقته فعظمت عند الموت حَسَراته لمفارقة المألوفات (649) وقد عرض هنا جهل آخر قائم بغير أهل الله وذلك لمن كان في لبس من خلق جديد ومن شهد أن العالم بأسره أعني صورة (650) ما ظهر يتجدّد مع الأنفاس وهو تقليب الحقّ في التجلّي لم يكن له حسرة عند فراق الدنيا بالموت فإنه يعاين تجديد الخلق

(643) ح: -
(644) ح: -
(645) ي: فالوجو
(646) ح: عليه يُدندن
(647) ي: فكهذا
(648) ي: أمور
(649) ح: المألوف
(650) ح: صور

فلا ألفة لمن لا بقاء له إلا زمان واحد والعلم بهذا أعزّ المطلوب وأفضل ما يكتسب وما رأيت عليه في زماننا أحدا لعلوّ منصبه وسرّ عزّة سببه.

وأما دعاؤه بالتخليص من شرّ الشياطين فيريد الشياطين الذين لهم اللّمّات في قلوب المكلّفين من البشر خاصّة وغير الخاصّة إذا دعيتَ بمثل هذا الدعاء إنما تريد شرّ البعد ممّا يكون معه العلم بالأمر على ما هو عليه إذ الشيطان معناه البعيد من رحمة الله المقرّرة في ظواهر البشر فإن الشيطان في الخلق المارجي (651) الناري كالكافر في الخلق البشري الطبيعي فهي استعادة وطلب تخليص من هذا المقام.

وأما الدعاء بتخليصك من شرّ نفسك فما هو إلا لكونها قابلة فقد تقبل لجهلها ممّن قبل لها [٣٦١] لا تقبل منه فإنها على حقيقة لا يكون عنها شرّ ولا سوء إلا بالقبول من محلّ الشرّ والسوء وليس إلا شياطين الجنّ خاصّة وأما شياطين الإنس فهم القابلون [١٧٢] من شياطين الجنّ ما يأتونهم به من مخالفة الشرع فيلقونه إلى أمثالهم من الإنس فسمّاهم الله شياطين الإنس ولذلك قال في شياطين الإنس والجنّ ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً**﴾ [الأنعام ١١٢] فيوحي شيطان الجنّ إلى الإنس ما يكون (652) به إذا سمع منه واتّصف به على حدّ ما قصده به شيطان الجنّ شيطانًا أي بعيداً عن سعادته لا عن الله وإن جهل والتخليص من الشرّ إنما هو التخليص من ظاهر الأمر إلى معناه وسرّه (653) ولهذا جاء في لغة العرب لفظة الشرّ فيه وقد (654) يدلّ على الظهور كما قال إمرؤ القيس في قصيدته

لو يُشِرّون مقتلي

وفيه روايتان بالسين المهملة وهو الإخفاء وبالشين المعجمة وهو الإظهار فقال لو يشرّون أي يظهرون بالشين المعجمة فما سمّي الشرّ إلا لظهوره على الخير إذ الخير باطن والشرّ هو ما ظهر للإنسان العالم

(651) ح: المازجي
(652) ح: يلون
(653) ي: وشرّه
(654) ح: هو

في باطنه أو ظاهره وما خفي عنه في ذلك من ذلك فهو الخير لأنه العلم بالإمداد المجهول الإلهي هو خير مطلق ويظهر في صورة بالقبول فسمّي خيرًا بنسبة خاصّة وشراً بنسبة خاصّة وكل ينطق بحسب ما يغلب عليه من ذلك.

فلا نأخذ وصيّة هذا الموصي لشخص خاصّ بل ننظر (655) في قوله ووصيّته فما يتعلّق من ذلك بمريد التربية جعلتُه له وما يتعلّق بالمريدين مطلقًا من ذلك جعلتُه لهم وما يتعلّق بالعُباد والزهاد الخارجين عن هذه [٣٦٢] الطريقة الخاصّة جعلتُه لهم وما يتعلّق من ذلك لعامّة المؤمنين جعلتُه [١٧٣] أيضًا لهم وسواء قصد هذا (656) الموصي ذلك وعلِمه أو لم يقصده وجهله فاعتمد أنت على قوّة الكلمة وأين يظهر أثرها ومَن صاحبها وكُلِ البقل ولا تسأل عن المبقلة تنتفع بذلك فإن الله تعالى قد يُنطّق بالحكمة من لا يعرف أنها حكمة ولا يعرف قدر ما نطقه الله به ليسمعها طالبها فإنها ضالّة كل حكيم وهو ينشدها فحيث ما وجدها قيّدها ولا علم للناطق بها فالحكمة ضالّة كل حكيم فإذا حصلتْ عند العالم بها فلا يخرج منها مخرجها ممّن لا يعرفها فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد عرف من يعلم ذلك أعني بمن يعلم أنها حكمة يدلّ على سعادة فقال «**لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها**» يعني أنها تضيع عنده بجهله بمقدارها إذ ما وضعت إلا ليتقيّد بها وتقيّد هي من يعلمها حكمة ولهذا سميت حكمة وما سميت علمًا فهي علم خاصّ وقال «**لا تمنعوها أهلها فتظلموهم**» فمن الحكمة إعطاؤها لأهلها ومنعها من (657) ليست له أهليّة فأمرنا عليه السلام بمراعاة الحكمة مراعاتنا من يعقل فأوجب للمعاني حكم ما أوجبه لأولي الألباب لعلمه بأن كل شيء حيّ يسبّح لله والحكمة من جملة الأشياء فنِعم ما نبّه فإنه نبّه على علم عَمِيَ عنه أكثر الناس فالحكيم مع الخلق على قدرهم ومن

(655) ي: تنظر
(656) ح: -
(657) ح: لمن

كان معهم على قدرهم كانوا (658) على قدره إذ كان مجموعهم والحكيم من أنزل الناس منازلهم والله الموفّق.

ثم قال **ثم تُعْرِض عليك بعد ذلك أشياء هي من بقايا الدنيا دون ما** [١٧٤] **سبق ذكره فتحفّظ منها أيضًا** قد قدمنا أن هذا الرجل يصف حاله فقد يقع الأمر على ما قال وقد يقع على [٣٦٣] غير ذلك وأما وصيّته بالتحفّظ من ذلك فهو خوفه عليه من الحجاب بالتعشّق بما ظهر له وذلك لجهله بوجه الحقّ في جميع ما يظهر له فلو علم أنه من أهل الوجه ما أوصاه بالتحفّظ.

واعلم أن الدنيا نعمتْ (659) مطية المؤمن العارف عليها يبلغ الخير كله وبها ينجو من الشرّ كله وهي من جملة ما اختبر الله بها عباده المدعين فيه فمن تعشّق بوجه الحقّ منها وقَبِلَها على حدّ ما أعلمناه فقد فاز فوزًا عظيمًا بما فاز به خاصّة الله ومن تعشّق بها من غير رؤية ذلك الوجه خِيف عليه أن ينترك (660) معها وهو الذي خاف منه صاحب هذه الوصيّة وكذلك الكون كله إذا عرض عليك دنيا وآخره ومحموده ومذمومه (661) فما من صورة تظهر في العالم محسوسة أو متخيّلة بالخيالين المتصل والمنفصل أو معلومة إلا ولها روح هو حياة تلك الصورة وذلك الروح هو المعبّر عنه بوجه الحقّ منها وليس الغرض إلا العلم بذلك الوجه دنيا وآخرة وحسًا وعلمًا وخيالاً والوصيّة به أولى من الوصيّة بالتحفّظ من تلك الصور فما من شيء إلا وهو يسبّح بحمد ربّه ولكن لا يفقه كل أحد تسبيح ذلك وكيف يتحفّظ مِن ذاكرٍ لله وهو محلّ الإقتداء به وهو المعين فما ذلك إلا لعمى البصيرة ولذلك قال ﴿**وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ [الإسراء ٤٤] وفرضنا أنّا لا نفقه ذلك فما يكفينا الإيمان والتصديق [١٧٥] بقول الله الصادق والمتواتر (662) أن ذلك يسبّح بحمد الله تعالى فقد شهد الله تعالى بعدالته وزكاته فالرغبة فيه أولى من الرغبة عنه فإن الله جليس مَن ذكره وكل ما في العالم في الدنيا والآخرة ذاكر مسبّح فالله

(658) ح: كان
(659) ح: نعمة
(660) ح: يُتْرك
(661) ح: ومحمود ومذموم
(662) ح: الصادق المتواتر

جليسه فمَن جالس ذاكرا لله فقد جالس الله من حيث أنه [٣٦٤] تعالى جليس لهذا الذاكر فلا تكونوا بعد ما ذكرناه في هذا الأمر ﴿**كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً**﴾ [النحل ٩٢] وما أظهر الله تعالى من أسمائه عند ذكر هؤلاء الذاكرين له بالتنزيه الذي لا يصل إلى فهم كل أحد إلا الحليم الغفور فالغفور من حيث أن الله ستر عن بعض أعين عباده وأسماعهم إدراك ذلك التسبيح والحليم من حيث أنه ذكر لنا أن ذلك مسبّح بحمده وأنّا لا نفقه ذلك فما وفّينا حقّ الإيمان بقول الله في ذلك فعرضنا أنفسنا لله قُربة (663) فوصف نفسه بالحلم عنّا في ذلك فلم يؤاخذنا في العاجلة ولا ندري ما يفعل في الآجل فإن الحليم حلمه المهلة بالعقوبة لا غير وإن أخذ بها في المستأنف فقد وفّى الحليم حلمه وإن لم يأخذ بذلك عبده فمن حكم اسم آخر مثل الغفور الذي قرنه به وإخوته فما أحكم صورة القرآن وما أبدعها لمن كشف الله عن بصيرته ورزقه الفهم فيه فما في العالم متكلّم بأمر إلا وذلك الكلام شرح للقرآن ولكن أكثر الناس لا يعلمون إذ لا يخرج عن كتاب الله شيء وهو قوله ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام ٣٨].

ثم قال **ثم تُعرض عليك بعد ذلك صور أحوالك** (664) [١٧٦] **وهي من أثار الدنيا فكن في ذلك جميعه على حذر وحزم بالغ** قال قتادة من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم وكان من أُولي الفهم ما أنصف أحد الدنيا ذُمت بإساءة المسيء فيها ولم تحمد بإحسان المحسن فيها.

يا أخي أعلم أنك لو تفطّنتَ أنها محلّ القرْب الإلهي والقرَب العملية لَهِمْتَ فيها عشقًا بالأصالة ولهذا سميتْ بالدنيا أي القريبة فهي اقرب من الأخرى والحال الحال فيهما على السواء ومن كان حاله القرب فنعته القريب وليس الغرض إلا ذلك.

وأعظم الاحترام [٣٦٥] من العبد المحترم لمرتبة سيّده القيام بحرمته على الستر والغيبة فهو أتمّ من الاحترام على الشهود فإنه في الشهود

(663) ي: قِرْبة
(664) ح: بأحوالك

مضطرّ لما هو المقام عليه من الهيبة فمن وجد ذلك مع الحجاب والستر فهو أعلى في المقام وأكمل في الإيمان وأتمّ في الحال وليس محلّ هذا إلا الدنيا لأنها تقتضي. القرب باسمها من السرائر والبصائر والآخرة تقتضي. القرب بالأبصار وأين البصائر في الرتبة من الأبصار البصائر تدرك التنزيه والتشبيه والصور والمعاني والأبصار لا تدرك غير الصور والآثار الظاهرة مع كون الحقّ بصر العبد ولكن لا يدرك ببصره سوى الصورة الظاهرة فإنه ناظر بالآلة والصانع بالآلة في الصنعة رتبته دون صنعه بالهمّة والصانع واحد فيهما وبين الحالتين في الرتبة ما لا خفاء به والآلة في البصائر أتمّ منه وجودًا (665) في الأبصار وقد نفى أن تدركه الأبصار وما نفى أن يعلم وهو حدّ البصائر بل أمَر فقال ﴿**فَاعْلَمُوا**﴾ [التوبة ٣] [١٧٧] ﴿**وَلتعْلَمُوا**﴾ [الإسراء ١٢] وإنما جاء الإدراك بالأبصار في ثاني الحال للجمع فذلك شرف الجمع لا شرف الادراك فاعلم فهذا من كمال الجمع والوجود وهو في البصائر أعظم منه في الأبصار لما تعطيه الأبصار من الحصر. والتقييد فإذا عرض الله عليك أحوالك صورًا كما قال هذا الشيخ فذلك من آثار الدنيا أي من آثار القرب الإلهي.

وقوله **فكن من ذلك على حذر وحزم بالغ** هو مثل قول بعضهم أُقعد على البساط وإياك والانبساط وهذا قول من لا ذوق له بالحقائق وإن كان ما قصد إلا خيرًا فإن القرب المفرط حجاب كالبعد المفرط وقد علمت أنه تعالى أقرب إلى الإنسان [٣٦٦] من حبل الوريد وهذا قرب الالتباس فهو المانع من إدراك الإنسان له بقول صاحب المواقف النفّري (666) القرب حجاب يريد ما ذكرناه ولكنه حجاب على الأبصار لا على البصائر فلو علِم هذا المُوصي أن المؤمن بقرب الحقّ منه لا يحتاج إلى حذر فإن القرب عاصم في نفسه ما قال ذلك بل دلّك (667) في هذه الوصيّة على البعد عن الله فإن اشتغال العبد بالحذر وقوف مع (668) الحذر في الوقت فهو خاسر في وقت الحذر

(665) ح: وجودًا منه

(666) ي، في الهامش: والمواقف موجود في مكتبة الصدر القونوي وقفا على أصحابه. رأيت وأخذت واستعملت بعضا منه الأيام. حرره الفقير محمد سراج زاده

(667) ح: ذلك

(668) ح: مع، وفوقه: عن

غير رابح والحقّ له غير مشهود حجبه عن ذلك حذره وإن كان رفيع القدر فالذي (669) ذكرناه أرفع لأنه ما ثَم عندنا نازل بل الأمر في نفسه رفيع وأرفع وعالٍ وأعلى فلو علِم هذا القائل أن الحقّ من صور أحوال العبد بل هو عين صور أحوال العبد القريب إلى الله [١٧٨] ما أمره بالحذر من حاله لأنه لا يصحّ الحذر من الأحوال بحصولها إذ لا يكون حال إلا بحصوله لمن هو له حال وإنما يكون الحذر من أمر لم يحصل فيحذر حصوله.

يقول بعضهم

إنما أجْزَعُ ممّا أتّقي * فإذا حَلَّ فما لي والجَزَع

وكذا أطْمَعُ (670) فيما أبْتَغِي * فإذا فات فما لي (671) والطَّمَع

واعلم أن أحوال الخلق ليست غير آثار الأسماء الإلهيّة ولها الحكم إذ لا يكون حالا إلا بالحكم والحاكم لا يحكم عليه في حال كونه حاكمًا بما هو حاكم فما تكلّم هذا الشيخ في هذا الفصل وأمثاله إلا بلسان العامّة لا بلسان المعرفة والعارفين لكن قَصَد خيرًا وجهل الطريق فيعطيه الله أجر قصده وإن حُرم الصواب كالمجتهد إذا أخطأ له أجر الاجتهاد وإن مضى حكمه وعُمِل به في حال ما فلا يدلّ ذلك على إصابته الحقّ المعيّن الذي حكم الله به في النازلة فتقرير [٣٦٧] الحكم شيء والحكم من الحقّ شيء آخر وبينهما فرقان يعرفه المتّقي.

ثم قال **ثم تعْرض عليك أسؤِلة قبل استقامتك على الدرْب فلا تلتفت إلى شيء من ذلك أصلاً** هذا الرجل يصف ما جرى له فيقول لك إن حَصَل لك الأمر كما حصل لي فاعمل فيه كما عملتُ وهذا من قصوره فإنه لا يلزم ذلك أن يكون في معاملته لما يظهر الحقّ له مختبرًا أو مُكرمًا على حاله ما كان هذا عليه بل يكون في ذلك مع الله تعالى بحسب مقامه من العلم بالله فقد يكون مثله وقد لا يكون فلا يقيّده بحاله ولا بدّ ولا بمعاملته ولا سيّما وما عيّن الأسؤِلة هذا الموصي وقد رأينا مَن أُكرِم من عباد الله [١٧٩] قبل استقامته على

(669) ح: فهو الذي
(670) ح: ارتجي
(671) ح: فالي

الـدرب كـإبراهيم بـن أدهـم (672) وكصـاحب السُـكُرَّجَتين وكصـاحب الجراد ولم يكن واحد من هؤلاء (673) مستقيًما على الدرب كذلك هذه الأسـؤِلة التي تأتيه قبل استقامته لا ينبغي أن يهملها (674) فإن العلم في الطريق أبلغ من العمل فإن العمل ينقطع وله حدّ فينتهي إليه والعلم لا ينقطع أبدًا ولا تعقل له غاية يوقف عندها فوصيّته أن لا يلتفت إلى شيء مـن تلـك الأسـؤِلة قبـل الاسـتقامة منـه عـلى الـدرب وأراد بالدرب الطريق إلى الله التي يسلك عليها (675) القاصدون إلى الله وهو طريق بطلب العلم والعمل في موطن خاصّ وهو الدنيا وحال خاصّ وهـو التكليـف فقـد تكـون تلـك الأسـؤِلة ممّـا يعطيـه الالتفـات إليهـا الاستقامة على الدرب فلو عيّن الأسؤِلة في وصيّته لكنّا فيها بحسب ما تقتضيه تلك الأسؤِلة وبيّنّا ما يلتفت إليه منها وما لا يلتفت على أنه ليس في الطريق شيء لا يلتفت إليه منها (676) هذا لا يكون.

وإنما الأكابر يدلّون المريدين على كيفيّة الأخذ عن الله في كل [٣٦٨] شيء يعرضه عليهم لأنه حكيم ولا يعرض أمرًا على عبد من عباده إلا في وقت حاجته إليه فمن رمى به فقد عمي عن حاجته التي جاء من أجلها ذلك الأمر الذي عرضه الحقّ فيأخذه المريد الصادق دواءً لداء قام به بل يعرف أنه ما عرض الحقّ عليه ذلك في الدنيا إلا ليستعمله في إزالة مرض قام به فإن كان لا علم له بذلك المرض فهذا الذي عرض عليه ينبّهه على أن ثَم ما يحتاج إلى استعماله فيُحَرِّضه على [١٨٠] النظر في ذاته فإذا نظر وجد ذلك ضرورة فاستعمل فيه ذلك الدواء فإذا لم يلتفت إليه فقد فَوَت نفسه خيرًا كثيرًا وأساء الأدب مع الله حيث ردّ في وجهه ما أتاه الله به فإن الأحوال من الشخص تطلب العِوَض من الله فالحقّ يعرض ذلك من أجل سؤال الحال والوقت ولا ينظر إلى صاحبه هل يعلم ذلك أو يجهله فإن العرض هنا ذاتي أظهره الحال من هذا العبد ولو عقل فكيف لا يلتفت لأمر حاله أظهره هذا غاية الجهل بالأمر.

(672) ح: أذهم
(673) ح: هؤلاء في الحال
(674) ح: يهملهما
(675) ح: عليه
(676) ح: -

ثم قال ثم إذا دخلتَ الدرب فاسْلُك فيه بأدب ولا تلتفت إلى ما يُعْرَض لك عن يمين الطريق وشماله بل امش فيه على الاستقامة من غير التفات أصلاً وكن في هذه الأحوال كلها ملازمًا للذكر متحقّقًا به ملتجئًا إلى الله تعالى (677) **قاصدًا وجهه الكريم راجيًا منه ما يشرّفك به كما شرّف عباده الصالحين ولا تنسى ما كنت عليه وما صدر منك من المعاصي بل تكن ذاكرًا لذلك في كل موطن تصل إليه حتى تصغر عندك نفسك وتعرف قدرها وقدر ما أنعم الله به عليك وكن في هذا كله ذاكرًا لمعصيّتك الله مستغفرًا لذنبك معترفًا بما أنت فيه من التقصير وكن ذاكرًا في كل وقت ما وصّيتك به وطالع هذه الأوراق فإنك ترى فيها غياثًا إن شاء الله تعالى.**

هذا الرجل ما يتكلّم إلا بحاله وذوقه ويتخيّل أن المطلوب منه من الله ما ذكَره وما يعرف أن الأمر قد يكون حال غيره مثل حاله وقد لا يكون [٣٦٩] فله الأجر على القصد خاصّة لا على الإصابة فإن جميع ما ذكره لا يتصوّر كونه فإن النفس لا [١٨١] تقبل في الزمان الذي لا ينقسم سوى خاطر واحد فلا يتمكّن لها أن تجمع بين شهود معصيّتها وشهود نعمة الله عليها فإنها مهما كانت في شيء مع الله لا تكون في شيء آخر هذا باب معروف وعلم محقّق وأما ذكرها في ذلك الموطن وهو موطن التوبة والإقبال على الله تعالى ما كان عليه من المعاصي فذلك جفاء مع الله وعدم حياء.

فإن الأئمّة قالوا في التوبة أن تنسى ذنبك فإنك في التوبة في حال صفاء مع الله وذكْر الذنب في حال الصفاء جفاء وكان سبب هذا القول من هذا الإمام قول واحد لشخص قد سأله عن التوبة فقال له (678) أن لا تنسى ذنبك مثل ما قال صاحب هذه الوصيّة فلما بلغ ذلك لهذا الإمام قال لا بل التوبة أن تنسى ذنبك.

وأما قوله بالاعتراف بما هو عليه من التقصير فهذا قول بعضهم ممّن لا حقيقة عنده فإن الأئمّة قالوا في هذا القول للسائل إن هذا الشيخ أمَرك بالمجوسيّة المحضة هلّا أمَرك بالأعمال على شهود مجريها

(677) ي: -

(678) ح: -

ومنشئها كما هو الأمر في نفسه فإنه إن كشف لك على قول هذا (679) الشيخ الآمر بالتقصير فقد كشف لك [الأمر على ما ليس عليه] (680) ولُبّس عليك كما لبّستَ أنت على نفسك أوّلاً في ذلك وإن (681) كشف لك على قول الأئمّة رأيتَ الحقّ حقًا وكنت صاحب علم.

وأما نهيه أن **لا** (682) **تلتفت إلى ما يعرض لك عن يمين الطريق وشماله** فهو حسن من وجهٍ وليس بحسن من وجهٍ فإنه لا يلزم الملتفت عن يمينه وشماله أن يكون ماشيًا على ما يلتفت إليه بل يكون مستقيم المشي. مع وجود هذا الالتفات بل يفوته علم كثير إذا لم يلتفت فإنه إذا لم [١٨٢] يلتفت لم يعلم ما يحذر منه فإن أراد بالالتفات هذا المشي على ما التفت إليه من يمين وشمال فهو حسن فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم [٣٧٠] «**خطّ خطًا مستقيمًا وخطّ عن جنبات الخطّ خطوطًا هكذا** (683) **ثم تلى قوله ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ ووضع أصبعه على الخطّ المستقيم ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ وأشار إلى الخطوط التي عن جنباته ﴿فتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ يعني الطرق عن سبيله ووضع أصبعه على الطريق المستقيم ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام ١٥٣] **المشي في هذه السبل**».

فانظر ما أحسن قوله ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُوا**﴾ وما قال ولا تلتفتوا بل يجب الالتفات ليعرف قدر طريق النجاة لأنه من لم يعرف حقيقة أمر يُحذر منه لم يَحذر منه فهو يلتفت ولا يتّبع وما أراد إلا عين الشرع الذي جاء به فإن الله تعالى أمَرَنا بالإيمان به والمشي عليه وأمَرَنا بالإيمان بغيره من السُبل وما أمَرَنا بالمشي عليها وليست السبل سوى الشرائع المتقدّمة فكيف لا نلتفت لما أمَرَنا بالإيمان به ولا يلزم الاتّباع لكل ما آمنتَ به بل نحن واقفون مع قوله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله فما أمَرَنا بالمشي فيه مشينا وبالتأخير عنه تأخّرنا

(679) ح: -
(680) ح: ما ليس الأمر عليه
(681) ح: فإن
(682) ح: -
(683) ح، ي، في الهامش: \\\|///

وما أبان (684) لنا ما خالف طريقهم المستقيم الخاصّ المعلوم شرع محمّد إلا لنعلمه ولا نعلمه إلا بالنظر إليه لا بالمشي فيه.

وأما قولي لك «يفوتك إن لم تلتفت علم كثير» لأنك إذا لم تلتفت لم تعلم ما أنت عليه في طريقك ممّا يختصّ بالشرع المحمّدي ممّا لم يختصّ به وكان شرعًا لمن قبله وقرّره محمّد صلّى الله عليه وسلّم فتقول عند ذلك أنك [١٨٣] وارث محمّدا صلّى الله عليه وسلّم مطلقًا وليس كذلك فإنه ما يرث محمّدا عليه السلام إلا رجلان الواحد مَن يرثه فيما يختصّ به ممّا لم يكن شرعًا لمن قبله والرجل الثاني مَن يرثه في الجمعيّة لذلك كله من حيث ما هو جامع لا من حيث التفصيل فإذا ورثه السالك على طريقه في شرع قرّره قد كان شرعًا لمن قبله فإن لم يلتفت لم يعلم لأي شيء (685) كان ولا يكون هذا الوارث [٣٧١] وارثًا إلا لذلك النبي الذي كان هذا شرعه فيكون مثلاً عيسويّا أو موسويّا أو خليليّا وهو يقول إنه محمّدي فيغلط في ذلك نعم وقد يكون من جملة السُبل والشرائع الحكميّة التي لم يأت بها الرسل وابتدعها الحكماء في الفترات لمصالح (686) العباد وقد قرّر الشرع المنزّل من الله تعالى أمرها فقال ﴿**رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**﴾ [الحديد ٢٧] فقد يكون هذا وارثًا لشيء منها في شرع محمّد الموافق لما قرّره وابتدعه هذا الحكيم فيكون هذا الوارث وارثا لذلك الحكيم من شرع محمّد عليه السلام فيفرق بين الشرائع الإلهيّة والشرائع الفكريّة ولا يختلط عليه الأمر فيختلط عليه النسب فلا يعرف نسبه فيكون متلُوفًا فلو كان صاحب هذه الوصيّة صاحب إشراف على المقامات والمراتب والمنازل ما جرت وصيّته على هذا فهو رجل يتكلّم من (687) نفسه و شهوده لا من جهة ما هو الأمر عليه وما كل سامع يكون على مزاجه وحاله فإن الناس يتفاضلون في ذلك كما تفاضلت الرسل فجعل الله تعالى (688) لكل رسول شِرعة ومنهاجًا فما اتّحدت الشرائع

(684) ي: أنان
(685) ي: نبي
(686) ح: بمصالح
(687) ي: مع
(688) ي: -

كذلك السامعون ما اتّحدوا ألا ترى كيف يَرِدُ الحديث الواحد عن الرسول عليه السلام (689) ويختلف السامعون في تأويله فيفهم [١٨٤] منه الواحد ما لا يفهم منه الآخر وهذا سامع وهذا سامع كما يتّفق أيضًا أن السامعان فيه إذا كان فهمهما (690) واحد لكون مزاجهما متقاربا ولولا ذلك ما اختلف الأئمّة في الشرع الواحد فأين مذهب الشافعي من مذهب الحنفي فيما اختلفا فيه والشارع واحد ولا بدّ أن يكون الشارع لو عرضت عليه تلك المسألة المعيّنة التي اختلف فيها [٣٧٢] أبو حنيفة والشافعي ان يقول الشارع فيها بقول أحد الإمامين أو بأمر ثالث خارج عنهما فإن الواحد لا يحكم بالشيء ونقيضه بنفسه في العين الواحد وإن قرّر حكم كل واحد منهم فهو لا يحكم إلا بأمر واحد خاصّة فافهم ذلك.

وإذا اختلط الأمر على السالكين الذين لا يلتفتون عن يمين الطريق وشماله يقول كل واحد منهم أنه محمّدي وليس كذلك لأنه ما ورث من محمّد ما اختصّ به وإنما ورث منه ما شُورك فيه واقتدى فيه بِغَيره مثل قوله ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام ٩٠] وهو ما قرّره في شرعه من شرع غيره عملاً والكل يلزم الإيمان به سواء نسخ العمل به أو لم ينسخ فلا يفرق في الوراثة مَن هذا حاله بين شخص وشخص وتلبس الأمر فإذا انكشف الغطاء ورأى نوره ممتزجًا للاشتراك ونور المختصّ خالصًا من الامتزاج يعلم عند ذلك من أين أتى عليه فيسعى يوم القيامة في نور ممتزج وهو كان يظنّه نورًا خالصًا فبدى له من الله ما لم يكن يحتسب وما كان هذا إلا من عدم التفاته فلو التفت لرأى الرقائق ممتدّة من اليمين والشمال إلى ما يناسبها من الطريق المستقيم فيعرف [١٨٥] السالك ما وقع فيه الاشتراك ويرى في طريقه ما لا رقيقة بينه وبين ما على يمينه وشماله فيعلم أنه يمشي في طريق اختصاص فينظر ما وقع فيه الاشتراك من أي منبع من هذه السبل امتدّت تلك الرقيقة فيشاهد الأصل فيسمى له أو يرزق العلم به فيراه إن كان نبيًا أو رسولاً أو حكيمًا فيقول إني ورثتُ فلانًا الرسول أو النبي أو الحكيم من طريق محمّد عليه السلام

(689) ح: عليه الصلاة والسلام

(690) ح: فيهما؛ ي: فيهما، وفي الهامش: فهمهما

في عمل كذا وكذا ويعلم ما اختصّ به محمّد دون ما شُورك فيه ولهذا جاء «**العلماء ورثة الأنبياء**» وما قال ورثة نبيٍ واحد فإن نبيّنا عليه السلام جامع لشرائع التي (691) [٣٧٣] كانت قبله ومختصّ بشرع خاصّ له فورثته من العلماء ورثة الأنبياء فينبغي أن ينسب الوارث في المشترك إلى صاحب تلك الشريعة وإن كان محمّديًا حتى لا يُخلّط.

وأقلّ ما في المسألة أنه وإن كان تابعًا محمّد عليه السلام من وجه وهو وجه تعليمه إياه فإنه عنه أخذه فقد ساواه من وجه آخر وهو كونه اقتدى بالأوّل كما اقتدى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهذا شرف له كما يساويه فيما تعبّده به فيما شاركه فيه كالصلاة والصيام والحجّ وما خاطبنا بالعمل به ممّا هو عامل به ونفارقه فيما اختصّ به عليه السلام دوننا مثل نكاح الهبة (692) وغيره فقد ساويناه في امرٍ وتميّز عنّا في أمر آخر وله فضيلة التعليم علينا فإنا ما استفدنا ذلك إلا منه وهذا حكم آخر فكما تعيّن علينا العلم بما يخصّه ممّا لا نشاركه فيه لئلا نقع في محظور كذلك تعيّن علينا أن نعرف من نرثه من الأنبياء في شرع محمّد صلّى الله عليه وسلّم لئلا نقع في جهل والوقوع في الجهل أشدّ من الوقوع في المحظور فإن الوقوع في المحظور دون الوقوع في الجهل وإن كان [١٨٦] الجهل من المحظور فإن الله أمَرنا أن نطلب العلم بالنظر والسؤال فيما لا نعلم مَن يعلم.

وأما قوله **تَكن ذاكرًا في كل موطن لما وصّيتك به** فهذا لا يصحّ فإن الموطن حاكم بلا شكّ على كل من حصل فيه يقول النبي عليه السلام في موطن «**سحقًا سحقًا**» وفي موطن آخر (693) يشفع ويتراضى ربّه في أمّته.

وأما قوله **حتى تصغر عندك نفسك** فما أدري مع من يتكلّم في ذلك من أهل الطريق إن كان مع المريد التائِب فلا يصحّ فإن توبته وإنابته تصغّر نفسه عنده بلا شكّ وهذا مشهود من التائبين وإن كان يخاطب من أهل الله مَن هو أعلى من المريد [٣٧٤] فعلمه يمنعه من

(691) ح: -
(692) ح: النكاح بالهبة
(693) ح: -

أن تكبر نفسه عنده وإن كبرت عند العارف فليس ذلك الكبر بمذموم وإنما هو لمشاهدة حقيقته كونها على صورة منشيها فالكبرياء لله (694) لا لها فإن صغرت في هذه الحالة (695) عنده أو صغّرها بنظره عند نفسها فقد صغّر الحقّ وألقاها في بحر الجهل بنفسها وأخرجها عن معرفتها بها ومن خرج عن معرفة نفسه فقد خرج عن معرفة ربه فالعلماء تشهد نفوسهم ذات كبرياء وعظمة والمريد يشهدها صاغرة ذليلة فإن صَغُرَتْ عند العالم كان نقصًا في حقّه ولم يكن عالمًا وعاد ذلك الصغر على ربّه فأساء الأدب فاستوجب الطَرد.

وإن كبرت عند المريد نفسه (696) فليس بمريد بل هو من العوامّ وكلام هذا الرجل إنما هو مع من يطلب طريق الله أقلّهم المسمّى مريدًا خاصّة فبكُلّ وجه أمْره بما يصغّر (697) عنده نفسَه حشو كلام في حقّ المريد وجهلٌ منه في حقّ العارف أوغفلة لشغله بحاله لأنه ذكر لي رضي الله عنه أنه ما قيّد [١٨٧] شيئًا من هذه الوصيّة باختيار منه ولا روية بل وجد في نفسه ما ذكره وقيّده على حدّ ما وجده وكانت له مادّة في ذلك الوقت من صاحبه عليّ الكرديّ الذي كان يعتقد فيه فمنه كانت تسري المادّة إليه في كل ما يجده في نفسه سواء كان ذلك عالى الشأن أو منحطًا ولهذا لما فاوضته فيما خرج عنه لم نجد عنده علم ما يقتضيه ما نطق به فسألني في شرح ما قيّده في هذا الوارد فأجبته إلى ذلك.

واعلم أن كلامنا أبدًا في كل ما نتكلّم به ابتداءً أو جوابًا عن سؤال إنما نتكلّم على ما يقتضيه المقام والحال فأوفّيه حقّه ولا أتعرّض للناطق به الذي [٣٧٥] خرج عنه فإنه لا يثبت الإنسان على حالة واحدة فقد يرتقي عن ذلك وقد ينزل عنه في الزمان الآخر فكلام المُنْصِف (698) إنما يكون على الأحوال لا على الرجال ولهذا هم بُراء من الغيبة فمَن فهم ما قلناه وعلم مقصدنا لم يفرح لحمد ولا يحزن لذمّ إذا لم نتعرّض إليه في شيء من ذلك وهو أعرف بنفسه ولاسيّما إن كان من أهل

(694) ح: فالكبر بالله
(695) ح: الحال
(696) ح: -
(697) ح: تصغر
(698) ح: المصنِّف؛ ي: المصنِّف، وفي الهامش: المُنْصِف

البصائر فلا يقول مثل هذا إذا سمع كلامي فيما جاء به من دنيّ الحال إن كان هذا الشخص قد جهلني وجهل مقامي فإني ما تعرّضت إليه في شيء من ذلك ولينظر المُنْصِف (699) في الحال وكلامنا عليه فيجد ما قد أعطيته حقّه كما أعطى (700) الحقّ خلقه وبه تعالى اقتديتُ حيث بيّنتُ لك مقصدي فإن الله تعالى يقول ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ** [**ثُمَّ هَدَى**] (701)﴾ [طه ٥٠] أي بيّن للسامعين أنه أعطى كل شيء خلقه كذلك فعلتُ لما أعطيتُ كل حال ومقام حقّه بيّنتُ أني أعطيتُ كل ذي حقّ حقّه [١٨٨] والله الموفّق والهادي للصواب.

وأما قول هذا الرجل أن تكون في هذه الأحوال التي ذكرها **ملازمًا للذكر** فإن أهل الطريق أجمعوا على أن (702) ذكر الله عزّ وجلّ في ذلك أنه (703) قرع باب المنح الإلهيّة في المعرفة بالله ومنعوا من الفكر في ذلك وبهذا زادت الصوفيّة وانفردت في العقائد في الله على أصحاب النظر فإن النظر الفكري ما يعطي من المعرفة بالله إلا وجوه المستند إليه خاصّة ومن النسب المعبّر عنها بالصفات ما تعطيه (704) الآثار في الأكوان غير ذلك لا يكون والذكر يعطي معرفة الأمر على ما هو عليه في نفسه ولا ينقال أصلاً إلا بمثال وهو أعلى من [٣٧٦] المثال وقد نُهينا أن نضرب الأمثال لله وقد ضرب هو المثل لنفسه فيفتح لصاحب الذكر في ذلك المثل الإلهي ما يتكلّم به فيتخيّل الأجنبيّ فيه أنه قد ضرب المثل لله وهو ما فعل وإنما ذكر ما فتح الله به عليه في المثل الذي ضربه الحقّ لنفسه فأهل الله مجهولون عند الخلق كما هو مَن هم أهل له مجهول عندهم فلا تُدْرَك مرتبة أهل الله في الدنيا أبدًا لأن الله تعالى ما ظهر ولا تجلّى لأهل الدنيا وكما أن رؤيته في الآخرة محقّقة فهناك يظهر أهل الله ويتحقّق قدرهم ومنزلتهم في العلم بالله.

---

(699) ح: المصنِّف
(700) ح: أعطاه
(701) ي: -
(702) ح: -
(703) ح: فأنه
(704) ي: يعطيه

وأما قوله بعد قوله **ملازمًا للذكر** أن تكون **متحقّقًا به** فيريد بالتحقّق به أن يكون الحقّ لسانه في ذلك الذكر لا هو بخلاف التخلّق بالذكر فإن التخلّق بالذكر أو باسم ما من الأسماء هو أن تقوم فيه بنفسك قيام الحقّ فيه بنفسه والتحقّق أن يقوم الحقّ فيك في ذلك لا أنت فإنه سمعك وبصرك ولسانك ويدك ورجلك في حال بطشها [١٨٩] وسعيها لا غيره فلذلك قال لك أن تكون **متحقّقًا به** فتكون على بصيرة فيمن هو الذاكر بلسانك ولا تكون آلة الصانع أعلم بصانعها منك فإن الحقّ قد جعل لسانك وقواك وأعضاءك (705) آلات له يفعل بها ما يظهر عنها من التصرّف ولهذا أضافها إليك فقال سمعك وبصرك ولسانك ما قال سمعي ولا بصري ولا لساني وجعل هويّته عين ما ذكره فافهم إن كنت منوّر الذات واعرف أنت واعرف هو تكن منصفًا فإنه تعالى ما زال (706) عنك بالكليّة ولا أثبتك بالكليّة بل أعطاك ما هو أنت وأخذ منك ما هو هو فكذلك فلتكن أنت حتى تكون متحقّقًا بالأمر على ما [٣٧٧] هو عليه.

ولهذا نطق هذا الشيخ بعد قوله **متحقّقًا به** أن تكون **ملتجئًا إلى الله تعالى** فأثبتك على قدرك لئلا تزهو في التحقّق فتقول أنا هو وأنا ما يكون هو أبدًا ولا أنت ولا يكون أنا أبدًا فأثبتك بالإلتجاء كما قال الحقّ في نصف الفاتحة الثاني لما قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين فنصفها له ونصفها لعبده وهذا عين ما ذكرناه فمنها ما انفرد الحقّ به ومنها ما انفرد العبد به ومنها ما وقع فيه الاشتراك فيعلم ما لله من هذا الاشتراك فيخلص له وما للعبد في هذا الاشتراك فيخلص له فتتميّز الحقائق وتتبيّن الأعيان ومثل هذا لا يهمل فإنه ما أهمله عزّ وَجلّ.

ثم قال **قاصدًا وجهه الكريم** إذ لا يقصد إلا الكريم فإنه لا يقصد إلا ليسأل منه ما هو السائل مفتقر إليه فجاء بالاسم الكريم لأن الكريم هو الذي يعطي عند السؤال والجواد يعطي قبل السؤال ولهذا كان وجود العالم من حضرة الجود لأن السؤال من المعدوم لا يكون [١٩٠] والسخي المعطي قدر الحاجة من غير زيادة والمؤثر المعطي ما هو

(705) ح: وأعظاءك
(706) ح: ازال

محتاج إليه في الوقت أو توهّم الحاجة إلى ما أعطى والواهب المعطي لينعم والمجازي المعطي ليشكر فلما كان هذا الشخص طالبًا أمره طلب أن يقصد من الحقّ وجهه (707) الكريم لا غيره على حسب ما أعطاه حاله في الوقت.

ثم أمرك أن تترجى منه ما يكون لك به التشريف على أبناء جنسك لتتميّز عن مثلك بما تشرف به عليه وهنا أمر ينبغي أن نبيّنه وذلك أن الإيمان يعطي أن تحبّ لأخيك ما تحبّه لنفسك [٣٧٨] فإذا سألتَ ما تشرف به على أخيك فقد أردتَ لنفسك ما لم ترده لأخيك فهل ذلك طعن في إيمانك أم لا.

فاعلم أن الإنسان لا يخلوا إما أن يسأل عن غفلة مثل هذا أو عن حضور فإن كان عن غفلة فما هو طعن في إيمانه فإنه يقول كما يقول اغفر لي وللمسلمين فيعمّ وكذلك يطلب أن يشرّفه الحقّ بما شرّف به عباده الصالحين فكما طلب أن يشرف على غيره طلب أن يشرف عليه غيره وإن كان عن حضور فرأس المؤمنين وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم قد طلب منا أن نسأل الله عزّ وجلّ في حقّه أن يعطيه الوسيلة وهي منزلة في الجنّة ولا ينالها إلا شخص واحد قال عليه السلام «**وأرجو أن أكون أنا**» فقد سأل ما يشرف به على جميع الخلق إذ قد علم أن تلك المنزلة لا ينالها إلا واحد فإن حضر في مثل هذا فقد سأل ما يشرف به على غيره فإن الله تعالى قال لنا ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب ٢١] وقال تعالى ﴿**فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران ٣١] فهذا ممّا اتبعته فيه هذا حضور أوّل. [١٩١]

والحضور الثاني إذا كان في سؤالك مثل هذا الحقّ تعالى لسانك الذي تسأله به فهو السائل بلسانك لا أنت وهو في أسمائه على مراتب متماثلة ومتقاربة ومتقابلة ومختلفة فإذا كانت هذه الأحكام قد ظهرت بها الهويّة الإلهيّة فالإنسان أوْلى بذلك أعني بهذه المفاضلات فأين الغفور من الغافر من المنتقم من الخلاق من العفوّ من الغفّار فالغفور والغفّار مثلان وهما مع الغافر والعفوّ متقاربان وهما مع المنتقم على التقابل وهما مع الخلاق على الخلاف وإذا كان الأمر

(707) ح: وجه

على ما ذكرناه فللإنسان أن يسأل فيما يخصّ وفيما يَعُمّ والأحوال تقضي. فإن السائل تحت حكم الحال والحال [٣٧٩] تحت حكم الاسم الإلهي والاسم الإلهي يعيّنه القابل (708) والقبول يعطيه (709) الاستعداد والاستعداد يطلب بذاته والمستعدّ يطلب به أعني بالاستعداد ولو لم يكن الأمر كذلك لكان الدور ولو كان الدور لوقع التوقّف فلا يظهر الكون وقد ظهر فما ثَم دور وثَم دور من وجه آخر لا يحتاج إليه فالعطاء الإلهي لا منع فيه لأنه فيض ذاتي (710) فلا تلم إلا نفسك ولا تحمد إلا الله فإن المنع منك والعطاء منه.

فلهذا أمرتك بذمّ نفسك وبحمد الله فتفطّن لهذه الدقيقة فإن كثيرًا من المنتمين إلى الله عزّ وجلّ لا يفرّقون بين الحمد والذمّ ويجعلهما سواء بالنظر إلى الأصل كإبراهيم بن أدهم وغيره والأمر ليس كذلك في نفسه فإن عطاء الحقّ لا منع فيه فالنعمة منه والمنع من القابل فإنه ما هو علي [١٩٢] استعداد يقبل أمرًا ما معيّنًا هو محبوب له ومطلوب فيقول الحقّ لم يعطني ما سألت وهو يكذب وإنما الصحيح لو أنصف أن يقول لم أكن على استعداد يقتضي. لي قبول ما سألته فيه فلهذا يلوم نفسه ويحمد الله تعالى (711) ولا يجعل هذين الأمرين راجعين إلى عين واحدة فيحرم الصواب كما حرم العطاء فيكون ذا خسرانين و﴿**ذَالِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ**﴾ [الحجّ ١١] ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَاكِن كَانُوا هُمُ الظَالِمِينَ**﴾ [الزخرف ٧٦].

ثم قال **واعلم أن المشائِخ إذا عبروا من عالم الدنيا لم يغيبوا (712) عن غلمانهم وأصحابهم بل نظرهم باقٍ بحاله إذا قصده المريد وجده (713) عاجلاً سريعًا** يقول رحمه الله إن المشائِخ إذا ماتوا تركوا همّتهم متعلّقة بقلوب من استند إليهم كما أنهم يتركون بزواياهم التي كانوا يعمرونها أرواحًا من أذكارهم وعباداتهم [٣٨٠] يعمرون ذلك الموضع ولهذا يجد كل من يدخل مكان رجل كبير في الدين قد مات

(708) ح: القائِل
(709) ي: بعينه، وفي الهامش: يعطيه
(710) ح: دائر
(711) ي: -
(712) ح: يعتبوا
(713) ح: وحْده

يجد هذا الداخل في منزله خشوعًا ورقّة وإنابة إلى الله عزّ وجلّ لا يجدها في غير ذلك المكان ولقد كانت زاوية أبي يزيد بعد موته إذا دخلها أحد (714) وعَمِل (715) فيها ما لا يقتضيه حال أبي يزيد من المخالفة احترق ثوبه من غير نار تكون في الموضع وصار هذا مُجَرَّبًا عندهم ببسطام وقد عاينّا مثل هذا فى أماكن الصالحين فإنهم ما ماتوا وما دُرِجوا إلا وهمّتهم متعلّقة عموما بمصالح الخلق وخصوصًا بتلامذتهم وأصحابهم وقد [١٩٣] تقدّم لك أن المريد في قلبه مثالاً من شيخه يسمّى الشيخ المتوهَّم وهو الذي يلازمه ويبقى له دائمًا انتقل الشيخ إلى الآخرة أو لم ينتقل ذلك الشيخ القائم فى خياله لا يزول ولا يموت فلهذا قال **نظرهم باقٍ**.

وأما قوله **إذا قصده المريد جاءه عاجلاً سريعًا** وكيف لا يكون ذلك وهو أقرب إليه منه وهو عين ذلك المثال فإن ذلك المثال لا بدّ منه وهو مثل قوله صلّى الله عليه وسلّم في حقّ الحقّ «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن** (716) **تراه فإنه يراك**» فأدخله فى حضرة الخيال بقوله «**كأنك تراه**» فجاء بكاف التشبيه أي تخيّل وُقوفَك بين يديه فى عبادتك إيّاه وكأنك ناظر إليه أي مَثّلهُ نصب عينيك (717) فإن عين تمثيلك إيّاه عينه فقد جاء بالقصد عاجلاً سريعًا فان الله تعالى يقول فى ذلك «**مَن تقرب منى شبرًا تقربت منه ذراعًا**» أي قربي إليه أسرع بالتضاعف من قربه حتى قال «**وإن أتاني يسعى أتيته هرولة**» هذا حظّ السعى فكيف مَن يسارع إلى الخيرات يكون الحقّ أشدّ إسراعًا بما يطلبونه منه منهم والمشائِخ نوّاب الله وخلفاؤه ولا بدّ أن يظهروا فى الخلق بما هو الحقّ عليه من النسب [٣٨١] المنسوبة إليه والصفات أو الأسماء قل أيّ ذلك شئت والأسماء أوْلى من غيرها من الألقاب فإن الله تعالى ما عيّن لنا إلا الأسماء ما تعرّض للفظ الصفات ولا النسب وإنما ذلك أمر أحدثه العلماء ولا ينبغي أن يُطلق على الحقّ في الأدب

(714) ح: أحدا
(715) ح: فعمل
(716) ح: -
(717) ح: عينك

إلا ما أطلقه على [١٩٤] نفسه هذا هو الحقّ وإن كنّا نعلم أنه عين كل شيء كما نعلم أنه بحكم كل شيء كما قد تقدّم.

ثم قال **فإذا وفّقك الله وصبرت على ما ينالك في الطريق رُفعت عن هذا العالم وصُيّرْتَ إلى عالم الأُخرى** هذا الذي ذكره هذا الرجل ما هو على ظاهره إن كان قال ذلك عن دراية وحقيقة وإن كان نطق به ولا يعرف معناه فهو أعرف بنفسه.

فلنا أن نبيّن صورة الحقّ في ذلك وذلك أن الإنسان السالك ما يصبر على ما يناله من الأمور الشاقّة في سلوكه إلا وهو في حجاب بشري فلا يكلّمه الله إلا من وراء حجاب البشرية كما قال فإن الله في نفس الأمر جميع قواه وأعضائه فإذا صبر من اسمه تعالى الصبور حينئذٍ يكون متحقّقًا بقوله تعالى ﴿**وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾ [النحل ١٢٧] وليس الصبر إلا حَبْس النفس على الحال الذي ابتلاه الله به فمعنى قوله **رفعت عن هذا العالم** أي كشف الله لك عنك أنك ما أنت أنت فإنك تقول في حال صبرك أنا أنا والحقّ من وراء هذا الحجاب يقول لا بل أنا أنا وأنت لا تسمع فإذا لم تبرح من موطنك رفع الله عنك حجاب أنانيّتك (718) بأنانيّته (719) فشهدت ما لم تكن تشهد فتخيّلت أنك انتقلت إلى عالم آخر وما انتقلت وإنما كشف لك عنك فرأيت ما لم تكن تراه قبل ذلك وإنما عبّر عنه هذا الشيخ بعالم آخر لأن الحقّ أخذ [١٩٥] العالم مجلاً له وقد تنوّع [٣٨٢] التجلّي في حقّ هذا العبد فرأى صورة لم يكن يراها (720) قبل ذلك فعبّر عن ذلك بتحوّل (721) في الصورة الأخرى بعالم الأخرى مع كونه في موطن الدنيا والحكم في الحقّ للصور التي يتجلّى فيها ويستلزم من النعوت والأسماء ما يلزمها فإن قلت بانتقالك صدقت من حيث أن هذه الصورة ما هي تلك الصورة مثل اختلاف الأحوال على الشخص الواحد فالقائم ما هو القاعد فإن القيام ما هو القعود وزيد القائم ما هو زيد القاعد فالعين واحدة من وجه ما هي واحدة من وجه والحقّ وإن كان هو المتجلّي في

(718) ج، ظ، ب؛ ح: أنايتك؛ ي: أنانيّك
(719) ح: بأنايته
(720) ح: راها
(721) ح: تحوّل

الصورة الأولى هو عينه في الصورة الأُخرى لكن الصورة ما هي هذه الصورة.

وقد أمرك هذا الشيخ في وصيّته بالصبر وهو حبس النفس على ما نالك حتى ترى ما يفتح لك فيه فإن لم تصبر حرمت فائدة العلم بما ذكرناه ووقعت في الجهل الذي لا خروج منه.

ثم أوصاك **أن لا يغيب عن خاطرك شيخك** يريد لا تغفل عن الرقيقة التي بين مثال الشيخ الذي عندك وبين الشيخ حيّا كان أو ميتًا ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾ [الحشر ١٩] لأنه مَن نسي الله فقد نسي نفسه إذ قد أخبر الله أنه قُوى العبد وأعضاؤه فمَن نسى الله فقد نسى نفسه أي أن الله تعالى قد أنساهم أنفسهم في نسيانهم الله تعالى فما أعجب قول الله لمن دبّره (722) وفضّله تفضيلاً.

وأما قوله **فإنك من إيجاده إلى هذا العالم** يقول أنه منشؤك في هذه الصورة [١٩٦] التي أنت عليها إذ كان هو المبيّن لك مَا أنت فأوقفك منك عليك وقد كنت غافلاً عنك فلهذا نسب الإيجاد إلى الشيخ لتشكره على ذلك فيزيدك الله من جهته خيرًا فهذه أبوّة الحال كما كانت في الوالد الطيني أبوّة الصلب وقد أمرك الحقّ (723) أن تشكر لله ولوالديك وما عيّن والد الدين من والد الطين فاشكر والديك فهما اللّذان أوجداك [٣٨٣] فوالد الطين أوجدك في عالم الدنيا ووالد الدين أوقفك وأشهدك على وجود الحقّ فيك فكأنه أوجدك حقًا وقد كنت عند نفسك خلقًا فانظر في هذه الولادة الشيخيّة ما أكملها وما أتمّها وما أحسنها فليكن شكرك لشيخك أتمّ من شكرك لوالدك العرفيّ فإن والدك العرفيّ قد لا يقصد إيجادك بل يأتي لقضاء شهوته وتكون أنت بحكم التبعيّة وولادة الشيخ في المريد مقصودة له ولا بدّ ما هي بحكم التبعيّة ولا الاتفاق فحكم الشيخ وحقّه أعظم من حقّ الوالد ولذلك كان حقّ الرسول علينا أعظم من حقّ الوالدين فأبوّة الدين أعظم وأتمّ.

---

(722) ح: تدبّره

(723) ي: الله، وفي الهامش: الحقّ

ثم قال في وصيّته **كن ذاكرًا لأحوالك منذ خُلِقْتَ ولما صدر منك وانظر فيما أنعم الله به عليك وعظّم ذلك في قلبك تعظيمًا** يقول لك يكون وارد وقتك ذكر ما مضى من أحوالك وتقلّباتها إذا علمت أنك تجبر بذلك الذكر ما انكسر فيما مضى من حالك فتنظر فيما خلقت (724) بالاعتبار وتنظر فيما صدر منك بالإجبار (725) ومعنى بالاعتبار [١٩٧] أن تجوز بنظرك في ذلك إلى من هو حتى تعلمه وما هو إلا الحقّ لا غير إذ لا غير.

وقوله **منذ خُلقت** أي منذ ظهرت لك إذ كنت أنت عين الصورة التي تجلّى فيها فتعلم ما أنت وما حكمت به عليك لتعلم الأمر على ما هو عليه فيزول عنك اللبس الذي على عين غيرك فما صدر عنك (726) إلا ما هو لك فلا تضف إلى الحقّ ما ليس له فتكون من الجاهلين وهذا المدرك مدرك صعب يحتاج إلى أدب كثير وصاحب الأدب فيه عزيز فإنه مزلّة الأقدام ولهذا استدرك صاحب الوصيّة سواءً علم ذلك أو لم يعلمه بقوله **وانظر فيما أنعم الله عليك وعظّمه تعظيمًا** فإن ذلك من شعائر الله وحرماته فيُشغلك بالنظر في نعم الله لئلا تعثر على حقيقة الأمر فتترك الأدب [٣٨٤] بأن تنسب إلى الله ما هو لك ممّا لا يُرضى ولا يُحمد فأعطاك هذا الدواء لأجل هذه العلّة والمرض فإنه مهلك وصاحبه صاحب زمانة فإن كل طائفة ما عدى هذه الطائفة التي يثني عليها كلهم زَمْنا لا ينجع فيهم دواء فلهذه (727) الطائفة الصحّة التي لا يقبل المرض مِزاجها وتلك الزمانة التي في الباقين لا ينجع فيها دواء.

ثم قال بعد تأكيده بألفاظ يحتاج الخوْض فيها إلى طول **فالزم الباب بأدب ولا تُخِل بشيء من آداب الشرع أصلاً فإن أخللت بشيء من الآداب أنت أو غيرك كانت العقوبة إليه سريعة فالزم حَلَقة الباب وزِن حركاتك بميزان الشرع** يقول لك في وصيّته بلزوم الباب وحلقته [١٩٨] ما قال الله تعالى ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ**

(724) ي: خلّقت
(725) ح: بالإنجبار
(726) ح: منك
(727) ح: فلهذا

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾ [البقرة ٢٥٦] وهي حلقة الباب وذلك هو الإيمان والباب الإسلام وبالباب وحلقته تكون السعادة للعبد وإنما قيّد الإيمان بالله والكفر بالطاغوت فإنه يقول في حقّ قوم ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾** [العنكبوت ٥٢] فسمّاهم مؤمنين كما قال ﴿**ويَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾** فسمّاهم كافرين كما سمّى الكافر بالله كافرًا فلما وقع الاشتراك في الاسم لذلك قيّد بيانا لغائلة الإطلاق.

واعلم أن الآداب (728) جماع الخير والشرع ما شرع الله ففي الشرع جماع الخير فإن الطريق إليه لا يُعرف إلا منه فإنه ليس لمخلوق يحكم فيما يقرب إلى الله إلا روائح مكارم الأخلاق فإن الصورة الإلهيّة تعطي ذلك ولهذا يجني ثمرتها المؤمن صاحب الجَنّة والمخلّد في النار لا بدّ من ذلك ولما كان الأمر كما قلنا لذلك أمَرك بالآداب الشرعيّة لتكون بها في الدار المسمّاة (729) جَنّة وأما صورة الوزن بين الحكم المشروع وبين أفعال المكلّفين (730) فالعلم بذلك موقوف على العلم بالشرع والشرع على قسمين شرع ثابت [٣٨٥] يناقضه شرع ثابت وهو ما وقع فيه الاختلاف بين المجتهدين وشرع جامع وهو ما أجمعوا عليه فالإنسان الحازم يحتاط ولا يزال أبدًا يميل إلى ما وقع فيه الاجماع كالقصر في الصلاة للمسافر والفطر للمسافر في رمضان ودخول مكّة لمن لا هَدي له بعمرة دون الحج وترك نكاح الربيبة التي ليست في الحجر وترك شرب النبيذ [١٩٩] وأمثال ذلك وهذا هو طريق العزائم فأمَرك أن لا تجنح إلى تأويل مع قدرتك على مثل هذا أي لا تكون في عمل مشروع ينقضه عليك شرع آخر والشارع واحد وأكثر من هذه النصيحة من هذا الرجل في مثل هذا الأمر لا يكون والله أعلم.

ثم قال **ولا تلتفت إلى صفاء باطنك مع الله تعالى إلى استرسال ظاهرك مع الناس** فيما أُبيح لهم لا بدّ من ذلك أعني هذا التقييد فإن هذا الشيخ ما قيّده اتّكالاً منه على عناية الله بمن هذه حالته في إصلاح ظاهره وباطنه وغفل هذا الشيخ عن قوله تعالى

(728) ي: الآدات
(729) ي: المسمّا
(730) ح: المكلّف

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف ١٨٢] وغفل عن كون الحقّ مع الشخص على قدر ما هو الشخص مع الله تعالى أي على قدر ما يكون علمه بالله فإنه من أعطى لله فإنه يعطي على قدر الله عنده ولهذا خرج أبو بكر عن كل ما كان يملكه وما ترك لأهله إلا الله ورسوله أي السمع لرسوله فيما يأمره به فلو ردّ عليه جميع ماله قبِله مع كونه خرج عنه إلى الله فلهذا قرن الرسول مع الله فيما تركه لأهله لأنه صلّى الله عليه وسلّم أعرف بالمصالح وكذلك الوارث الذي هو الشيخ فأي مريد خبأ عن الشيخ شيئًا من ماله نقّصه من الشيخ على قدر [٣٨٦] ما خبأ من ذلك لأنه اعتمد على ما خبأه واستند إليه فوكله الله إلى ذلك وحرمه خيرًا [٢٠٠] كثيرًا ولهذا فضل أبو بكر الصدّيق (731) غيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وإن كانوا الصدّيقين.

ثم قال **وكن ذاكرًا لله** (732) **تعالى ومثنيًا عليه واطلب منه ما تثني به عليه فإنه كريم وتصلّي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم** أما قوله **وتطلب منه ما تثني به عليه** مع أن القرآن قد علّمنا فيه ما نثني به عليه فإنه حرضه على تعلّق الهمّة بالله تعالى في أن يكشف (733) له عن الحضرة التي منها أخذتْ الرسل ما جاءت به في حقّ الحقّ من الثناء عليه في الكتب والصحف فيكون له الأمر ذوقًا لا نقلاً حتى يمتاز عن أبناء جنسه ويتعيّن في أصحاب الوحي المنزل باتّباع ما شرع له الرسول عليه السلام لا بشرع جديد بزيادة حكم أو نسخ حكم ولهذا قيّد فقال **بما تثني به عليه** ما قال بما تحكم به في نفسك وفيمن اتّبعك فإن ذلك لا يكون إذ (734) كان وحي التشريع قد انقطع فأراد أن يذوق مذاق الأنبياء فيما بقي لنا الذوق فيه فما لنا لا نرفع الهمّة في تحصيل ذلك من الله والذي بقي من ذلك ما يرجع إليه من الأسماء التي يثني بها عليه أو الاخبار بحوادث الأكوان وبما ثم أو بما قرّره من الأحكام على لسان الشرع حتى نكون على بصيرة من أمرى في الدعاء إليه.

(731) ح: الصدّيق أبو بكر
(732) ح: ذاكر الله
(733) ح: تكشف
(734) ح: إذا

ولا تروى عن رجل غير معصوم من الوهم والخطأ والكذب إذ في الرواية عن الرسل من ذلك كثير ولهذا ورد الضعف [٢٠١] في الحديث بأنواع ضروب الضعف وردّ منه كثير فإذا أخذتَه من المعدن الذي أخذته (735) الرسل كنتَ على بصيرة ولذلك قال الله تعالى (736) لنبيه عليه السلام أن يقول في هذا المقام ﴿**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف ١٠٨] يقول من اتبعني فيما شرعت كشف الله عزّ وجلّ له حتى يرى [٣٨٧] صدق ما جئت به كما رأيت فتخبر عن عين اليقين وقد ورد خبر صحّحه الكشف وإن كان غير ثابت من طريق النقل وتكلّم فيه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال «**لولا تمريج في قلوبكم وتزيّد في حديثكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع**» يشير إلى أن ندرك الأمور ذوقًا كما أدركتها الرسل الذين أُمرنا بالإقتداء بهديهم ليكون لنا من الحقّ ما كان لهم فيما يجوز لنا أن نكون فيه ممّا أبقاه علينا من ذلك واستثناه بقوله تعالى ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالحقّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ**﴾ [ق ٥] فهذا هو التمريج الذي ذكر وأمثاله وأما التزيّد في الحديث فهو أن الإنسان مجبول على الإفشاء ولذلك كان في الكشف دون الحيوان لما قام بهم من الخرس وقام به من التمكّن في التوصيل لما يراه وإذاعته ولما عُرف منه أنه ينمّ ستر عنه ما أراد الحقّ أن لا يظهره إلا لأهل الكتمان من عباده إما بالحال كالبهائم ومن لم يعط آلة الإفصاح وإما لمن تحقّق بالأمانة ولا شكّ أن من نقل أمرًا رآه (737) أو سمعه فإن نقله على المعنى فقد يزيد فيه أو ينقص منه فالنقص من [٢٠٢] الشيء زيادة في الخبر ما لم يكن فيه وإن نقل عن لفظ سمعه بِلُغته سواء فَهِمَ معناه أو لم يفهم فذلك هو المبرأ من الزيادة في الحديث وهو قليل وهذا القليل هو الذي يكشف له ما كشف للرسل فدعا إلى الله علي بصيرة إلا أنه من أمانته لا يقول أوحى إلّي ولكن يقول وقع في سرّي أو رأيت (738) في

(735) ح: أخذه
(736) ح: عزّ وجلّ
(737) ح: وصل أمرًا ره؛ ي: وصل أمرًا ره، وفي الهامش: نقل أمرًا رآه
(738) ح: أريت

الواقعة أو خاطبني الحقّ في قلبي بكذا وكذا ممّا يشهد له أصول الشرع.

فمثل هؤلاء السادة يرون ما رأته الرسل ويسمعون ما سمعت (739) الرسل ويكونون في ذلك مع الرسول عليه السلام كما كان الرسول عليه السلام فيما شرع له وما (740) تعبّد به من شرع مَن كان قبله فيكون قد ورث الرسول في هذه الحقيقة فمثل هذا يثني على الله بما يُعلّمه الله من أسمائه إذ لا يثني عليه تعالى إلا بأسمائه وقد أشار إلى ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في إجماله فقال «**اللهم أسألك بأسمائك التي استأثرت بها في علم غيبك** [٣٨٨] **أو علمتها أحدًا من خلقك**» فنكّر ولم يخصّ صنفًا بعينه لعلمه عليه السلام بأن الله تعالى قد يختصّ من شاء من عباده باسم من أسمائه جعلنا الله ممّن أخذ أسماءه منه حالاً فيكون صفته لا نقلاً فلا يكون عنده منها إلا ما هو على لسانه والإنسان متى أثنى على الله بما أثنى به عليه من أسمائه فقد ذكره والله تعالى يقول ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة ١٥٢] فإن الله تعالى يذكره بتلك الأسماء عينها فيعود عليه ذلك الثناء فيسمّيه [٢٠٣] بما سمّى به نفسه وهو صادق فيما يذكر به عبده فلا يثني عليه بإعادة ذلك الثناء عليه حتى يتحقّق العبد من الله بتلك الأسماء في نفسه فيكون عينها إذا كان مسمّى بها فيصدّق الله في ذكره إياه بها.

فإن قيل نعم ذكر أنه يذكر من ذكره فمَن قال أنه يذكره بما ذكره قلنا الجواب من وجهين على هذا الوجه يسلّم لنا فإنه دعوى وهو أن نقول كذا وجدنا الأمر في الكشف وسمعناه والجواب الثاني أن نقول ثبت قوله «**إنما هي أعمالكم تردّ عليكم** (741)» فردّ علينا نفس عملنا وما كان عملنا إلا الثناء عليه بهذه الأسماء المعيّنة فإذا ردّها علينا هو عين ثنائه علينا بها.

وأما وصيّته بالصلاة على نبيه ورسوله صلّى الله عليه وسلّم فإنه قد ثبت أنه من صلّى على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرّة واحدة

(739) ح: اسمعت
(740) ح: و
(741) ح: علينا

صلّى الله عليه بها عشرًا فإنه أتى حسنة فله عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف بحسب المقام الذي منه صلّى عليه فمن دعا للنبي صلّى الله عليه وسلّم بأمر فإن الله تعالى يعطيه أضعاف ذلك الأمر.

فإن قلت فيفضل بهذا على ما حصل للنبي من قِبله بالصلاة عليه قلنا كذلك يلزم لولا أن المحالّ ما يقبل ما يكون من الحقّ إلا على قدر استعدادها ومعلوم أن استعداد الرسل أكمل من استعدادنا لأنهم قبلوا وحي التشريع وما قبلناه وقبلوا ما قبلناه فعلمنا أن عندهم من الاستعداد ما ليس عندنا فنوازن [٢٠٤] الأمر الواحد الذي يكون لهم ألفًا ممّا يكون لنا من ذلك فكيف عشرًا فالجود الإلهي مطلق الإفاضة لا منع هناك والقبول يزيد وينقص بعضه [٣٨٩] عن بعض فإذا صليت على النبي عليه السلام وإن كان الله تعالى قد صلّى عليك بما رحمك به لاكن من مقامك والآن إنما يصلّي عليك من مقام الرسول عليه السلام الذي صلّيت عليه فتكون صلاته تعالى عليك إذا كانت جزاءً عن صلاتك على الرسول عليه السلام أتمّ من صلاته عليك إذا لم يكن جزاء فلهذا أمَرك بالصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم وكذلك إن عمّمْتَ (742) في تلك الصلاة آله وجميع النبيين وعباد الله الصالحين كما قال عليه السلام في التشهُّد «**أن العبد إذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصاب** (743) **كل عبد صالح لله في السماء والأرض**» فلا يبقى عبد صالح سمع سلامك إلا ردّ عليك فإن لم يسمع ردّ الحقّ عليك ذلك نيابة عنه حتى يودّ الإنسان أنه إذا شاهد ذلك أن لو ناب الحقّ عن الجميع لما يَرى من الخير ولا يعرف قدر ذلك إلا أهل الذوق ومن عناية الله بهذه الأمّة أن تولّى الله تعالى بنفسه صلاة الجزاء عليها.

ثم قال **وأسألك الزيادة على ذلك** يقول من العلم بالله فإن الله تعالى ما أمر نبيه بطلب الزيادة في شيء من الأشياء لا عمل ولا غيره إلا من العلم فقال له ﴿**قُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه ١١٤] فلو كان ثَم رتبة فوق العلم لأمَره بطلب الزيادة منها ولم يقل [٢٠٥] رب زدني عملاً ولا حالاً

(742) ج، ب؛ ح، ي، ظ: عميت
(743) ح: أصابت

فإن العمل مشقّة ولا سيّما الأعمال الطبيعيّة والحال أمر عارض والعارض لا بقاء له والعلم صفة إحاطيّة إلهيّة فطَلَب الزيادة منها لشرفها.

واعلم أن طلب الزيادة من العلم إنما هو إشارة إلى التعلّق لا إلى العلم فإن العلم إن كان صفة فهو واحد لا يقبل الزيادة فلا تكون الزيادة إلا من المعلوم ولا يكون المعلوم معلومًا إلا بالتعلّق فسمّي الأصل وهو العلم إذ لا يكون علمًا إلا بالتعلّق حتى لو فرضنا أنه لم يتعلّق لا بنفسه ولا بمعلوم غيره لم يكن علمًا أصلاً فما زال متعلّقًا فما زال علمًا ولما كانت المعلومات تتفاضل وتشرف بعضها على بعض وكان أعلى معلوم العلم بالله [٣٩٠] جعلنا طلب الزيادة من العلم إنما ذلك من العلم بالله لا بغيره إذ لا يعرف الأمور المسمّاة عالمًا (744) واعتبارًا إلا بالله فإنا لا نعرف ما ثَم حتى يتجلّى الحقّ في أي صورة أدركناها من العالم فحينئذ نعرف من العالم قدر ذلك فنعرف نسبة الحقّ من تلك الصورة التي هي مجلى له ولهذا ظهر بها فيكون علمنا بالله عين علمنا بالعالم فنزيد في كل تجلّ علمًا بالله لم نكن نعرفه وسواء كان ذلك في الأشكال المعتادة أو الغريبة لا بدّ من الزيادة وإذ هو الأمر كما قرّرناه فنسأل الزيادة من حيث أن الله تعالى أمرنا بالزيادة فنأتي واجبًا أوجبه علينا أمره فيحصل (745) لنا من الحقّ جزاء محبّة الفرائض وقدرها عظيم.[٢٠٦]

وكذلك ينبغي لأهل الله تعالى (746) أن يكونوا في الأوامر الإلهيّة لا يأخذونها إلا على طريق الوجوب لا على ندب وإباحة فإنهم إما أهل حضور أو أهل استحضار والأوامر على المشافهة لا تقوم مقام الأوامر بالواسطة فإن الله تعالى ما أمرك حتي رجح جانب الوقوع لما أمرك به فلا أقلّ من الموافقة فاعلم ذلك.

فإن قلت يظهر الترجيح في أمر الندب فكيف الترجيح في أمر الإباحة قلنا إذا خيّرك في المباح بين أن تفعل وأن لا تفعل فلا تفعل هو حالك في الوقت لأنك غير فاعل فترجّح أن تفعل على أن لا تفعل حتى يظهر

(744) ي: علمًا، وفي الهامش: عالمًا
(745) ح: فتحصل
(746) ي: -

لأمره أثر عليك فتأتي من المباح ما هو فِعْل مثل قوله تعالى ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ**﴾ [الجمعة ١٠] فإن قعدت في المسجد بعد صلاة الجمعة فما زدت حالة ولا ظهر عليك أثر لم يكن وإذا قمت من مجلس مُصَلّاك من المسجد إلى موضع آخر من المسجد أيضًا فقد انتشرت في الأرض لأن المسجد من الأرض وقد ظهر عنك فِعْل أخرجك عن موضع مُصَلّاك فإذا فعلت هذا بهذا القصد أُجرت في المباح الذي قالت فيه الفقهاء أنه لا أجر فيه ولا وزر وكذلك في النواهي.

أما [٣٩١] المحرم فلا كلام فيه وأما المكروه فما رجح النهي عنه إلا وتركه خير للعبد وأما نهي المباح المساوي لفعله فقد أريناك ترجيح الفعل في وصيّة معيّنة فترجّحه فيها وفي أمثالها لأنه ما ورد في مثل ذلك إن شئت وإن شئت فيرجح في مثل هذا الأمر [٢٠٧] على النهي فإذا جاء في المباح إن شئت وإن شئت فانظر إن كان قَدّم الأمر على مشيئة النهي فاعمل بالأمر وإن قدّم النهي فاعمل بالنهي فإن الله تعالى مدح الذين يسارعون في الخيرات فما قدّمه حتى رجّحه فسارع إلى ما قدّم كما سارع هو في التقديم.

وإذا ورد مثل «**اعمل ما شئت فقد غفرت لك**» فكل ما عملت ممّا كان محجورًا عليك عمله فلستَ مؤاخذًا به ممّا تكون فيه عاملاً وينطلق عليك حقيقة اسم العامل فإن تركت الصلاة بهذا الخبر كنت عاصيًا فإنك ما عملت وأخذت بذلك إن شاء الله تعالى والعمل الذي تكون عليه عوضًا من الصلاة مثلاً من مكروه أو غيره فإن ذلك العمل مباح لك وأنت غير مؤاخذ به فإن الله تعالى قد غفره لك فإن ترْك المأمور به ليس بعمل وهو ما قال ألا أعمل ما شئت وكل عمل مغفور لك وإن الله لا يأمر بالفحشاء فلذلك أباحه لك فانظر ما نبّهتك عليه تنتفع بذلك إن شاء الله تعالى.

ثم قال **لا تَنْسَ يا مريد شيخَك وإخوانك فإن شيخك رأسك وإخوانك أجْنِحَتك** لما كان الأمر يعطي الترقّي والعلوّ والرفعة وجعل محلّ ذلك السموات جعل الملائكة أولي أجْنِحَة من أجل النزول لا

مـن أجـل الصـعود (747) كمـا جعـل الأَجْنِحَـة للأجسـام العنصريـّة في المسمّى طيرًا [٢٠٨] للصعود لا للنزول فهو ينزل طبعًا وإلى جهة خاصّة قصـدًا فينتفـع في ذلـك القصـد بالأَجْنِحَـة الـتي يَسْـبَح بهـا الـتي هي كالأرجل لغير ذوات الجناح فالملك يرتقى طبعًا (748) ويحتاج في النزول إلى الأَجْنِحَة وهذه الأجسام البشريّة عنصريّة فتحتاج إلى أدوات (749) الترقّي إلى الأَجْنِحَة لتستعين بها وقال الله تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ [المائدة ٢] فلـذلك جعـل الإخـوان أجنحـة يسـتعين بهـم العبـد عـلى أفعـال الـبر وجعـل الشـيخ رأس الأمـر لأن الـرأس إذا قطـع بطلت حركة [٣٩٢] الجسد كذلك المرشد إذا لم يكن يفي المريد يَخْبِط في عَشْـواء مظلمـة فـلا بـدّ مـن مطـرِّق وأوّلهـم الرسـل ثـم الورثـة في الصنف الأدنى ولما كان الرأس محلّ القوى كلها استحقّ اسم الرأس لرياسته على جميع الأعضاء ولما كان تدبير هذا الجسم لهذه القوى الـتي يجمعهـا الـرأس وكـان الشـيخ هـو الـذي يـدبّر المريـد في جميـع تصرّفاته لـذلك جعلـه هـذا الرجـل بمنزلـة الـرأس والإخـوان بمنزلـة الأَجْنِحَة للتعاون.

وقوله (750) **لا تنس شيخك وإخوانك** يريد في مواقف الحقّ إذا أوقفه يـذكر عنـد ذلـك شـيخه لربّه وإخوانـه بخـير فيعطـيهم الله تعـالى مـن الخير على قدر ما قصدوه إن كان قصدهم أعلى من موقف هـذا (751) المريد فإن كان موقف المريد أعلى من قصدهم أعطاهم الله تعالى على قدر موقف المريد وإن قصر. قصدهم عن ذلك [٢٠٩] وذلك لكرم الله الشامل فإن المريد في ميزان شيخه فيما كان منه وسببه.

ولقـد كنـا نحضر. مجلس الشـيخ عبـد العزيـز بـن الكـرْه وهـو يـتكلّم في المعرفة والناس بين يديه وكان يحضر. مجلسه شيخه جرّاح رحم الله الجميع فيفـرح بـه الشـيخ جرّاح وبمـا فتح الله تعـالى بـه عليـه ثـم يـردّ رأسـه (752) إليّ وإلى الجماعـة ويقـول هـذا عبـد العزيـز رُوَيْحانـة (753)

---

(747) ي: لا الصعود

(748) ح: + كما ينزل طبعًا

(749) ح: إرادات

(750) ح: قوله

(751) ح: ذلك

(752) ح: برأسه

ويصغّرها في ميزاني وكان عبد العزيز رحمه الله إذا سمعه يذكر ذلك يتهلّل وجهه ويتبسّم وكان هذا الشيخ جرّاح رضي الله عنه عالي المقام مجهول بين أصحابه لم يظهر قطّ للشيخ عبد العزيز تلميذه من حاله بارقة وكذا قال لي وسألتُه عن ذلك فقال لا يطيق وكان هذا الشيخ جرّاح تاب في مجلس الشيخ أبي مدين رضي الله عنهما إذ كان بِتونس وجاء منه ما جاء وكان الشيخ أبو مدين يقول بِبجاية إذا ذُكر عنده جرّاح لو كان لي جناح لطرتُ به إلى جرّاح ثناءً عليه بكونه يقصده مع كونه من مريديه وكان يحفظ المدوّنة لسحنون في مذهب مالك رضي الله عنه عن ظهر قلب وكان قد اشتغل بالفقه قبل توبته وكان من العمّال الأمناء مات ودفن بِمرسى عيدون بمحرسة على [٣٩٣] البحر على إثنى عشر ميلا من تونس ولما مات الشيخ عبد العزيز تلميذه أمَر أصحابه أن يدفن إلى جنبه فقيل لي إنه دفن إلى جانبه بالمرسى المذكور وما رأيت فيمن [٢١٠] رأيت أحفظ منه على السُنّة إلا ما سمعته عن الشيخ الحدّاد باليمن شيخ ربيع بن محمود المارديني الحطّاب فإنه بلغني [754] أنه ما بلغه قطّ خبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقتضي العمل إلا وعمل به.

ثم قال في وصيّته **إذا حضرت في جمع فلا تجلس إلا في أخفض موضع يكون ذلك بذلّ وانكسار وليكن عندك من الهيبة لهم والاحترام لصغيرهم وكبيرهم حظّ وافر ولتكن مُطْرِقًا [755] بينهم حياءً منهم** يقول انظر نفسك أقلّ الجماعة فإنك أعرف بنفسك منك بهم قال بعضهم هذا الطريق لا يصلح [756] إلا لقوم كنس الله [757] المَزَابِل بأرواحهم فإنه من تواضع لله رفعه الله وإنما أوصى بمثل هذا إذا كان الأمر في نفسه أن الله تعالى لا يتجلّى في صورة واحدة لشخصين فما يدريه لعل الله قد تجلّى لكل واحد من الجماعة في

=

(753) ح: برُوَيْحانة

(754) ح: بلغه عني

(755) ح: مَطرقًا

(756) ح: تصلح

(757) ي: -

صورة هي أعلى من صورة ما تجلّى له الحقّ فيها (758) فإن كان الأمر كذلك فقد وَفّى المقام حقّه وإن كان هو في نفس الأمر أكبر من الجماعة في هذا التجلّي فهو نزول (759) منه إليهم لأنه بحكم ما تجلّى له والله تعالى قد وصف نفسه بالنزول لعباده كل ليلة إلى السماء الدنيا فنزوله بهذا التجلّي في نزول هذا المريد أقرب نسبة في النزول من نزوله تعالى [٢١١] إلى السماء الدنيا.

وأما وصيّته في جلوسه بين الجماعة بذلّ وإنكسار ليطلب بذلك عزّة الله وجبره لما انكسر منه وليست الكسرة إلا دعواه في عبوديّته حالة ربانيّة وذلك ثلم في عبوديّته فيَجبر الله تعالى ذلك الكسر له وسدّ تلك الثُلمة ويعطيه العزّة التي أعدّها للمؤمنين بذلّه (760) فإن لم يكن انكسر ولا تثلِم عبوديّته (761) وكان قعوده قعود المنكسرين من غير كسر في نفس الأمر فيكون حاله حال ظهور الحقّ في أدنى الصور فافهم ذلك.

وأما وصيّته بالقعود في أحقر الأماكن وهو الذي زهدت الجماعة في القعود فيه نفاسةً للرتبة المكانيّة فإن الله تعالى يقول في إدريس ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياً**﴾ [مريم ٥٧] فوصف المكان [٣٩٤] بالعلوّ على غيره يقول هذا الشيخ لا تبرح في هذه الجماعة مشاهدًا لعبوديّتك (762) بقعودك مكان العبيد من الموالي وإن الله ما تجلّى لك من عزّه (763) إلا على قدر ذلك ولا من ربوبيّته إلا على قدر عبوديّتك فكلما تحقّقت في أمرٍ اعطاك نقيضه على قدره ولا تفرق في التعظيم بين صغيرهم بالسنّ وكبيرهم فإن الصغير بالسنّ قد يكون كبير بالمرتبة قيل في يحيى ﴿**وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِياً**﴾ [مريم ١٢] فهذا كبير في صغير.

وأما وصيّته بلزوم الحياء من الجميع ولم يقل من واحد واحد على التفصيل فاعلم أنه أراد أن لا يفرق هذا المريد وأن يجمعه على أمر

(758) ي: -
(759) ح: يزول
(760) ح: بذلّة
(761) ج، ظ؛ ي، ح: عرْشه؛ ب: غرسه
(762) ح: لعبودتك

واحد ولا شكّ أن جماعة إذا اجتمعت أنها لا تجتمع إلا لمناسبة [٢١٢] فلا بدّ من أمر جامع واحد ليس ذلك الأمر عند واحد على انفراده فيكون مشهود هذا المريد ذلك الأمر الواحد الذي جمعهم فيستحي منه فلا يتبدّد هذا المريد ويكون له من الإمداد الإلهي من ذلك الأمر الواحد ما لا يكون لأحد من الجماعة ولا للجماعة إلا أن يكون مشهد غيره من الجماعة مشهده.

ثم قال **ولا تبدأ احدًا منهم بكلام بل إن أشار إليك أحد** (764) **منهم فردّ إشارته بأدب فإذا كلّمك أحد** (765) **منهم فتأدّب بردّ الجواب عليه منكسر الهمّة متواطي الرأس بعبارة لطيفة** كأنه رضي الله عنه (766) يحرّض على استعمال السياسة واستجلاب القلوب والتحبّب الي الناس وأن لا تكون أنت مبتدئًا في شيء من ذلك إلا حتى يكون الطلب منهم فإنهم لا يكون الابتداء منهم إلا عن قبول عليك وإذا كنت أنت المبتدي كنت أنت المكلّف لهم في الإجابة فقد يجيب المُجيب حُبّا وغير حُبّ إما حُبّا أو كراهة وإذا كنت أنت المُجيب كنت بحسب ما كلّمت مع ملازمة الأدب.

وكأنه والله أعلم في هذا الفصل يدلّ على السماع من الحقّ لا من نفسك بل من خارج فإن هذه أحوال السامعين من الحقّ ولذلك وصّاك بالأدب في ردّ الجواب والذلّة والسكون لكون المتكلّم معك [٣٩٥] الحقّ تعالى على ألسنة عباده [٢١٣] وهو مقام ابتلاء كلّه والناجي منه قليل وقد افردنا له بابًا أعني فصلاً من كتاب مواقع النجوم يحوي على التخلّص من غوائل هذا المقام مع التحقّق به.

وإنما قلنا أراد السماع من الحقّ في هذا الكلام لما تمّم به فقال **ولا يشير إليك أحد منهم فتغفل عن إشارته** الله الله فأثبتك وإذا أثبتك فصفة الغفلة من جملة صفاتك ولو جعلك في هذا المقام كما جعل

(764) ح: أحدًا
(765) ح: أحدًا
(766) ح: رحمه الله

الغير ما قال لك لا تغفل عن إشارة (767) المشير وهذه حالة السامع من الحقّ غير ذلك من المقامات لا يكون أعني من مقامات الطريق.

فأما أمره **بانكسار الهمّة وتواطي الرأس والجواب بالعبارة اللطيفة** فهو يؤكّد ما ذكرناه في قصد المتكلّم بهذا الكلام أنه يريد السماع من الحقّ لأن الهمّة ما لها متعلّق إلا الحقّ فإذا وقفتْ عند هذا فلم تقف إلا وقد رأته عين الحقّ المطلوب فإنه (768) ليس وراء الله مرمى لهمّةٍ وانكسارها عن النفوذ فيمن يكلّمها عين رجوعها إليه **وتواطي الرأس** في هذا المقام حياءً من المشاهدة إذا رأى أن المتكلّم معه الطالب الجواب منه إنما هو الحقّ في هذا المجلى المخلوق **والعبارة اللطيفة** بعد الإنصات لكلامه عند سؤاله هو قوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات ٣] ﴿**لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**﴾ [الحجرات ٢] وذلك أن الرسول مجْلى [٢١٤] الحقّ فهو الحقّ يكلّم عباده في هذا المجْلى وكلام الحقّ كله قرآن وقد أمرنا بالإنصات عند القراءة والاستماع له فإن طلب منّا الجواب في ذلك أجبنا بألطف عبارة وأحسنها كما فعلتْ الجن حين سمّعها (769) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سورة الرحمن فكُلما قال لهم ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن ١٣] قالوا في الجواب ولا بشيء من آلائك ربّنا نكذّب فما خاطبوا إلا الحقّ في الجواب وحذفوا الرسول [٣٩٦] من الوسط فما سمعوه إلا من الحقّ فما أجابوا بهذا الجواب إلا للحقّ ولذلك جاءوا بحرف الخطاب في قولهم من آلائك وأثنى عليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيث أجابوا بذلك وجعل ذلك من حسن الاستماع وفضّلهم على الصحابة من الإنس إذ كانوا دونهم في الاستماع.

ومعلوم أن الرسول كان التالي وإنما سُمّي قارئ القرآن تاليًا لأنه تالي الحقّ في ذلك إذ الكلام الذي يتلوه هذا التالي هو لله وهذا تالٍ له فإنه ما سمعه السامع إلا منه ولا ينسبه التالي أعني ما جاء به من الكلام لنفسه ولا سمعه السامع إلا من الله تعالى بسمعه ومن ألفاظ

(767) ح: إشارته
(768) ح: لأنه
(769) ح: أسمعها

الرسول بأُذُنه الذي هو محلّ السمع في وقت حجاب السامع عن الله أنه سمْعه وبصره فإذا كان من أهل هذا المقام الآخر يكون السامع والمُسْمِع واحد العين في صورتين مختلفتين بحالتين مختلفتين خارجتين عن هذا الباب الذي أشار إليه هذا الشيخ رحمه الله في وصيّته والله أعلم.

ثم قال [٢١٥] **وإن كان في الجمع من يُشار إليه ورأيت الجماعة تخدمه وتتأدّب معه بين يديه فاعلم أنه سيّدك محمّد** (770) **صلّى الله عليه وسلّم** هذا قد نبّهك على حالة لباس الأرواح الهياكل كما حدّثني أوحد الدين حامد بن أبي الفخر الكرماني رضي الله عنه قال خدمتُ شيخًا في رجوعي من الحجّ فأصابه إسهال يعني إطلاق البطن فشقّ عليّ ما يقاسيه فسألته أن يتركني أكلّم صاحب بيمارستان ببعض السبيل فمنعني من ذلك فلما رأى أن منعه إيّاي من ذلك يشقّ عليّ قال لي ليلة رُح إلى بيمارستان السبيل وجئني بدواء ففرحت وجئت إلى سبيل دار بيمارستان صاحب سنجار وشمعة تقد بين يديه في خَيْمَة له وجماعته واقفون على رأسه في خدمته وكان خادمًا فعندما أبصرني بين الجماعة قرّبني وأقبل عليّ وسألني عن حاجتي ولم يكن قبل ذلك يعرفني ولا بيني وبينه اجتماع فقضا حاجتي وأعطاني الدواء وخرجت منه (771) فارحًا نحْو الشيخ فخرج في خدمتي وأنا أقول له لا تفعل [٣٩٧] خوفًا من الشيخ وهو يأبى إلا المشي في خدمتي إلى بعض الطريق فحلفتُ عليه فرجع وجئت إلى الشيخ وذكرت له الخبر وجميع ما جرى فقال صدقتَ وأخذ الدواء وما استعمله ثم قال يا ولدي مالي حاجة بهذا الدواء وإنما أمرتك بذلك لما رأيت من توجّع قلبك عليّ [٢١٦] فرحمتك (772) فلما وجّهتك خفت عليك أن يطردوك وينكسر قلبك فانسلخت من هيكلي ولبست هيكل صاحب السبيل ذلك الخادم فكنت أنا الذي أقبلت عليك وقضيت حاجتك لا هو جبرًا لقلبك وأنت وإن كنت تشكّ (773) في ذلك فتعرف

(770) ب؛ ي، ح، ج، ظ: محمّدا
(771) ح: به
(772) ح: فرحتك
(773) ح: وإن لم تشكّ

صدقي [774] في رجوعك إليه دون أن أتلبّس أنا بصورته وتنظر قال فتعرّضت له في اليوم الثاني فطردني وما أقبل عليّ وفعل بي نقيض ما رأيت منه البارحة فرجعت إلى الشيخ وأخبرته الخبر.

ولا شكّ أن الورثة إنما هم هياكل لروحانية النبي صلّى الله عليه وسلّم فهو رسول أبدًا حيًا وميّتًا فمن يطع الشيخ فقد أطاع الرسول فإنه روح هيكله ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله فإنه مجْلاه وحينئذ الرسول موضع ظهور الحقّ ثم يفنى عن الرسول بقوله تعالى ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء ٨٠] فيكون نظرك في الرسول الله تعالى [775] فيغيب الرسول فيبقي الحقّ فكما [776] يبقى الحقّ في مغيب الرسول بالنصّ كذلك يبقى الرسول [777] في مغيب الشيخ عن بصيرتك ويبقى الحقّ إذ هو المتكلّم من الرسول فإنما قال لك **فاعلم أنه سيدك محمّد** [778] لكونك في سلوكك على شرعه وسنّته وطريقته والمكلّف من هذه الأمّة لا يخلوا في حركته وسكونه وجميع أحواله أن يكون على حال للشرع فيه حكم بأحد أحكامه فحكم الشرع قاضٍ فيه لا يفارقه فلهذا قال لك **فاعلم أنه سيدك محمّد** [779] [٢١٧] صلّى الله عليه وسلّم إذ لا يشار إلى الشيخ إلا لتحقّق اتّباعه ولهذا إذا [780] رأينا من يدعي في هذه الأمّة مقام الدعاء إلى الله على بصيرة ويخلّ بأدب من آداب الشريعة ولو ظهر عليه من خرق العوائد ما يُبهر العقول ويقول إن ذلك أدب يخصّه لا يلتفت إليه فليس بشيخ ولا محقّ فإنه لا يؤمن على أسرار الله تعالى إلا من تُحفظ [٣٩٨] عليه آداب الشريعة ولكن شرطه أن يبقى معه عقل التكليف فإن طرأ عليه ما يخرجه عن عقل التكليف فيسلم إليه حاله ولا يقتدي به وهو سعيد وهو في الوقت الذي سُلب عنه عقل التكليف بمنزلة الشيخ عندما يموت

(774) ح: صدقه
(775) ي: -
(776) ح: فكلما
(777) ح: الحقّ؛ ي: الحقّ، وفي الهامش: الرسول
(778) ب؛ ي، ح، ج، ظ: محمّدا
(779) ب؛ ي، ح، ج، ظ: محمّدا

فكما يقبض (781) روحه على ما كان عليه كذلك يؤخذ عن هذا المولّه عقله على ما كان عليه فيبقى سعادته سعادة الميّت ولا تدبير (782) لنفسه الناطقة في هيكله لفقْد آلاتها (783) فيبقى مثل سائر الحيوانات يدبّره روحه الحيواني ولا يعترض عليه فإن الله ما كلّفه كما أنه لم يكلّف الموتي وإن كانوا سعداء.

فافهم ما ذكرناه لك تسعد فإن هذه الحال جهِلها أكثر أهل الطريق فكيف عامّة الفقهاء فإذا عرفوا ما قلناه لم يقدروا على إنكاره وإنما يحجبهم عن ذلك ما يرونه منه من حركاته الطبيعيّة (784) في أكل وشرب ونكاح وشبه ذلك فيقولون كما أنه ينكح ويأكل ويشرب فليصليّ وتحجبهم الصورة الإنسانية الظاهرة وما يعلمون [٢١٨] أنه حيوان في صورة (785) إنسان وأن نفسه الناطقة انتقلت (786) إلى البرزخ انتقال الموتى وإن كان لها التفات إلى هذا الهيكل فمن أجل بلوغ الأجل المسمّى الذي للروح الحيواني في كل حيوان يموت فإن الموت إنما هو للحيوان لا للإنسان إلا من كونه حيوانًا فافهم فتعتقد في مجانين أهل الله ولا تقتدي بهم بخلاف عقلائهم.

ثم قال بعد دُعاء دَعا به لنفسه وللمسلمين **واعلم أنه بهمّة شيخك وشيخ شيخك وإخوة شيخك وغلمان شيخك** يقول واعلم أن إشهاد الحقّ إيّاك محمّدا صلّى الله عليه وسلّم في هذا المقام من أكبر الاعتناء الإلهي بك إنما كان بهمّة من ذكر إن (787) كان من ذكره له همّة متعلّقة بالله في حقّ أمثالك واعلم أن الله سبحانه وتعالى إذا أشهد من شاء من عباده نفسه تعالى فإن ذلك لا يدلّ على علوّ مقامه ولا حاله ولا بدّ لأن الحقّ في عقد كل ذي عقد صغير وكبير وهو متنوّع في الاعتقادات بحسب ما تعلّقت [٣٩٩] به تلك الاعتقادات فلا

(781) ح: تقبض
(782) ي: يدبّر
(783) ي: آلامها
(784) ح: الطبيعة
(785) ح: صورة، وفي الهامش: جسد
(786) ي: انقلبت
(787) ح: فإن

يعرف العالي من الأعلى من ذلك ولا المعصوم من غير المعصوم من ذلك فإن الله تعالى عند لسان كل قائل يعني بما يقول فكذلك هو عند اعتقاد كل معتقد وأسنى الاعتقادات وأعلاها كل اعتقاد في الله عزّ وجلّ أخذه صاحبه من كتاب إلهي منزّل أو من أخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو رسول من الرسل ودون ذلك ما دلّت عليه العقول وبينهما [٢١٩] ما صوّرته الأوهام من بين العقول والأخبار وما ثَم إلا هذه المراتب الثلاثة إما إلاه دلّ علي ما ينسب إليه عقل سليم وإما شرع ثابت مقرر وإما وهْم مصوّر في دليل نظري أو خبري وليس ثَم غير هذا.

النفس مصرّفة تحت سلطان الوهم أكبر من تصرّفها لسلطان العقل فإن الوهم أقوى وأقرب نسبة إليه من العقل فإن ميدان الوهم واسع فجولانه في الأمور أطلق من جولان العقول وجُلّ الأخبار الإلهيّة جريها مع الأوهام أعظم من جريها مع العقول لأنها تعمّ بالدعوة إلى الله عزّ وجلّ الصغير والكبير والعالم والمقلّد والوهْم له التصرّف في الجميع في (788) الخاصّ والعامّ والعقل ما له تصرّف إلا في خصوص قوم مع كون الوهْم لا يفارق قطّ مواطن حكم العقل.

ولا شكّ أن أخْذ العلم بالله من خبره تعالى أحقّ به من العلم به من حيث النظر العقلي فكثير فإنه تعالى بنفسه أعلم والعقل لا يدرك ما يدرك من ذلك إلا بضرب مثال وهْمي وقياس غائب على شاهد فإن الأمر غيب عنه وما يقيس عليه مشهود له وطرد العقل ممّا يشهده غائبًا وشاهدًا مَن يحكمه ولولا أن الأمر أوسع من (789) ذلك وإن التوسّع الإلهي يقبل كل قول قيل فيه لكان بعض النظّار يخيب وبعضهم يصيب والكل مصيب فيما ذهب إليه بدليل أن الله تعالى ما يتجلّى له فيعرفه عبده إلا في اعتقاده وفيما عقد عليه [٢٢٠] مع نفسه عقد عقل أو وهْم أو وقوف عند [٤٠٠] خبر إلاهي ولكن لا بدّ من وهْم يصوّر ما جاء به هذا الخبر حتى ينضبط له ولولا ذلك ما كان عقدًا فإن ما لا ينضبط لا ينعقد فإذا أشهد الله تعالى مَن شاء من عباده ما شاءه من العلم به بحضور رسول من رسله أو بحضور محمّد صلّى

(788) ي: -

(789) ي: واسع في

الله عليه وسلّم وهو التامّ الأتمّ وهم طائفة لا يتصوّر سلطان (790) الأوهام على صورهم (791) بخلاف رؤية الإله في مثل هذه المشاهد يعلم المريد بحضور ذلك السيّد المصطفى أنه محفوظ الكشف والشهود لعدم إنكار حضور السيّد له في الواقعة وترك النكير لذلك فيكون على بصيرة فيما رآه وأنه رآه بالأفق الأعلى لا بالأفق العالي فإن قوله تعالى ﴿**بِالأُفُقِ الأَعْلَى**﴾ [النجم ٧] هي رؤية الشهود وقوله عزّ وجلّ ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ [النجم ١٣] أي رؤية قبل ذلك وهي الرؤية الوهميّة وإن كان ذا نظر عقلي فهي الرؤية النظريّة الفكريّة وشهود ما أدركه النظر الفكري أعلى من حال النظر في ذلك فلذلك جعله أعلى فدلّ حضور النبي صلّى الله عليه وسلّم في الوقائع على علوّ مرتبة صاحب الواقعة وعصمته وعلوّه فيما رآه فإنه من مرآة الحاضر يبصره لا من مرآته مثل مسألة الشابّ الذي أغنتْه رؤية الله عن رؤية أبي يزيد في زعمه فلما حضر أبو يزيد ورآئ الله تعالى (792) هذا الشابّ لم يطق حمل عظيم ما رآه فمات من حينه فأين [٢٢١] هذا الادراك بحضور أبي يزيد من ذلك الإدراك الذي انفرد به وأين أبو يزيد من محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

ولقد روينا عن أبي موسى الديبلي عن أبي يزيد البسطامي أنه سأل الله تعالى رؤية مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ربّه فقيل له إنك لا تطيق أي نورك الذي ترى به يضعف عن إدراك ما تطلبه من ذلك مع كون الحقّ في هذه الحال بصره فكيف به لو لم يكن بصره فألحّ في [٤٠١] السؤال قال أبو يزيد فَفُتح لي من ذلك قدر خُرْم إبْرَة فلم أطق الثبوت عند ذلك وأُحْرِقت (793) هذا قوله عن نفسه فلولا مشاهدته في الصور المعتادة لما ثبت أحد عند رؤية شيء من ذلك فإنّا لا نشكّ في قوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وثباته وعلوّ رتبته ومقامه في معرفة ربّه عزّ وجلّ ومع هذا قيل له في حق ما أعطيه أصحاب الكهف ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً**﴾

(790) ج، ب؛ ي، ح: شيطان
(791) ح: صورة
(792) ي: -
(793) ح: احْتَرقت

[الكهف ١٨] يعني خوفًا على نفسك أن تذهب ﴿**وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً**﴾ [الكهف ١٨] أي في قلبك فإنهم جماعة ولكل واحد منهم (794) حال مع الله تعالى في إيمانه به ما هو للآخر فلو اطلعت عليهم بالجملة لرأيت اختلاطًا في الأمر واختلافًا في النظرة الواحدة فكنت تخاف على نفسك من الحيرة فيما رأيته في النظرة الواحدة فكنت تولي فرارًا وتملأ قلبك رعبًا من هول الأمر لأنك ترى ما لا تقدر على دفعه لعلمك بأن الله جعل ذلك كله حقّ ولا ينضبط [٢٢٢] لك منه شيء دون شيء فتحار وتُملأ رعبًا من الفوت

تَفَرَّقت الظِباء (795) على خداشٍ * فما يَدْري خداشٌ ما يَصِيد

وليس في قوّة هذا الصائد أخذ الكل ولا يدري ما هو الأوْلى من ذلك فيقصد إليه ويترك ما سواه فإنه يرى العين واحدة في صور (796) كثيرة كما يُرى الإنسانية واحدة في أشخاص كثيرة بأحكام مختلفة يريد ضبطها فلا تنضبط فإن الأمر فيما لا يتناهى لا ينضبط إذ لو انضبط لتناهى فلو أن صاحب الواقعة يرى الحقّ في واقعة بحضور جميع الرسل لكان حاله حال النبي صلّى الله عليه وسلّم لو اطلع على أصحاب الكهف فلذلك لم يشهد الله تعالى صاحب الواقعة ما أشهده من العلم به إلا بحضور الرسول (797) وحده صلّى الله عليه وسلّم فإن الله تعالى قد جعل لكل رسول فيه شرعة ومنهاجًا أي ما رأى إلا ما أعطته حقيقة نشأته الروحيّة الصادرة عن مزاج طبيعته وكما لا يتكرّر مزاج لا ينعدّ بين اثنين معراج ولكل معراج غاية فلا تتوحّد بين اثنين غاية بل لكل مزاج معراج ولكل معراج غاية بل للإنسان الواحد معارج كثيرة وغايات كثيرة بعدد معارجه بل لا يكون له في [٤٠٢] مزاجه إلا معراج واحد لأن مزاجه لا يدوم زمانين وإن كان ذلك في عين جوهر واحد فلا خفاء باختلاف الصور على ذلك الجوهر الواحد ولا معنى لإختلاف (798) الصور (799) إلا وجود المزاج

(794) ح: -
(795) ي: الضباء
(796) ح: صورة
(797) ح: الرسل
(798) ح: إختلاف؛ ي: إختلاف، وفي الهامش: لإختلاف
(799) ح: للصور

[٢٢٣] فهذا المزاج غير هذا فلما نظرنا الجوهر القابل الذي لا وجود له إلا بالصورة كذلك يجوزنا بقولنا بل للمزاج الواحد معارج كثيرة والامر ليس هو في نفسه إلا على ما قلناه فالخلق جديد مع الأنفاس كثير بالصور والحقّ (800) ليس بجديد بل هو مستمرّ ثابت واحد العين والقبول فاعلم ذلك.

وقال هذا الرجل لهذا المريد فما اعتنى الله بك بحضورك بين يدي هذا السيد محمّد صلّى الله عليه وسلّم في واقعتك إلا بهمّة مَن ذكره من الشيخ وشيخ الشيخ وإخوان الشيخ وغلمان الشيخ.

ثم قال له بعد ذلك **فبادر إلى الوقوف بين يديه واجعل التراب على رأسك والصقْ خدّك بالتراب وقليل ذلك ولو أهلكت نفسَك شكرًا لله عزّ وجلّ على ذلك لما سبق لك في الأزل وجعل شيخك سببًا لإظهارك** (801) **ذلك على يديه** يقول رضي الله عنه إذا رأيت في المشهد سيّدك محمّدا صلّى الله عليه وسلّم **فبادر إلى الوقوف بين يديه** يقول ذلك لترى ما يأمرك به فإنه ما جاء سُدى فإنه إما بشير وإما نذير وهو السراج المنير فيُعطيك بإنارته بحسب حالك الذي أنت عليه [٢٢٤] وإن كنت على حالة تسرّ كان بشير خير في حقّك وإن كنت على حالة غير مرضيّة كان نذيرا في حقّك أي معلمًا لك لترجع عن ذلك ما دمت في موطن قبول التوبة وهو الحياة الدنيا فما تعرف حالك في وقوفك بين يديه إلا بما يأمرك به فتعلم أنه ما أعطاك ما فهمت عنه في وقوفك بين يديه إلا حالك فمن حالك خاطبك فكن بحسب ما يقتضيه ذلك الخطاب فهو الذي اقتضاه الحال.

وأما قوله **واجعل التراب على رأسك** فإن الأرض أمّك فمن التراب خلق الله جسدك ومن مزاجه ظهرت صورة روحك ولطيفتك وواجب على الولد برّه بأمّه فإن الشارع قد أكّد ذلك «**فقال رجل** [٤٠٣] **لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَن أبرّ قال أمّك ثم اعاد عليه مَن أبرّ قال أمّك ثم اعاد عليه** (802) **الثالثة فقال مَن أبرّ قال أمّك ثم قال في الرابعة ثم أباك**» وهو الروح الكلّي الذي أعطى هذا

(800) ح: والخلق، وفي الهامش: والحقّ
(801) ي: لإظهار
(802) ح: -

الروح الجزئي الخارج على صورة مزاج البدن كما يتكوّن الجنين في رحم الأمّ وهو من الأب ما لا صورة له سوى عينه فلا يكسب الصورة إلا في الأمّ فهي أظهرته فكان برّه بها أعظم وإذا أردتَ تعظيم شيء جعلتَه على رأسك أي أعطيته مرتبة العلوّ منك عليك تعظيما لا شكّ فإنها بارّة بك كذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أمر بإكرامها أعني الأرض فقال «**إنها بارّة بك**».[٢٢٥]

ويتخيّل من يسمع كلام هذا الشيخ في جعل التراب على الرأس أنه بمنزلة ما يفعله الذي أصيب فإنه جرت العادة في المصاب أن يجعل التراب على رأسه ليس هذا مراد الناطق بهذا الكلام في هذا الموطن لأنه لا يعطيه الطريق فما هو إلا ما ذكرناه فإنه جاء به على تعظيم المقام والعناية فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولاً وأنت ما نلت هذه العزة الإلهية إلا بذُلِك وسكينتك فما نلت ذلك إلا بصفة أمّك الذلول فاعرف قدرها وارفعها على رأسك تعظيمًا لها.

وأما قوله **والصق خدّك بالتراب** فهو قوله عليه السلام «**الجنّة تحت أقدام الأمّهات**» فإذا جعلت خدك مقام قدم أمّك وقدم أمّك ملصق بالتراب فقد أنزل التراب منزلة الجنّة فإن الجنّة تحت أقدام الأمّهات وهو إما مقام الغنى بالله فيكون من أترب الرجل إذا استغنى وإما مقام الفقر إلى الله فهو من ترب الرجل إذا افتقر فلذلك أمرك أن تلصق خدّك بالتراب أي تجعل صفة الغنى بالله أو الفقر إلى الله ومن رزقه الله الغنى به أو الفقر إليه فتلك نعمة لا يقوم أحد بشكرها أبدًا فإنك في الحالتين ما شغلك إلا به ألا ترى النبي صلّى الله عليه وسلّم ما قام حتى تورّمت قدماه في عبادة (803) الله إلا في الشكر لما غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما [٢٢٦] تأخّر فقيل له (804) في الرفق في [٤٠٤] نفسه فقال عليه السلام «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» فيكون من القليل فإن الله تعالى يقول ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ ١٣] وأما الشاكر فكثير والله قد نعت نفسه بالشاكر والشكور بمزيد النعم ومن العبد بمزيد العمل.

(803) ح: عباد
(804) ح: -

وقوله **ولو أهلكت نفسَك شكرًا لله عزّ وجلّ** هو ما فعله ذلك المريد بمِنى وكان فقيرًا صادقًا ففاته لفقره من مناسك الحج القربان فإنه لم يكن عنده ما يشتري به قربانًا يذبحه أو ينحره فقال إلهي تقرّب إليك أهلُ الجِدَة بما وصلتْ إليه أيديهم ممّا أنعمتَ به عليهم من الثروة وعبدُك فقيرلا شيء له فاقبل اللهم نفسي. قربانًا بأن تأخذها إليك ووضع خدّه في الأرض كما يضجع الكبش للذبح وشهق فمات فكانت نفسه قربانه في ذلك اليوم شكرًا لله تعالى فهذا معنى قوله **ولو أهلكت نفسك شكرًا لما سبق لك في الأزل** من إحضار هذا الرسول في مشهدك الإلهي.

ثم قال في إلصاق خدّه بالتراب **فإن أُجلستَ وإلا فدمْ** (805) **علي ما أنت عليه من وضع الخدّ على الأرض ووضع التراب على الرأس إلى أن يأمرك** (806) **الرسول عليه السلام برفع وجهك عن التراب فانفض التراب عن رأسك** [٢٢٧] **فإذا جلست فاجلس حيث يؤمر بك أن تجلس فيه منكسر الهمّة مطرقًا متواطي الرأس** هذه إشارة إلى ما هو الحقّ عليه مع الخلق فإنه بالعالم ظهرت أسماؤه وبالخلق ظهر حكمه فيهم فما أضاف الجلوس إليه وإنما قال له **فإن أُجلستَ وإلا فدمْ** (807) **على حالك** والحال الإلهي الذي أشار اليه بالدوام هنا قوله ﴿**واللَّه غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ**﴾ [آل عمران ٩٧] وهذه حالة لا تقتضي الدوام فلا بدّ أن يجلس فليكن الذي يجلسه الرسول الذي أشهده.

وقوله أن لا يجلس إلا حيث أُمر بالجلوس فيه هو قولنا لا يحكم على الخلق إلا بما أعطاه الخلق فهو الحاكم المحكوم.

وقوله **فانفض التراب عن رأسك** يشير إلى أن تردّ كل شيء إلى أصله فما هو للحقّ بما هو حقّ ردّه إليه وما للخلق بما هو خلق ردّه إليه.

وقوله **متواطي الرأس منكسر الهمّة** وإن كان قد مضى. تفسيره فهو هنا تواطي الرأس [٤٠٥] عبارة عن ليّن الجانب مع الرفعة التي أنت عليها أي لا تظهر للناس علوّ مرتبتك التي لو ظهرت لم يصل إليها

(805) ح: قدّم
(806) ح: يأمر
(807) ح: قدّم

غيرك فتكون مع الناس بحيث هم كنزول الحقّ إلى عباده إلى سماء الدنيا في القرب إليهم ومنهم من مستواه الرحماني ولو استوى بغير هذا الاسم ما نزل أصلاً كذلك ما أجلسه إلا رحمة بك ولذلك قبلت [٢٢٨] أن تكون متواطي الرأس ليّن الجانب لمن أرادك أين مقام منزل موسى من ربّه إذ كلّمه على الاختصاص وأعلى منزلته من لينه لفرعون في قوله حين دعاه فانظر في حكمة هذا اللين تجدها في دعواه الربوبيّة وموسى على كل حال خلق في نفسه في حاله وذاته فلا بدّ من ليّن الجانب تحت عزّ ما ادّعاه من الربوبيّة فرعون فما دعاه باللين إلا في المقام الذي يستحقّ ذلك ورجال الله بحيث مقاماتهم وأحوالهم لا بحيث ذواتهم ولو لم يدّعي الربوبيّة ما بُعِث له باللين من العزّة التي كان عليها موسى بالكلام وهارون بتأييد موسى فله عزّة التأييد فلو قابلا عزّة فرعون بعزتيهما لتصادموا ولم تقع المنفعة لفرعون في قوله ﴿**آمَنتُ بالَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**﴾ [يونس ٩٠] وهو قوله ﴿**لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ**﴾ فتذكّر ﴿**أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه ٤٤] فخشي. فإن الله لا يرجو ما لا يقع.

وأما انكسار الهمّة في هذا الموطن فإن الهمّة إذا تعلّقت بما ليس بحاصل في الوقت فإنها تطلب النفوذ إلى مشاهدة من تعلّقت به وتحصيله فإذا رأى صاحب الهمّة مطلوبه في نفسه زالت همّته وانكسرت عن طلب النفوذ وهو قوله

قَد يَرحَلُ المَرءُ لِمَطلوبِهِ * وَالسَبَبُ المَطلوبُ في الراحِلِ

فإذا انكشف لك أن مطلوبك ليس غير عينك وعينك ما فارقك لأنه أنت فما لهمّتك متعلّق خارج عنك وهذا أعطاه الشهود الذي ذكره والله أعلم.

ثم قال رحمه الله [٢٢٩] بعد تحصيل هذا الحال **وتُظهر التذلّل والانكسار والمسكنة لمن يتكلّم معك ويُشير إليك** يقول لما رأيت نفسك حقًا [٤٠٦] والذين ينظرون إليك خلقًا وجَب عليك النزول عليهم حتى يستفيدوا من نوالك ولذلك تمّم في وصيّته فقال **ولا ترفع رأسك إلى أحد منهم فإنهم لن يصلوا إليك إن فعلت ذلك وهم يطلبونك وإذا رفعت رأسك إليهم أخذتْهم العزّةُ في أنفسهم فتخيّلوا أنهم أرفع منك فيجهلوك فلا ينتفعون بك فإذا كان نظرك**

إلى أسـفل شـاهدوك فـوقهم وهـم دونـك فتهيّـأوا للإفـادة منـك فأفدتَّهم بحالك.

وقوله **فإنهم ملوك الدنيا والآخرة** يعني الرسل ومَن يماثلهم من حيث أنهم أرسلوا إلى التحكّم في العموم وأما من حيث منزلتهم في العلم بالله فليس هم ملوك الدنيا والآخرة وإنما هم ملوك الله وفي هذه الرتبة يكون الحقّ ملك الملك كما ذكره الترمذي الحكيم فملك الملك هو الحقّ لأنه يجيب (808) دعوة الداعي إذا دعاه ويرضيه فعل العبد ويسخطه ولا خفاء بهذا التأثير عقلاً وشرعًا والملك محلّ الآثار أبدًا حيث كان.

فمن وجه هو الحقّ * ومن وجه هو الخلق * ومن وجه فلا هذا

ولا هذا فما الحقّ * [٢٣٠] فقلْ ما شئتَه فيه * فما في صفوه رتق

وقد يظهر التابع في مقام أعلى في حال قيام المتبوع في حال أدنى من أجل من أرسل إليه فإنه حجّة لكل واحد وإن تقابلت الحجج ولست أنت كذلك إلا في مريديك الذين هم لك بمنزلة أمّة الرسول للرسول.

ثم قال **فإن أشار إليك الرسول أو كلّمك فبادر إلى الوقوف بين يديه فقيرًا** (809) **منتظرًا** يقول **فإن أشار إليك** وهو كلام الحال **أو كلّمك** وهو ينطِق (810) تلك الصورة التي تجلّى لك فيها فقف بين يديه **فقيرًا** لما ليس عندك **منتظرًا** لنواله بمنحك إيّاها فإن أمَرك بالجلوس من ذلك الوقوف فاجلس على حدّ ما تفهمه في أمره إيّاك بالجلوس فلا تقيّده بحال دون حال (811) في شرح الجلوس.

ثم قال رحمه الله **فإن خيّرك في أمر فردّ التخيير إليه** يقول لك (812) لا تختر عليه فإنك جاهل بما يصلح لك من حالك وهو عالم به فإن اختار لك ما اختاره فالزمْه (813) نفسك ولا تعدل عنه كان فيه ما كان

(808) ي: بحيث
(809) ح: فقرًا
(810) ي: تنطق
(811) ي: الحال
(812) ح: -
(813) ي: ألزمه

ممّا يسهل عليك أو يصعب فإن الله تعالى هو المتجلّي لك في صورة الرسول فمن أطاع الرسول فقد [٤٠٧] أطاع الله ولذلك قال لك هذا الشيخ فردّ الأمر إلى الله سبحانه وتعالى.

ثم قال لك **وقل بأدب ليست لي إرادة في** [٢٣١] **شيء فإني قد خرجت عن إرادتي كلّها من حيث ما هي لي فلم يبق لي إرادة مستقلّة دونك فهو ما تريد بي فذلك الذي أريد كما قال أبو يزيد أريد أن لا أريد فإن إرادتي** (814) **لا تساوي شيئًا إذ لا يكون إلا ما تُريد** وهذا وإن كان عاليًا فله مقام خاصّ وأعلى منه ما يقابله فإن أكثر الناس يرون أن إرادة العبد تبع وأهل الإطّلاع على النقيض في الحكم من ذلك وقد أشرنا إليه فيما تقدّم وما أظنّ قال أبو يزيد مثل هذا الكلام إلا في وقت حجابه وبداية أمره فإن كل كلام ترْمي به الحقائق وإن كان حقيقة فما يصدر إلا من مبتدٍ ضعيف دَخِيل في الأمر عامّ في غاية العموميّة ولذلك المبتديء يسبّ نفسه ويجعل ذاته وقاية للحقّ عن أن تصيبه سهام المذامّ ورجال الله يعلمون ذلك فإذا صدر مثل هذا من كبير فهو عمل بحكم الموطن وهو من علوّ الحال والرسوخ في المقام وإذا صدر من صغير فهو حاله لا غير فالصورة في الشخصين واحدة والباعث مختلف فما أحسن تعليم الله في قوله عزّ وجلّ ﴿**وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام ١٠٨] فيتعلّق ﴿**بغير علم**﴾ بـ (815) ﴿**تَسُبُّوا**﴾ (816) الأوّل و﴿**يَسُبُّوا**﴾ الثاني فلكل واحد منهما عمل في هذا المجرور فأما عمل الثاني فيه فمعلوم عند الكل بأوّل الفهم وأما عمل الأوّل فيه فمعلوم عند أمثالنا [٢٣٢] لقوله تعالى ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء ٢٣] فما عبد قطّ غير إلاه فلا تسبّوا الذين يدعون من دون الله بغير علم فتسبّوا (817) الله بغير علم كذلك.

(814) ي: إراداتي
(815) ح: ل
(816) ح: يَسُبُّوا
(817) ح: فيَسُبُّوا

وإيّاك أن تسبّ أحدًا إلا حاكيًا أعني تحكي سبّ الله في كتابه لذلك على علمه فيه وكن أنت في ذلك السبّ بجانب فإن الحاكي ما له حكم مَن حكي عنه إلا في الصورة كما قال الشاعر العربي في ذلك

سمعتُ الناسُ يَنتَجِعونَ غَيثاً

فالجملة في موضع النصب فرفع على الحكاية ولو أُعمل هنا سمعت في اللفظ لنصب الناس فالعلماء بالله تعالى أبدًا يحكون لا يتحكّمون والعامّة تتحكّم لا تحكي وهذا [٤٠٨] الرجل كثير السبّ للنفس فإن كان حاكيًا فهذه صفة الكبراء من رجال الله تعالى وإن لم يكن حاكيًا فهو من أهل الحجاب وما حجب الناس إلا عدم الفهم في كلام الله تعالى حيث تلوا ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يوسف ٥٣] والله حاكٍ في هذه الآية قول من قال هذا وهو قول زُلَيْخا أو قول يوسف عليه السلام عند من يرى ذلك فلو علموا من أيّ مقام أمرتْ بالسوء لم يحتجوا بهذه الآية على ذمّ النفس والله تعالى يقول الحقّ وهو يهدي السبيل إليه لمن اختصّه من عباده أهل العناية.

ثم قرن هذا الشيخ وقوفك بين يدي الرسول عليه السلام بوقوفك بين يدي الشيخ [٢٣٣] فقال **وبين يدي الشيخ الذي حكّمه الله عزّ وجلّ في إيجادك** (818) **وإظهارك** (819) **إلى هذا العالم العزيز** يقول يلزمك من الأدب مع (820) الشيخ الذي أرشدك الله به ما لزمك من (821) الأدب مع الرسول عليه السلام.

وقوله **إن الشيخ أوجدك وأظهرك في هذا العالم العزيز** أي بإرشاده وهمّته مع قبولك ظهر لك ما ظهر فكأنه أنشأك نشأة أخرى فإن الإنسان يظهر في كل موطن بصورة غير الصورة التي كانت له في موطن آخر وهذا الموطن ما حصل فيه إلا بما أبان له الشيخ في إرشاده فنسب الإيجاد والإظهار إليه وأما تقييده ما ظهر له بالعالم العزيز ولم يصل بالله لعلمه بأن الله ما له تجلّي لأحد من خلقه من

(818) ح: إيجادي
(819) ح: وإظهاري
(820) ي: في مع
(821) ي: مع

حيث هو لنفسه ولكن يتجلّى من حيث هو لنا فيظهر في التجلّي بصورة من صور العالم وفي أي صورة ظهر فإن تلك الصورة تعزّ أن تدخُل حماها ما كانت مجْلى الحقّ ولا يزال العالم مجْلاً للحقّ إلا أنه لا يُعرف فلهذا تنتهك حرمة تلك الصورة في العامّة الجهلاء والعارف لا ينتهك صورة من العالم لعلمه بأنها (822) صورة الحقّ فلهذا نعته بالعزيز فإن العالم لو كانت له العزة من نفسه ما ظهر الحقّ فيه لامتناعه لذاته عن القبول والأمر هويّة في حكم صورة وصورة في حكم اسم إلهي [٢٣٤] واسم إلهي في حكم هويّة المسمّى لقبولها ذلك الاسم لأنها تحكم بظهوره ولذلك أطلق [٤٠٩] عليها فقيل هو الله الكذا والكذا ك ما ذكر من الأسماء.

ثم قال بعد دعاء كثير وذكر (823) إطراقك فقال **فلا يرفع رأسك إلا الرسول أو الشيخ ومهمي تعرض لرفعه غيرهما فلا تمكنه من نفسك ولا ترفعه أنت بنفسك أصلاً فكن متيقّظاً لذلك** هذه وصيّته (824) وأكّد فيها يقول **بأنك لا تدري ولا يدري غيرهما إلى أين ترفع رأسك** فإن الرفع يختلف بالقصد فمن أراد العلوّ في الأرض هلك ومن أعلاه الله بالمرتبة في الأرض لم يهلك فالرسول أو الشيخ يعلمان أين يرفعان برأسك وفي أيّ وقت وبأيّ صفة وأنت وغيرهما يجهل ذلك.

وأما قوله **وكن متيقّظًا** يريد بما قاله بعد هذا وهو أنه قال **فإذا رفع الرسول عليه السلام رأسك بنفسه أو الشيخ بإذنه عليه السلام فإنك ترى عندك أمرًا هائلاً وقبولاً من تلك الجماعة الحاضرين وسلامًا منهم عليك ويهنئوك بما أنعم الله به عليك فإيّاك إذا رأيت ذلك أن ترى لنفسك قدرًا** يقول تيقّظ مع نفسك عندما ترى عناية الله بك إذا (825) كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتولّى رفع [٢٣٥] رأسك أو يأذن للشيخ في ذلك فمن الوجهين إنما كانت العناية منه عليه السلام فهي بشرى من الله تعالى لك بالمكانة عند الله فإن

(822) ي: أنها
(823) ح: وذكرٍ
(824) ي: وصيّة
(825) ح: إذا

النبي صلّى الله عليه وسلّم ما يفعل مثل ذلك في موطن الكشف والخيال إلا بمعتنى به عند الله عظيم القدر بخلاف الحسّ فإنه لو فعل ذلك في الحسّ ربّما كان مكرًا فاقتضى لصاحب هذا الكشف الموطن أن ذلك الفعل يؤذن بالاعتناء الإلهي به فإنه من اعتنى به الرسول عليه السلام في موطن الكشف فقد اعتنى الله به كما كان في حال التكليف في الحسّ في الدار الدنيا من أطاع الرسول فقد أطاع الله فذلك الاعتناء جزاء هذا الخبر فاعلم ذلك [٤١٠].

ثم قبول مَن حضر في ذلك الموطن الكشفي من الأرواح الظاهرة في الصور الجسديّة وسلامهم عليك وتهنئتهم لك ممّا يؤيّد ويؤكّد أن ذلك من اعتناء الله بك وأنك جنيت في ذلك ثمرة غرسك بإتّباعك للسنّة في حال تكليفك غير أنه أوصاك إذا شاهدت هذه الحال **أن لا ترى لنفسك قدرًا** يقول لا ترى أن ذلك نلته باستحقاق ينبّهك أنه وإن كان ذلك الإعتناء والإنعام بإتّباعك الرسول وتجميل أفعالك فانظر أن تلك الأفعال والإتّباع الذي أنتج لك ذلك إنما كان بعناية الله بك لا بإستحقاق فإن التوفيق من الله تعالى ما يُنال بالاستحقاق إذ لا يجب على الله شيء (826) من ذلك [٢٣٦] فأجر ما أنتجه الأوّل من أمرك مجرى الأوّل ثم إنه وإن كان ذلك الإنعام ثمرة هذا الفعل فهو ثمرة الفعل والعمل لا ثمرتك فالاستحقاق للعمل لا لك غير أنك المتّصف به لأنك تعلم أنك مسلوب العمل وأن العمل لله تعالى بقوله عزّ وجلّ ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافّات ٩٦] فأنت وإن ظهر منك العمل فالعمل خلق لله (827) لا لك فما لك استحقاق عند الله تعالى (828) أوّلاً ولا ثانيًا وهذا كله حظّ من لا علم له بما هو الأمر عليه في نفسه بل هذا هو المعلوم عند خواصّ أهل الله تعالي الموصوفين بالعلم.

وأما خواصّ الخواصّ وهم الراسخون أهل الكشف المحقّق والإطّلاع علي سرّ القدَر فيرون خلاف ما قرّره هذا الشيخ وقرّرناه في شرح هذا الكلام بل ذلك كله عنده ما حصل إلا بالاستحقاق فإنه تعالى أوجب

(826) ح: شيئًا
(827) ي: الله
(828) ي: -

على نفسه ما أوجبه عليه ما تقتضيه تلك الأحوال ولا تكون الأحوال تستحقّ ذلك لعينها لكونها لا تقوم بنفسها وإنما ذلك لمن هي حالته فهو المثني عليه بها فهو يستحقّها أوّلاً في التوفيق بالاستعداد الذي هو عليه في نفسه إذ لولاه لما قبل الموافقة الإلهيّة فيما كلّفه فكان من المتّقين وذلك الاستعداد ما حصل له في الصورة الظاهرة حال التكليف إلا بما كانت عليه الصورة الباطنة في علم الله فهو باطن ظاهر فما زال الأمر عنه وقيل ليس للحقّ فيه حقّ كما [٢٣٧] تقرّر في قوله تعالى (829) ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران ١٢٨] فهذا يقابل هذا [٤١١] وإنما خاطب الصورة الظاهرة بأنه قال عزّ وجلّ ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ في حقّ هؤلاء لوجهين.

الواحد أنما الأمر للصورة الباطنة والوجه (830) الثاني أن الأمر لهم ليس لك والحقيقة تعطي أنه ليس للحقّ حقّ فيما ظهر في الأكوان من الأمور لمن فَهَم الأمر على ما هو عليه وهو له من وجه أنه المتّصف به فقد قبله بتجلّيه فيما ظهر فيه من صور العالم فما قبله إلا بالاستحقاق فالحقّ لله تعالى في ذلك كله ولكن أين هذا الوجه والعلم من الوجه الذي يقول به العلماء رضي الله عنهم من حيث النظر الفكري في هذه المسألة بينهما ما بين النفي والإثبات ولو لا أني أعلم الناطق الذي نطّق هذا الشيخ بهذا الكلام ما شرحتُه بهذا الشرح ولو شرحتُه على قدر علم المنطّق به الذي هو الشيخ لشرحتُه بما هو المقرّر بين أهل الحجاب الذين ﴿**يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ [الرُوم ٧] فكلامنا في مثل هذا وغيره إنما هو كلامنا مع الله عزّ وجلّ الذي أنطق كل شيء فكلامنا معه ولكن أيضًا به لا بأنفسنا فهو المتكلّم مِنّي والسامع منك بحكم الصورتين لا بنفسه.

فالأمر بيني وبينه * إذا تحقّقت عينه

فالكون كوّن كونه * لمن تحقّق كونه

فمن يقول بأين * فالحقّ للكون أينه [٢٣٨]

(829) ي: -

(830) ي: والأمر

إشارة قوله **لا ترى لنفسك قدرًا** لأنك خارج عن المقدار فما ينضبط لصورة تحصرك بل كلّما ظهرت في صورة تلتها (831) صورة غيرها والكل عينك والأمر غير متناهٍ فلا ينضبط ومالا ينضبط لا يأخذه المقدار وكل جاهل رأى لنفسه قدرًا وقف معه وما رأيتُ من العامّة مَن عرف قدر هذا من غير هذا الباب إلا زوجة كانت لي لما أردتُ عقد نكاحها قال لها العاقد ما تحبّ أن يُفرض لكِ من الصداق فقالت أدنى ما يحلّ به النكاح فقال لها العاقد وهو لا يعرف قصدها في ذلك أنت إمرأة جليلة القدر أخت ملك كبير ولا بدّ أن يكون صداقك على قدرك فقالت من يفعل ذلك من له قيمة وعزّة في نفسه المرأة إذا عيّنتْ فوق ما يحلّ به النكاح فقد صرّحتْ بقدرها عندها ونفسي. والله أعلم عندي [٤١٢] أعلى من أن تكون في مقابلة قدرها الدنيا والآخرة فما أنا قليلة عند نفسي. فإذا لم يكن في صداقي إلا ما يحلّ به النكاح يعلم قطعًا أن ذلك ليس قدري وإنما قصدتُ الإحلال فيبقى قدري مجهولاً فتعجّب العاقد والفقهاء من شرف همّتها وكذلك قالت لي شِفاهًا مثل ما أسمعتم فهذه إمرأة من العامّة قد هبّت عليها نفحة إلهيّة وجوديّة ممّا هو الأمر عليه في نفسه ولا تشعر بقدر ما نطقت به فإنها نطقت عن نفس عزيزة كبيرة عند نفسها [٢٣٩] ما نطقت به عن علم بالوجه الذي يذكره أمثالنا في مثل هذه المسألة فأوصاه هذا الشيخ أن لا يرى لنفسه قدرًا وفي نفس هذا الموصى لحقارته وذلّه وصغاره وفي حقّ من نطّقه بذلك لعلوّ شأنه وعزة الأمر في نفسه فكثير بين القصدين.

ثم قال بعد قوله **لا ترى لنفسك قدرًا** قال **وانظر إلى حالك وما أُهّلت له واستصغر نفسك لذلك الأمر** وهذا أيضًا ممّا نطق به ولا يعرف ما قال ولهذا أفسده بما تمّمه فقال **وانظر إلى حالك** يعني في حالك فكّر فيه **وما أُهّلت له** وإذا نظر في حاله وما أهّل له فما أعطاه الله عزّ وجلّ إلا ما استحقّته الأهليّة فإنه حكيم يضع الأشياء موضعها (832) فإذا استصغر نفسه لذلك الأمر فقد وضع الحكيم الشيء في غير محلّه وليس الأمر كذلك بل المنعَم لو لم يكن فيه

(831)ح: تليها

(832) ي: مواضعها

أهليّة لقبول النعمة ما قبلها ألا ترى الجُعَل يضرّ به ريح الورد مع طيبه لأنه ليس فيه أهليّة لذلك ولا هو على مزاج يقتضي له النعيم بتلك الرائحة وكذا كل منعَم ومعذَّب ما نعّمه ولا عذّبه إلا حقيقة ما هو عليه فمن استصغر نفسه فيما أنعم به عليه فقد جهّل واضع تلك النعمة حيث وضعها في غير محلّها فإنه [٢٤٠] ما قبلها إلا وقد وسعها فما يصغر عنها ولا وضعها المنعِم فيه إلا وهو يحوي عليها وربّما يزيد لقبوله نعمة أخرى تأتيه من الله تعالى والعالم كله منطق بما يعرف (833) قدره وما لا يعرف فكلامنا وشرحنا إنما هو لكلام الله العالم بما نطق به هذا الشخص ولا تعتبره إلا في مواطن نزولنا عن الحقائق [٢٤١] إلى المعهود في عُرف العلماء وما تعطيه قوّتهم فقد نمشي في ذلك لفهم السامع ووقاية في الحال بقول الله تعالى ﴿**إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ [آل عمران ٢٨] فأباح لنا مثل هذا فإذا ارتفع الموجب ارتفع الوجوب ومن هذا الباب كان يحبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الفأل وإن كان الناطق به لا يقصد ما أخذه صاحب الفأل وهو مقصود للحقّ الذي أنطقه في حقّ صاحب الفأل فله وجهان وجه لقصد المنطق به اسم مفعول ووجه لقصد المنطق به اسم فاعل في حقّ صاحب الفأل الحسن فانظر في هذا والله أعلم.

ثم قال رحمه الله ورضي عنه **وإن وجدت في نفسك نهْضة** (834) **فقم واذكر الله عزّ وجلّ بما هو أهله واثنِ عليه بما يفتح الله به** (835) **عليك ثم صلّ على النبي صلّى الله عليه وسلّم وادع للشيخ ولمن أمرك بالدعاء له فيما تقدم** يقول رضي الله عنه [٢٤١] انه (836) من الأحوال ما إذا وردت على الإنسان خَدرت جوارحه وأضعفته عن الحركة بجميع أعضائه لسريان قوّة الحال فيه فإن الله تعالى أعطى الأحوال وأعطى في العبد قوّة فلا يخلو الحال الوارد على صاحبه من أحد ثلاثة أحوال بالنسبة إلى قوّة مَن ورد عليه وهو ان يكون وارد الحال موازنا لقوّة من ورد عليه أو دون ذلك أو فوقه وما ثَم قسم رابع فإن كان مثله خرج سواء بسواء فصاحبه صاحب اعتدال كما لا يحكم

(833) ح: تعرف
(834) ح: تهْضة
(835) ي: -

عليه الحال بظهوره كذلك لا يحكم على الحال في تصريفه وإن كان الوارد أقوى أخدر الجوارح وأضعف الحواسّ فيقول زمّلوني دثّروني وإن كان الوارد الحالي دون القوّة التي في المحلّ صرّف حالَه كيف يشاء ووجد القوّة والنهضة في جسمه فلذلك قال **إن وجدت نهضة** يقول الحال دون قوّتك فلتنهض (837) عند ذلك بذكر الله عزّ وجلّ والثناء عليه بما هو أهله وأراد بالذكر هاهنا ذكر الشكر لأنك صاحب نعمة بهذا الحال.

وقوله **ثم تصلّى على النبي صلّى الله عليه وسلّم** يقول لك لا تغفل في ذلك الحال أن تعلم ما أنتجه وانت من اهل الله فما انتجه إلا اتّباع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [٤١٤] فتصلّي على النبي صلّى الله عليه وسلّم شكرًا لكون الله هداك به إلى ما آنت عليه.

وأما الدعاء للشيخ فلكونه هو الذي [٢٤٢] دلّك وابان لك إذ (838) كان الرسول قد مات ودرج وأما الدعاء لإخوانك فلكونهم أعوانك على ما أنت عليه وأما غيرهم من أهل الله فلكون همّتهم متعلّقة إلى الله عزّ وجلّ في توفيق عباده وأنت من عباده فتعيّن عليك أن تدعو لهم.

ثم قال رضي الله عنه في مثل هذا المجلس **فإن علِم النبي** (839) **صلّى الله عليه وسلّم من كلامك أن الله عزّ وجلّ قد فتح عليك في الكلام فربّما أشار إليك أن تتكلّم احترامًا لك عند الحاضرين فبادر إلى الوقوف بين يديه** يقول إن بعض الناس قد يفتح له (840) في العبارة وهو يسمّى في الطريق فتوح العبارة فيأمرك صلّى الله عليه وسلّم بالكلام وهو ما يجده صاحب الحال من العبارة عنه في نفسه فإن غلب عليه نطق مغلوبًا فلو أراد السكوت ما قدر على ذلك والمغلوب عليه ينطق بما يدري وما لا يدري ليصل ذلك إلى الحاضرين أو لسامع يصل إليه في المستأنف فينتفع به فيكون منطقًا بذلك في حقّ من انتفع به إذا بلغه ولو بعد ألف سنة وإن عرف قدر ما ينطق به فهو المتكلّم والسامع فينطق عن بصيرة وهو الأتمّ وإن لم

(837) ح: فلينهض
(838) ح: إذا
(839) ح: -
(840) ح: الله

يكن مغلوبًا عليه وكان متمكّنًا من النطق أو السكوت فلينظر فيما يجده في نفسه [٢٤٣] من العلم فإن احتمله المجلس نطق به وإن لم يحتمله المجلس لم ينطق به وكتبه ليثبته إلى وقت آخر يأتي إليه أهله فيقرّره فينتفع به فلا بدّ من إيصاله إما باللفظ وإما بالكتاب وإن لم يجد الباعث لذلك فيعلم أنه ما أريد منه إظهار شيء من ذلك إلا لنفسه فيعمل بمقتضى ما عنده وإذا حقّق النظر في ذلك لم يجده إلا هكذا فإن التأخير في البيان عند الحاجة لا يجوز هذا حكم الله عزّ وجلّ في الأمور فصاحب الكتم بيانه لنفسه فإن كتب فلغيره ممّن ليس بحاضر وإن نطق فللحاضر والغائب معًا ولنفسه.

فأمَره إذا وجد قوّة الكلام والتبليغ وهو في ذلك الشهود حالاً أو في خياله كقوله «**اعبد الله كأنك تراه**» وهو [٤١٥] استحضار لا حضور فإن معاملة العبد ربّه في الاستحضار مثل معاملته في الحضور سواء فلا تغفل عن هذا وهو إذا تكلّم في الحضور يقف بين يديه فكذلك يقف في الاستحضار ومعنى يقف بين يديه أي لا يتكلّف فوق ما يجده ويقف عنده من غير مزيد فإنه يخاف على المتكلّف أن يكون كلامه فتنة بخلاف من لا يتكلّف في ذلك فالزائد على الحاجة في الوقت تكلّف وكن في وقوفك وإبلاغك بحسب ما يعطيه حال الوقت وما تراه من إشارة مَن أمَرك بالكلام ولا تزد على ذلك وأنت أعلم بالحال لأنك صاحب المجلس فلا أعيّن لك حالاً من حال إلا الحال العامّ وهو الأدب [٢٤٤] مع الآمر الذي أنت بين يديه والوقوف عند مراسمه ولا تزده على ما تجده من صدرك من العلم الذي تريد تبليغه وما تعرف الزائد من الناقص من المعتدل في ذلك إلا بالفكر فهو ميزانك فإذا وجدت الكلام يدفع بعضه بعضًا منك فتكلّم ما دام معك هذا الوصف فإن توقّف عنك الأمر نفسًا واحدًا بحيث أن ترجع إلى فكرك لترى ما يليق بذلك المجلس فتبرزه في العبارة فذلك تكلُّف فلا تفعل ولا تتكلّم إلا من غير فكرة ولا رؤية في ذلك وتسكت حيث ينتهي بك الإمداد الإلهي.

واحذر من الفكر ما استطعت فإنه لا شيء أضرّ على اهل (841) الله عزّ وجلّ من الأفكار وهو ما زاد على الخاطر الأوّل والثاني أبدًا فكري

(841) ح: -

فإيّاك أن تنطق به ولو كان حقّا فإنه فتنة والناطق في هذا الطريق إنما ينطق بالجبر لا بالاختيار ولهذا قيل للرسول ﴿**بَلِّغْ**﴾ فأُمر والأمر عين الجبر حتى قيل له في التأكيد ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة ٦٧] فقال لسان الحال أخاف الناس فقيل له ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة ٦٧] وعصمته لأوليائه فيما ينطقون به من مثل هذه الحقائق أن لا يرون الحاضرون الفهم عنه في ذلك فإن حفظوا لفظه فيقولون هذا هذيان من القول وقشر لا حقيقة له لأنه لا يدخل تحت ميزان عقولهم [٤١٦] فإذا أراد الله عزّ وجلّ نفْع قوم بذلك نطّق المنكر الجاهل بذلك اللفظ الذي [٢٤٥] جاء به هذا الولي على جهة الهُزئة وحكاية قشره ليذمّه بذلك عند السامع فأخذ السامع روح ما جاء به وهو لا يشعر ففي حقّ ذلك السامع حفظ على هذا الجاهل ما سمعه من ولي الله تعالى وقد أشار إلى ذلك وقد شاهدنا هذا كثيرًا من نفوسنا إلى الآن.والله أعلم.

ثم قال رحمه الله ورضي عنه بعد دعاء طويل **فإن تكلّمت فاعلم أن الله عزّ وجلّ قد ألهمك من عنده** يقول ما قال الله تعالى عن الخضر ﴿**آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً**﴾ [الكهف ٦٥] وقال ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾ [القصص ٧] وكان إلهامًا وفقت له وكذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ [النحل ٦٨] وكذلك (842) قوله تعالى ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا**﴾ أنه فجور ﴿**وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس ٨] أنه تقوى فميزت بهذا الإلهام بين الفجور والتقوى فاعلم ذلك.

ثم قال بعد ذلك هذا الشيخ رحمه الله يصف ما عنده وما شاهده من حاله في سرّه فقال **ثم أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم لمن هذه حاله بسرير يجلس عليه** يقول عيّن له رتبة خاصّة كُني عنها بالسرير وأظهرها في عالم المثال حضرة الخيال سريرًا كما أظهر [٢٤٦] العلم في صورة اللبن فما أراد إلا تعيين الرتبة فلينظر ولي الله في تلك الرتبة وما تستحقّه وما يكون عنها ولا يخرج من الكلام إلا بقدر تلك المنزلة ويسكت عمّا بقي عنده إن كان عنده ما يزيد على ذلك فإن

(842) ي: ولذلك

العبد إذا وُضِع له سرير الكلام لا يكون عنده أنقص ممّا يستحقّه ذلك السرير بل يكون عنده من العلم ما يساويه أو يفضل عنه لا ما ينزل عنه وليلزم من الأدب في التبليغ ما قرّره في وصيّته ممّا شرحناه قبل هذا فإنه تكرّر في وصيّته ذلك في كل مقام يتكلّم فيه وإن كانت الآداب تتنوّع بالصورة الواحدة بحسب المجالس فلا يتمكّن لنا الكلام والإبانة عنها لأنه ما ذكر في كلامه ما يتكلّم به فلو ذكر لشرحنا من آداب ذلك الذي يطلبه الكلام المعيّن ما يمكن شرحه فلما سكت سكتنا ولو كان الأمر في ذلك محصورا لعيّنّاه بجهة الحصر. فلما كان الأمر لا ينحصر في ذلك لم يمكّن لنا أن نعدل إلى وجه دون وجه لأنّا [٤١٧] لا نعلم ما يتكلّم به في ذلك المجلس المعيّن فلو عيّن المجلس ربّما تعيّن الكلام فتعيّن الأدب الذي يليق بذلك المجلس الذي يطلب ذلك الكلام المعيّن ففي هذا الفصل في كلام هذا الرجل حشو كثير وتكرار بخلاف كلامه الأوّل غير أنه زاد في هذه الوصيّة أمره إيّاك بتقبيل قدم النبي صلّى الله عليه وسلّم في ذلك المجلس إشارة لك لكونه يسعى عليها إلى أن وصل إليك ومعلوم [٢٤٧] أنك دونه فكان سعيه نزول من أعلى إلى أدنى فهي قدم ظاهرة نزلت من قدس أعلى مستوى أزهى إلى سماء دنيا بصفة مُثْلى متعلّقة بآخرة و (843) أولى فما ذكر من الأدب إلا تقبيل (844) القدم.

ثم قال في صفة ذلك السرير وما يكون حالك معه **فإن كان له** يعني للسرير **درجة واحدة** (845) **فاجعل يدك عليها ولا تصعد فيها وإن كان** (846) **له درجتان وأكثر من ذَيْنِك** (847) **فاصعد إلى الأولى** (848) **فحسب** ينبّهك بالدرجة الواحدة على الاسم الجامع ولا تصعد فيها بقدمك فإن الاسم الإلهي الجامع لا يتمكّن لأحد أن يُقام فيه كما لا يتمكّن أن يُسأل به مطلقًا فإنه جامع الأضداد فكلما أراد أمرًا قام المقابل فتبعه فلا يكون عنه كون أصلاً فلذلك منع أن يدعى به من حيث هو فإن

(843) ح: أو
(844) ح: تقبّل
(845) ح: واحد
(846) ح: كانت
(847) ح: دينك
(848) ح: الأول

كان للسرير (849) درجتان وأكثر وهو ما ظهر من الأسماء الإلهيّة فإنه ما بأيدينا اليوم من الأسماء سوى التي (850) جاء بها نصّ الشارع وهي مائة إلا واحدًا من أجل الوتريّة والاسم الجامع هو المائة من حيث جمعيّته خاصّة فما زاد على عين كل اسم فهو عين المجموع فكذلك هي تسعة وتسعون لا غير في حال تمييز أو اجتماع فاعلم ذلك.

وأما أمره لك [٢٤٨] بالاقتصار على الدرجة الأولى فهو (851) ما قال ابن قسي- أن كل اسم من الأسماء الإلهيّة مسمّى بكل اسم من الأسماء الإلهيّة فأغنى كل واحد منها عن الجميع وما وجدت إلا أوّل درجة فما عندك فراغ عنها لترق إلى الثانية فما زاد فإن الثانية فما (852) زاد في عين الأوّل بل ذلك كالعلم بتوحيد الله تعالى من [٤١٨] طريق العدّة فالواحد أغنى عن الجميع لأن الجميع ما ظهر إلا بالواحد وما زال إلا بإزالة الواحد فعين ما به (853) ثبت عين ما به (854) انتفى منها فبالواحد ظهرت مراتب الأعداد فافهم ذلك فقد قال به جماعة يعتبر قولهم في العلم بالله عزّ وجلّ وإن تفاضلت الطرق لكنّها بالجملة طريق منها فإن أشار (855) هذا الناطق بالاقتصار على الدرجة الواحدة إلى المراتب فليس لمراتب الاختصاص سوى ثلاث درجات ولاية ونبوّة ورسالة والإيمان من الولاية لأنه من اعتبر الإيمان مرتبة واحدة لاشتراك العامّة فيها جعلها أربع درجات والصحيح ثلاثة فأوّل درج الولاية فلذلك أمرك أن لا تتعدّاها فإنك إن تعدّيتها ادّعيت نبوّة التشريع ورسالته وقد حجر ذلك فما بقي إلا الولاية وهي الدرج الأوّل فلا تتعدّاه فإنه تَخَطٍّ فيما لا قدم لك فيه فيخاف عليك فتتكلّم (856) من ولايتك لا تتكلّم في حال نبي مشرّع ولا رسول وهذا تنبيه منه عجيب

(849) ح: لسرير
(850) ي: الذي
(851) ي: فهي
(852) ح: وما
(853) ح، ي، ظ؛ ج، ب: مائة
(854) ح، ي، ظ؛ ج، ب: مائة
(855) ي: إشارة
(856) ح: فتكلّم

نطق به فإن كان عن شعور منه [٢٤٩] فهو ذائقه وإن كان عن غير شعور منه فقد أدّى الأمانة إلى أهلها فله جزاء الأداء والله أعلم.

ثم قال رحمه الله **فإذا فرغت من هذا المجلس** (857) **فوجدت في مزاجك تغيّرا وفي جسدك فلا تصنع له دواء ولا تشكو ذلك إلى أحد وكذلك كل ما يصيبك في نفسك وأهلك وأولادك وجميع ما يتعلّق** (858) **بك ولا تنزعج لذلك وقرّر مع نفسك أن نفسك عندك عارية فأحرى ما خرج عنها** (859) **والعارية مردودة والله أعلم** يأمرك في هذه الوصيّة بالتسليم لأمر الله ويدلّك على الأصل الذي منه ظهر كل ما وقعت فيه الدعاوى بالملك فكأنه يوصيك بترك الفضول فإنه من تصرّف فيما لا يملك فإنه صاحب فضول أي زيادة على ما يملكه من التصرّف ولذلك يوقف تصرّف الفضولي في شرائه وبيعه على صاحب الرجل فإن أمضاه مضا فهو وإن تصرّف فالأمر فيه متوقّف على إذن المالك وبهذا القدر يتصرّف الإنسان في نفسه وماله (860) بيده فهو الفضولي [٤١٩] وصاحب الملك هو الشارع فما أجاز من [٢٥٠] ذلك فهو ذاك (861) وما منع فهو ذاك.

واختلف أصحابنا فيمن أصيب بشيء من ذلك في نفسه وما يملك من أهل ومال وولد هل يرفع ذلك إلى الله عزّ وجلّ أم لا فمنهم من منع من باب التسليم والتفويض ومنهم من أجاز رفع ذلك إلى الله عزّ وجلّ كأيّوب وذا النون وغيرهما وجعل من الأدب رجوع ذلك إلى الله عزّ وجلّ (862) كما قال العارف إنما جوّعني لأبكي وأنه من لا يرفع إلى الله عزّ وجلّ ذلك ويسأله في رفعه عنه فقد أساء الأدب حيث قاوي بصبره (863) القهر الإلهي وليس له ذلك فمن كان ذوقه هذا وجب عليه الرفع والشكوى إلى الله عزّ وجلّ لا إلى غيره إثباتا لخلوص العبوديّة له تعالى.

---

(857) ح: + الذي ذكرناه
(858) ي: تعلّق
(859) ي: عنك عنها
(860) ح: وما
(861) ح: ذلك
(862) ح: تعالى
(863) ح: بصره

ومن كان مشهوده التفرّج في التصريف الإلهي في الملك ولم يخطر له مقاواة القهر الإلهي فليس له أن يرفع إلى الله عزّ وجلّ ولا يسأله في دفع (864) ذلك وكشفه عنه فهو بحسب ما يقام فيه فقد يقام العبد أيضًا في غير هذين المقامين وهو أن يقام في عبوديّته ووجود نفسه فهذا يسأل ويتضرّع في رفع ما أصابه عنه إلى الله عزّ وجلّ (865) لا إلى غيره فإن (866) أقيم في أنه مجْلى للحقّ وأن الحقّ عين ما ظهر فليصبر فما قاواه إلا عينه لأن العبد ليس ثَم وقد يقام أيضًا في شكوى الحقّ لعباده وتعريفه إيّاهم ما أوذي به ليذبّوا عنه ويدفعوا لما (867) لهم في ذلك من الخير فيقتدي بربّه في ذلك [٢٥١] فيرفع هو أيضًا إليه ما نزل به [ويرفع به] (868) ذلك عنه كما دفع الله تعالى عن نفسه ما أُوذي به بعباده المؤمنين فإنه قد ورد «**ما أحد أصبر على أذى من الله** (869)» ومع هذا فقد عرفنا أنه يؤذى وما عرفنا إلا لندفع (870) عنه.

ومنهم أن يقام في أن الأذى المنسوب إلى الله عزّ وجلّ أنه أُوذي به إنما كان ذلك لعين المجْلى لا لعين من تجلّى فيه (871) ومنهم من يقام في شهود ما أوذي به أنه ليس بزائد على عينه فإن شكواه لا يرفع عنه ما هو له فإن الشيء لا يزول عن حقيقته فلا تنفعه شفاعة الشافعين ﴿**فما لهم عن التذكرة معرضين**﴾ [المدثر ٤٩] فهم كما قال الله [٤٢٠] عزّ وجلّ ﴿**حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**﴾ [المدثر ٥٠-٥١] فما هو حيوان فرّ من حيوان فإن الشيء لا يفرّ عن نفسه وإنما هو حمار فرّ من أسد أو حيوان بحياة خاصّة فرّ من حيوان بحياة خاصّة فعيّنها التخصيص فما الفارّ عين من فرّ منه فالمقامات التي يقام فيها أهل الله تعالى في مثل هذا كثير ومنها عالٍ وأعلى ما ثَم دون أصلاً فليعمل الإنسان بحسب ما يقام فيه لا يتكلّف غير ذلك.

---

(864) ي: -
(865) ح: -
(866) ح: وإن
(867) ح: وإن
(868) ي: -
(869) ح: + تعالى
(870) ح: ليندفع
(871) ح: -

ثم قال **وإيّاك أن يصيبك أمر من** (872) **الأمور فيخطر لك الموت لأجل ذلك ببالك بل كن مع الله عزّ وجلّ فيما يقلبك فيه** يقول ما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «**لا يتمنّينّ أحدكم الموت لضرّ نزل به** [٢٥٢] **ولكن ليقُل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وأمتني إذا كان الممات خيرًا لي وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**» فإن ذلك ما يكون إلا من ضجر وعدم احتمال ومِن شرط أهل الله تعالى بل من شروط الإيمان السكون تحت مجاري الأقدار ثم إن تمنّى الشخص الموت لما أصابه ما ذاك إلا لتخيّله أن ذلك الذي أصابه وأضرّ به يزول بالموت (873) وما يعلم هل يُسَيَّر (874) بعد الموت إلى ما هو أشدّ ممّا أصابه أم لا فلهذا نهى عن تمنّي الموت لما أصابه فإن الموت قاطع وما دام الإنسان في حياة التكليف فلا يخلو إذا كان مؤمنًا عن خير يقتنيه في كل ما يصيبه من بلاء الدنيا وسواءً أسخطه ذلك أو أرضاه فإن الله تعالى قد ذكر أن العبد يسخط ربّه عليه بفعله فالعبد أولى بهذه الصفة وما هو لله صفة (875) فإن العبد لا يؤاخذه الله بها فهو سبحانه يتجاوز عن المتسخّطين بما يكون من الله فيهم ممّا لا يوافق أغراضهم فإن الأغراض من العبد كالأمور المشروعة من الله سواء.

والحال الحال فلا تجزع من أمر تسخط (876) منه بل مع سخطك اسأل الله عزّ وجلّ رفع ذلك الأمر الذي أسخطك عنك فإن السخط للنفوس الروحانيّة كالأوجاع المحسوسة للروح الحيواني وليس إلا [٤٢١] عدم موافقة الأغراض كما أن الأوجاع عدم ملائمة المزاج فإن علمت أن الله تعالى يؤاخذك على هذه الآلام [٢٥٣] النفسيّة مثل السخط والضجر فاعلم أن ذلك مؤاخذة تعريف لا أخذ عقوبة فإن العقوبة لا تكون إلا فيما أنت متمكّن من طرحه عنك وأما ما هو خارج عن مقدورك فإن الله تعالى في أخذه معرِّف لا معاقب فيعاقب في المصارف لا في نفس الصفة فإنها صفته وأنت قادر على المصارف

(872) ي: مع، وفي الهامش: من
(873) ي: نزول الموت، وفي الهامش: يزول بالموت
(874) ي: يصير
(875) ح: صفة لله
(876) ح: تتسخّط

فمن هنا تكون العقوبة فإن حضرت فيما أنت فيه ساخط مع حقيقة ما أنت عليه من جانب الحقّ هان عليك الأمر ولم تؤاخذ به أخذ عقوبة.

وقوله **كن مع الله عزّ وجلّ فيما يقلبك فيه** فاعلم أنه ما يقلبك إلا فيما تقبله فلو لم يكن فيك حقيقة القبول ما قلبك فيه ومعنى قوله **مع الله عزّ وجلّ** فجاء بأداة المصاحبة لكون الأمر بينك وبينه فمنه التأثير (877) وهو ما نزل بك ومنك القبول فكما (878) لا يرجع على نفسه فيما (879) أنزله بك كذلك (880) لا يرجع عليك في سخطك لذلك فإنك بالطبع النفسي تدفعه كما هو بالذات ينزله وهنا مزلّة قدم لمن لا علم له بأسرار الحقّ في عباده أي في المتسمّين عبادًا

فما ثَم إلا الحقّ والعبد ليس ثَم * وما ثَم إلا العبد والحقّ يحتكم

وقد لاح للأبصار ما جئتها به * فمن شاء فليرحل ومن شاء فليقم

فلا تأخذ الألفاظ زورًا فإنها * لباس المعاني فلتقل عندها نعم [٢٥٤]

فكن ربّ إقدام عليها ولا تكن * جبان فتعمى عنك فاثبت ولا ترم

ثم قال **فإن أشير إليك في الأخذ عنك فتأدّب واعترف بالتقصير** يقول إن أقامك الحقّ في مقام الاقتداء بك والتأسّي ليأخذ عنك الغير فتأدّب يقول فاعرف ما يقتدى به منك فتعلم أنه ليس لك بل ذلك لمن أعطاك إيّاه وإعترافك بالتقصير هو أن تقول لنفسك أنها تقصر عن ذلك وإن كان لها القبول فلولا الوهب الإلهي ما كان لك ما تقبله فالنعمة من الله فهذا معنى الإعتراف بالتقصير فإن الطريق كله علم لا غير فلا يشغلك [٤٢٢] الإقتداء بك عمّا خُلقت له ممّا نبّهتك عليه فإنه ما نصبك أسوة حتى خلع عليك خلع العصمة والحفظ فاشتغل أنت بما يخصّك بينك وبينه وما يفعله فالمقتفي يرقبه لا أنت فلا تزهو بنفسك في هذا المقام إلا أن يكون زهوٌ بربّك فإنه قد نُقل في المناجاة عن الله «بي» فافتخر بقول الله تعالى لعبده.

(877) ي: التأثر
(878) ي: كما
(879) ح: فَما
(880) ي: لذلك

رُؤي عُتبة الغلام يخطر في مشيته فقيل له ما هذا الزهو الذي بدا منك فقال كيف لا يحقّ لي ذلك وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبدًا فهو يتيهُ على عبيد أهوائهم بخلوص عبوديّته من رقّ الأهواء إلى الله عزّ وجلّ فما زهى إلا بعد التخلّص من ذلك وتحرير الملك لله عزّ وجلّ.

ثم قال رضي الله عنه **فإن عرض عليك ما تتناوله** [٢٥٥] **فخذ من ذلك اللبن فحسب ولا تتناول ذلك إلا بأدب** هذا ما أعطاه حاله بل ينبغي لك أن تتناول كل مشروب تُعطى من جانب الحقّ ممّا يكون غِذاءً أو دواءً وما ثم إلا غِذاء أو دواء وكل دواء غذاء لمن فهم لأن الغذاء يدفع به ألم الطبيعة نفسًا وحسًا ولو شرب ذلك على وجه الالتذاذ به فلا يزول عن (881) كونه دواء وما جعله يقتصر على اللبن في وصيّته إلا حديث الإسراء النبوي والرؤيا النبويّة وتأويله تلك بالعلم وفي بعض الروايات «**لو شربت خمر غوت أمتك**».

واعلم أن الشاربين عامّة وخاصة والتأويل في حقّ العوامّ غير التأويل في حقّ أهل الله عزّ وجلّ فإن الأحوال تختلف فشرب الخمر في العامّة في المنام رديء وفي أهل الله علم الأحوال والماء علم المعاني المجرّدة عن الألفاظ واللبن علم العبارات والعسل علم الإلهام وهو ضرب من ضروب الوحي وأما إن عرض عليك ذلك في الحسّ فإن كنت من أهل الكشف والإطّلاع فانظر من أي حضرة عرض عليك ذلك المشروب فإن كان عرض عليك من حضرة الحسّ فقدم اللبن على مذهب القوم ثم العسل ممزوجًا بالماء وكذلك اللبن امزجْه بالماء وإن مزجتَه بالعسل فحسن واجتنب الخمر جملة واحدة من أجل الموطن [٤٢٣] الذي منه كان العرض [٢٥٦] فإن الله تعالى حرّم الخمر في موطن الحسّ.

وإن عرض عليك ذلك في الحسّ من حضرة الخيال فإن أهل الكشف والإطّلاع يرون في اليقظة ما يراه النائم في نومه فاعلم أن الخمر ما حرّمها (882) الله عزّ وجلّ في النوم أعني في حضرة الخيال ولا في الدار الآخرة التي هي الحيوان فاشربْها في الحسّ إن كانت من هذه الحضرة

(881) ي: عنه

(882) ح: حرّمه

الخياليّة كما أمرتُك أن تشربها في النوم في الرؤيا فإنك تجد أثر علم الأحوال عند شربها فهو علم حال تجسّد لك في صورة خمر ومهما شربتَ شيئًا من هذه المشروبات وطعمتَها فإن كان من حضرة الحسّ فقل اللهم بارك لنا فيها وأطعمنا خيرًا منها إلا في اللبن فقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وإن كان من حضرة الخيال في اليقظة فقل في كل ذلك وزدنا منه كما قلت في اللبن الذي هو من حضرة الحسّ وهكذا في (883) كل ما يعرض عليك من الأطعمة تحقّق من أي حضرة جيء إليك به فعامله بحسب الحضرة التي جاء منها بما أنت عليه وهذا معنى قوله رحمه الله في وصيّته أن يتناول ذلك بأدب فإن الأدب في ذلك أن تعمل فيه ما يستحقّه فتعطي كل ذي حقّ حقّه من الحال التي أنت (884) عليها فإنك من المنتمين إلى الله عزّ وجلّ لست من عامّة الناس فإن الحقّ ما يطلبك إلا من مقامك فرُبّ حسنة من غيرك يكون في حقّك لو جئت بها سيئة [٢٥٧] لعلوّ مرتبتك وكذا قال القوم حسنات الأبرار سيئات المقرّبين.

فإن المقرّب يشرب خالصًا من عين التسنيم التي لا يشرب منها الأبرار إلا حتى تمزج بالرحيق المختوم من أجلهم فلا يدركونه خالصًا كما يدركه المقرّبون قال الله تعالى في حقّ الأبرار ﴿**يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ [المطففين ٢٥-٢٦] يشير إلى أنهم من أهل الأنفاس فما أخرجهم عن مقتضى الطبيعة ثم تمّم فقال ﴿**وَمِزَاجُهُ**﴾ يعني مزاج ذلك الرحيق ﴿**مِن تَسْنِيمٍ**﴾ [المطففين ٢٧] أي من ماء عالي المنزلة والرتبة عليه ثم فسّر التسنيم فقال ﴿**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [المطففين ٢٨] فجعل الشرب من هذا العين خالصًا للمقرّبين ومنه مزج رحيق الأبرار لأنهم [٤٢٤] مزجوا الطبيعة بالحقّ فبقوا (885) على نشأتهم من جميع الوجوه أعني من نشأتهم الروحيّة والجسميّة فإنهم إلهيّون فهم أهل إضافة والمتضائِفان لا ينفكّ أحدهما عن صاحبه الذي أضيف إليه.

---

(883) ي: -

(884) ي: -

(885) ح: فبقووا

وأما المقرّبون وإن كانوا الإلهيّين فمن حيث المسمّى لا من حيث المرتبة فينفصلون عن حقيقة المزج والإضافة فهم ناظرون في قوله تعالى ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ**﴾ [آل عمران ٩٧] فانفردوا فخلص لهم عين التسنيم فلم يشربوه ممزوجًا فإن الله تعالى قد جعل لكل مقام أهلاً ورفع بعضهم على بعض درجات فالمقرّب لا يدركه البارُّ أبدًا فكل مقرّب قد كان بارًّا وما كل بارّ [٢٥٨] أدرك أو جِيز به إلى مقام القرب فللمقرّب الكمال وعموم المراتب فإذا شرب ممزوجًا فمن حيث كان بارًّا لا من كونه مقرّبًا فإذا شرب خالصًا من المزج فمن كونه مقرّبًا ممّا لا ذوق للأبرار فيه فاقتصر. هذا الناطق في وصيّته على ما ذكرناه وما فصل إتّكالاً منه على فهم السامع الكامل الذي الحقّ سمعه كما كان الحقّ لسان هذا الناطق سواء ولهذا لما وصل إلينا ما نطق به شرحْناه على قدر علم الناطق سواءً ففصلنا مجمله فإن كان هذا المحلّ الذي ظهر منه هذا الناطق من أهل الجمع والوجود فقد وافقنا مقصوده في الشرح وإن لم يكن وكان صاحب حال منطقًا بما يدري وما لا يدري فقد وفينا مقام الناطق منه والنطق حقه حتى لم نبق منه شيئًا والله أعلم.

ثم قال **وإن دفع إليك ملبوسًا فلا تتناوله أصلاً** ثم علّل ولو سكت لكان خيرًا له فقال **فإن السفر طويل فيقتضي التخفيف** فلنقل في شرح ذلك ما ينبغي أعني في شرح الملبوس وندرج (886) فيه قصد هذا الشيخ فتحصل الفائدة للسامعين.

فاعلم أن الملبوس ملبوسان لباس تقوى ولباس زينة فلباس التقوى هو الغرض وهو ما تتقي به ضرر جسمك أو روحك هذا معنى لباس التقوى [٢٥٩] وتتقي به ظهور عورتك وهو خير لباس لأنه لباس فرض وأما لباس الزينة وهو الريش وهو لباس التجمّل وله من الله محبّة خاصّة ولباس الزينة على أقسام فمن ذلك ما هو فرض بالنصّ وله موطن خاصّ مع كونه زينة وموطنه [٤٢٥] حال مناجاة الحقّ والوقوف بين يديه وتلك زينة الله والأمر بها قوله ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ** (887)﴾ فأمر وأمره واجب ﴿**عند كل مسجد**﴾ [الأعراف ٣١] فذكر

(886) ح: ويدرج
(887) ي: + عند كل مسجد

الحال والموطن الذي يقتضي. التجمّل فيه لله تعالى بزينته فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لنا في الحقّ أنه أحقّ من تجمّل له وقال في الخبر الصحيح نقلاً وكشفًا للرجل الذي قال له يا رسول (888) إني أحبّ أن يكون نعلي حسنًا وثوبي حسنًا فخاف أن يكون ذلك من البطر فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «**إن الله جميل يحبّ الجمال**» فجعل للجمال حبّا إلهيًا لا يحصله إلا من أخذ زينة الله عند كل مسجد فمن كان على صلاته دائمًا في عموم أحواله فتكون الزينة عليه لا تبرح وهو من ﴿**الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ [المعارج ٢٣] في عموم أحوالهم بخلاف من ليس له هذه الحال ويجعل ذلك في حال الصلاة المشروعة خاصّة فهم في وقت دون وقت وهؤلاء في عموم الأوقات يناجون الله فهم في صلاة دائمة وإن اختلفت مشاربهم فيها فإن إختلاف المشارب أيضًا [٢٦٠] موجود في الصلاة المعهودة المعلومة فذوق الوقوف فيها غير ذوق الركوع غير ذوق الرفع من الركوع غير ذوق القيام من الركوع والسجود غير ذوق السجود الأول غير ذوق الرفع من السجود غير ذوق الجلوس بين السجدتين غير ذوق السجود الثاني غير ذوق جلوس الاستراحة غير ذوق جلوس التشهّد فهذه مشارب مختلفة في الصلاة المعهودة والمصلّي يناجي ربّه من حضرة الشركة والقسمة فيكون كل صاحب قسم على قسمه معيّن وكذلك الكامل (889) في جميع أحواله على قسمه ويعطي الله قسمه من حاله فإن لله في كل حال قسمًا معيّنًا وحقًا واجبًا ولذلك قال له في كل حال وحركة وسكون حكم شرعي بفعل أو ترك على وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة أو إباحة فاعلم ذلك.

وهذه الأحكام للمعرفة بمنزلة صور الأجسام للأرواح المدبّرة لها أو للقُوَى القائمة بها فاعلم [٤٢٦] ذلك فلا تردّ إن كنت في هذا المقام لباسًا يعرض عليك فإنه دين وكذا فسّره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعبره في الرؤيا فجعل الثوب للدين وبه ضرب المثل في الطول والتقلّص فإن لم يكن لك هذه الحالة وتفرق بين الأمور بأحوالك

(888) ح: يرسول الله
(889) ح: للكامل

فخذ زينة الله في موطنها وردّ من اللباس زينة الشيطان وزينة الحياة الدنيا التي (890) لا روح [٢٦١] لها وما ثَم زينة سوى (891) هذه الثلاثة زينة الشيطان وزينة الحياة الدنيا وزينة الله تعالى التي في زينتك فأضاف زينة الله لك دون غيرها فقال تعالى ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ**﴾ [الأعراف ٣١] فأضافها إليك وقال عقيب ذلك ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ**﴾ فأضافها إليه ثم قال ﴿**قُلْ**﴾ يا محمّد ﴿**هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فعيّن صاحبها بصفته ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ ذات الروح ﴿**خالصة يوم القيامة**﴾ من الشوب بزينة الحياة الدنيا التي لا روح لها ثم قال ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ**﴾ وكذا فعل فصل (892) كل زينة من غيرها ﴿**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف ٣٢] فنبّه على شرف العلم.

ولما علّل هذا الشيخ في ردّ الملبوس من أجل السفر علمنا أنه يريد لباسًا معيّنًا إذ لا بدّ له من لباس التقوى كما ذكرناه واقتصر عليه فإنه حدّ الفرض ولما كان الثوب الدين وهو على قسمين فرض ونفل أراد هذا الشيخ في وصيّته أن تكون (893) في جميع حركاتك (894) الدينيّة (895) صاحب فرض لا صاحب نفل ولا شكّ أن أداء الواجبات (896) أعلى وأحبّ إلى الله تعالى من كل ما تتقرّب به إليه فكأنه يقول لك إن عرض عليك نافلة فلا تقبلها وعمّر وقتك بالفرض فهو خير لك وإن كانت نافلة فتكون بمعنى زيادة فرض لا غير ذلك كما كان قيام الليل فرضًا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [المزمّل ١٢] وجعل ذلك نافلة له أي زيادة في الذي افترض عليه فقال [٢٦٢] ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ**﴾ فأمره ﴿**نَافِلَةً لَّكَ**﴾ [الإسراء ٧٩] أي زيادة فرض أمرك بها وكذلك هي في حقّ المؤمن لو عقل عن الله تعالى وإن الله تعالى يقول في العبد الذي انتقص من فرائضه «**أكملوا له فريضته من تطوّعه**» الذي أوجبه

(890) ح: الذي
(891) ح: سوى زينة
(892) ح: فصّل
(893) ي: يكون
(894) ي: حركاته
(895) ج، ب؛ ح، ي، ظ: الزينيّة
(896) ي: الواجب

بالفعل على نفسه فما كمل (897) واجبا إلا من واجب [٤٢٧] كالنذر الذي أوجبه الله عليه بإيجابه إياه على نفسه.

وكذا جاء الخبر في قول السائل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما قرّر الفرائض فقال في كل فريضة هل عليّ غيرها قال (898) «**لا**» أي ما أوجب الله عليك ابتداءً من ذاته إلا هذا الذي جئتكم به ثم قال «**إلا أن تطوّع**» يقول فإن تطوّعت أنت بما توجبه على نفسك فإن الله تعالى يوجبه عليك كما فعل بالنذر فإن مقتضى الكلام يعطي ذلك في قوله هل عليّ غيرها قال «**لا إلا أن تطوّع بشيء**» فيكون عليك الوفاء به فإنك جئت بعمل لم يفترض عليك وتطوّعت به من نفسك فأمرك الحقّ أن لا تبطل عملك الذي تطوّعت به فأوجبه عليك بقوله تعالى ﴿**وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمّد ٣٣] والشروع ملْزم ولذلك ورد فيمن أبطله أن يقضيه فتحقّق ما ذكره هذا الشيخ فما أوصى إلى بأن تكون صاحب فرض في ذلك كله فإن ترك الزيادة تخفيف.

ولا خفاء على كل ذي نظر سليم أن الإنسان في سفر دائمًا إلى غير نهاية دنيا وآخرة فإذا نسب إليه الاستِيطان فإنما ذلك آوان [٢٦٣] مَبِيته في المنزلة التي يصل إليها فإذا أصبح رحل فهو بالنظر إلى مَبِيته بالمنزلة قاطن وبسفره إذا أصبح راحل أو بارتحاله إذا أصبح مسافر قل كيف شئت بعد فهم المعنى ولا تسمّي زيادة إلا ما زاد على قدر الحاجة وما ثَم إلا محتاج فالحاجة لا ترتفع فما يعطيك الحقّ شيئًا إلا وأنت محتاج إليه علمتَ ذلك أو لم تعلم فخذه بقبول وابحث على صاحب الحاجة إليه منك من هو فإنك تجده ولا بدّ فإن الله لا يعطي شيئًا إلا على قدر الحاجة كذلك المعطى إيّاه والمحتاجون مختلفون متفاضلون فالمعطي اسمه [٤٢٨] السخي أبدًا فإن كان قبل السؤال (899) من العبد كان رفيق السخي الجواد وإن كان بعد السؤال كان رفيقه الكريم وإن كان على طريق الإنعام كان رفيقه الوهّاب وإن

(897) ح: كلّ؛ ي: كلّ، وفي الهامش: كمل
(898) ح: وقال
(899) ح: سؤال

كان على طريق الجزاء كان رفيقه (900) الحسيب وما ثَم عطاء إلهي بطريق الإيثار إلا إذا أعطى بآلة العبد فحينئذ يكون عطاؤه إيثارًا أوجبته الآلة لحاجتها وهذا لا يكون إلا من الربّ سبحانه وكل اسم مضاف إلهي كالخالق والرازق والمعزّ والمذلّ وأمثال ذلك كله.

فالبس لكل حالة لبوسها * إما نعيمها وإما بؤسها

واعلم أن الكامل من استنابه الحقّ عليه فجعله رقيبًا على نفسه ليرى آثار ربّه في قلبه فيكون يقابل تلك الآثار بما يجب لها من الخِلع [٢٦٤] فيكون الرجل الذي قال الله تعالى فيه (901) ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ**﴾ أي من أجلكم ﴿**لِتُحْصِنَكُم**﴾ يعني بها ﴿**مِّنْ بَأْسِكُمْ**﴾ ممّا يقع بكم من الضرر ﴿**فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ [الأنبياء ٨٠] على ذلك حتى نزيدكم منه ﴿**وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾ [البقرة ١٥٢] فإن له لباس جوع وخوف لمن كفر نعمة الله من بعد ما جاءته فقال في ضرب مثل ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ**﴾ وأي قرية أعظم من جمعية الإنسان في نفسه ﴿**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾ [النحل ١١٢] فسمّاه لباسًا فمثل هذا اللباس إذا كان عقوبة أي أتى عقيب الكفران ينبغي للعاقل أن يردّ عن نفسه ما يؤدّيه إلى هذا اللباس فيخفّف عن ظهره لسفره كما أنه يلبسه أيضًا أعني لباس الجوع للتصفيّة والخوف من الله من هذا الخوف فإنه مِن كِلم الله المحمودة في موطنه فما ثَم مذموم مطلقًا أصلاً فعليك بمعرفة الأحوال والمواطن فهي التي تميّز لك بين الأشياء وتُوقفك على حقائق الأمور على ما هي عليه في نفسها.

ثم قال **وإن كلّمتْك أحجارٌ أو أخشاب أو حيوان وغير ذلك من المخلوقات فلا تلتفت إلى شيء من ذلك أصلاً ولا تعلّق قلبك بشيء ولو عرض عليك الملك وملكوت السموات** [٢٦٥] **والأرض والجنّة والنار وغير ذلك فلا تلتفت إلى شيء** [٤٢٩] **من ذالك فإن جميع ذلك** (902) **في بيعك** يقول فإن انخرقتْ لك العادة بكلام من

(900) ح: -؛ ي: -، وفي الهامش: رفيقه
(901) ح: قال فيه الله تعالى
(902) ح: ذاك

ليس من شأنه أن تسمع له كلامًا كالجمادات والنباتات والحيوان أو من سمع له كلامًا إلا أنه خاطبك على التبيين (903) بخطاب فيه تعظيم لقدرك (904) فأوصاك أن لا تُعلّق قلبك به يعني بالمحلّ الذي خُوطبتَ به فتقف عنده بل ينبغي لك أن تقف مع الناطق (905) منه في كل منطق فما نهاك إلا عن الوقوف مع الصورة التي نطق منها فتتقيد بها فيوقفك الحقّ معها وأنت في أول الأمر قد بعت كل ممكن من الله فلا ترجع فيما وقع فيه البيع فقد حصل القبض من المشتري فلا يجوز لك استرداده إلا أن ينعم عليك المشتري بذلك وله حال خاصّ.

فإن العاقل ينبغي أن يفرّق من الله بين ما يعرضه عليك وبين ما يعطيك فإنه إذا أعطاك أمَرك فوجب عليك بالأدب امتثال أمر سيّدك وإذا عرض عليك خيّرك والمخيّر أبدًا إذا قبل (906) ما خيّر فيه فإنه يقبله بهوى نفسه وما دخله الهوى فقد هوى ولكن مع هذا انظر ما يكلّمك به في تلك الصورة فإن كلّمك بما لك فيه ترقٍّ وزيادة علم فاسمع منه كما تسمع من الناصح فكما (907) تسمع من هذا الشيخ الذي أوصاك ونصحك فإن (908) الحقّ نطق بلسانه عندك وإن لم [٢٦٦] يقتض ما خاطبك به زيادة علم ولا فائدة بل كان خطاب فتنة فانظر فيما بشرك به وزنه مع حالك الذي أنتج لك ذلك الخطاب المعيّن فإن طلبه الحال منك فاسمعه واقبله بحكم الوكالة لذلك الحال لا لعينك وخذ ذلك بشرى من الله عزّ وجلّ واجهد عليها فإنها من أكبر النعم ولا سيّما إن تعلّق ذلك بالمال وإن رأيت حالك لا ينتج ذلك الخطاب المعيّن فاعلم أن ذلك فتنة فاحذر من الفتنة فإنها اختبار من الحقّ هل تغترّ بذلك أم لا وهل تنسى ما أنت عليه أو تذكره وهذا معنى قول موسى لربّه ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ**﴾ أي ابتلاؤك

(903) ح: النفس
(904) ح: تعظم لقدرتك
(905) ح: الباطن
(906) ح: قبّل
(907) ح: كُلّما
(908) ح: فإنه

واختبارك ﴿**تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ**﴾ أي تحيّر فيها من تشاء ﴿**وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ**﴾ إلى العلم بذلك حتى يتبيّن لك أنه الحقّ ﴿**أَنْتَ وَلِيُّنَا**﴾ أي ناصرنا على ما [٤٣٠] فتنتنا به ﴿**فَاغْفِرْ لَنَا**﴾[الأعراف ١٥٥] أي استر من أجلنا ما يحيّرنا (909) من فتنتك ويضلّنا (910).

واعلم أن أصل الاختبار الإلهي والفتنة إنما هو (911) الدعوى فمن لا دعوى له لم يطلبه الله بإقامة دليل على صدق دعواه أي مدّع كان لا أخصص صاحب دعوى من غيره فاعلم ذلك حتى أن الشخص إذا ادّعى أنه لم يدّع اُختبر وفُتن في ذلك فإنه ادّعى تنزيه نفسه عن الإدّعاءِ كمثبت النفي يقال له أقم البيّنة والأدلّة على إثباتك هذا النفي لا على النفي فإن النافي لا يطلب بالدليل على النفي إلا إذا أثبت [٢٦٧] النفي فإن الدليل يطلب الإثبات لا النفي فما ثَم إلا مدّعٍ وما ثَم إلا مفتون فإما صادق وإما ليس بصادق فالصادق في دعواه الله على الإطلاق والمخلوق قد يصدق في دعواه وقد لا يصدق فكل مدّعٍ بالله فهو صادق الدعوى وكل مدعٍ بنفسه لا يخلو إما أن يدّعي في حال ذوقه أنه على الصورة الإلهية خُلقه فمصدق في كل ما يدّعيه في هذه الحالة وإما أن لا يكون ذوقه ذلك فقد يصدق وقد لا يصدق والفتنة لا بدّ منها فاطلب نصرة الله في ذلك كما قرّرها موسى عليه السلام واقتضى هذا الاختبار موطن التكليف ولولا التكليف ما وقع اختبار ولا فتنة حيث كان ولا توكيل ملك ولا ملازمة قرين شيطاني ولكان الأمر من الله إلى عبده ومن العبد إلى ربّه كما يكون في الجنّة والنار.

ثم إنه حذرك من العوائق التي تعرض لك في طريقك وقد تقدّم لك شرح العوائق والعلائق التي تحول بينك وبين سعادتك وهي كثيرة لا تحصى. فلا يقطعك شيء من ذلك عن محبوبك الذي هو مطلوب لك لكن أنبّهك على شيء أغفله هذا الشيخ في وصيّته حيث لم يكن ذوقه فإن القوم من صدقهم لا ينطقون إلا بما هو ذوق لهم.

فاعلم أن لله تعالى وجهًا خاصًّا في كل عائقة وعلاقة فلا تبرح من تلك العائقة [٢٦٨] والعلاقة حتى تشهد وجه الحقّ فيها فتكون تلك العلاقة

(909) ح: تحيّرنا
(910) ح: وتضلّنا
(911) ح: هي، وفي الهامش: هو

والعائقة طريقًا موصلاً إلى معرفة ذلك الوجه الخاصّ الذي لله فيها فإنه بذلك الوجه يحفظ عليها وجودها وبذلك الوجه أوجدها ومن تحقّق توجّه الحقّ في الأشياء كلها العارضة له لم يتمكّن أن يكون في حقّه شيء حجابًا أصلاً فإنك تعلم بعلم كلي أنه لا يخرج شيء عنه تعالى ولا يخرج هو عن شيء ولكن الفائدة الحاصلة لأهل الله في علم ذلك من كل [٤٣١] شيء على التفصيل ولا يكون ذلك إلا عن شهود وتجلٍّ بخلاف العلم بالكل فهذه نصيحة متمّمة مني إليك اقتضاها هذا الفصل فإن هذا الوجه الخاصّ الذي أظهرناه لم يظهره أحد قبلنا وإن كان يعلمه ففزنا بإظهاره لأهل الله تعالى نصيحة لهم.

ثم قال رحمه الله **واعلم يا ولدي** هذا قول عليّ المتوهَّم ليوسف المتحقّق **أن الحقّ يعرض عليك في مواطن مختلفة أمورًا مختلفة فتخاف في بعض تلك المواطن وتأمن في بعضها وتطرب في بعضها وتحزن في بعضها وترجو في بعضها وتظهر على نفسك محبة في بعضها فلتكن يا ولدي في جميع هذه المواطن بين يدي محبوبك ولا تلتفت إلى شيء [٢٦٩] من ذلك فإن ذلك أيضًا من قبيل الدنيا التي خرجت أنت قبل ذلك عنها.**

اعْلَم أوّلاً أن هذا يوسف كل ما ظهر على لسانه من الوصيّة والمعارف ممّا يعرفه فهو منه لغيره وإن كان الناطق منه عليّ الكرديّ شيخه وكل ما ظهر على لسانه ممّا لا يعرفه فهو لسان عليّ يوصي بذلك يوسف تلميذه فتارة وتارة كذا اقتضت الحكمة التي أودعتْ هذه الأوراق فإن كان عليّ قد عرف ذلك وهو أن يعلم ما ألقاه الشيخ المتوهَّم عليه فالإمداد من عليّ وإن (912) كان لا يعلم ذلك على التعيين فهو من صدق يوسف في عليّ وذلك الصدق هو الذي أنشأ صورة هذا الشيخ في خياله وإن علم بذلك عليّ فتكون همّة عليّ هي التي أنشأت مثالها في خيال يوسف ولما قال لي يوسف ما كان الشيخ عليّ في كل ما ذكرناه مُشافهيّ بلسان في ظاهري علمت أن ذلك كله من مثال الشيخ المخلوق من همّة عليّ إن كان عالمًا أو من صدق يوسف إن كان لا

(912) ح: فإن

علم لعليّ بذلك فأوّل ما قال فيما يعرض عليه في المواطن المختلفة من الأمور المختلفة ما يخوفه فيخاف منه.

فاعلم أن الأمر الذي يوجب الخوف هو على أقسام تنحصر في قسمين في علم وفي عدم علم بما هو الأمر عليه فأما قسم عَدم العلم فهو خوف الإنسان على نفسه من رجوعها [٢٧٠] إلى العَدم بَعد وجودها وصورة الجهل في ذلك أن الوجود إن كان في نفس الأمر قد ثبت لهذا الخائف في وجود الحقّ فمن المحال رجوعه إلى العدم المحض شرعًا وعقلاً فالشرع معلوم في ذلك والعقل يقضي بأن العدم المحض للمحال لا للممكن وهذا ممكن [٤٣٢] فالعدم المحض عليه محال ولاسيّما وقد اتّصف بالوجود والترجيح وقد رأينا من المنتمين إلى الله من يخاف ذلك وهو أبو العبّاس الحرّار من الصادقين كان إمام المسجد بزقاق القناديل من مصر. رحمه الله وإن كان الوجود للحقّ لا للعبد في عين ثابتة لهذا المعبر عنه بالعالم بحكم ما تقتضيه حقيقة تلك العين في وجود الحقّ فما وجد قطّ حتى يخاف من العدم فهذا معنى قولنا إن كان الوجود في نفس الأمر قد ثبت له فهذا موجب الخوف لهذه الصورة على عدم العلم.

وأما خوفه على علم فهو أنه يرى أن من أحوال عينه في ثبوتها وحصول هذا الحكم لها الذي هو الخوف في الصورة التي نظر فيها فلا بدّ من الخوف في هذا الموطن بخصوص (913) هذا الحكم الذي لا بدّ منه إما لهذه العين إن وجدت وإما للصورة التي يظهر فيها بحسب علمه في ذلك وكل ذلك علم محقّق فإن الحقّ ما تميّز (914) عن الخلق إلا بحمل النقيضين عليه ويقبل ذلك الحمل بحقيقته وليس ذلك لمخلوق إلا بالنسبة إلى وجه مّا لا من عين واحدة [٢٧١] وهو للحقّ من عين واحدة فهو الأوّل من حيث ما هو آخر وكذلك في كل حكم مقابل فإنه عين كل شيء وفي العالم أوّل من حيث كذا آخر من حيث كذا فمن عَلم أوّليّةَ الحقّ وآخريّته بمثل هذه النسبة فما عَلم سوى العالم من حيث ما هو عالم لا من حيث أن الحقّ عينه وهذا الَدَرك

(913) ح: لخصوص
(914) ح: يتميّز

(915) عسير جدًا فتحقّقه واحمل عليه أي على هذا التفصيل جميع ما قيّده به في كل موطن من طرب وحزن وقبض وبسط وأمن ورجاء وأمثال هذا وأما إذا ظهر على قلبك محبّة في بعض المواطن فجعل الظهور لها على قلبك فأنت مغلوب فيها فما ظهرت حتى ظهرت على قلبك وهو عدم كتمان المحبّ [٤٣٣] لحبّه لعظم سلطان المحبّة كما قال بعضهم من العشّاق الأدباء

مَن كانَ يَزعُمُ أَن سَيَكتُمُ حُبَّهُ * حتّي يُشكّك فيه فَهوَ كَذوبُ
الحُبُّ أَغلَبُ للفؤاد بِقَهرِهِ * مِن أَن يُرى لِلسِرِّ فيهِ نَصيبُ
وَإِذا بَدي سِرُّ اللَبيبِ فَإِنَّهُ * لَم يَبدُ إِلّا وَالفَتى مَغلوبُ
إِنّي لَأَحسُدُ ذا هَوىً مُستَحفِظا * لَم تَتَّهِمهُ أَعيُنٌ وَقُلوبُ

وأما الذي لا يظهر الحبّ على قلبه فهو بحكمه إن شاء ظهر به وإن شاء أخفاه لقوّته عليه وفيه يقول بعضهم

باحَ مجنونُ عامرٍ بهواهُ * وَكَتمتُ الهَوى فمتُّ بِوَجدي
فَإِذا كانَ في القيامةِ نودي * مَن قتيلُ الهَوى تَقدّمتُ وَحدي [٢٧٢]

وإنما قال إنه قتيل الهوى لكونه كتمه فلم يعلم أحد بحبّه ووجده فلم يكن له ولي ينصره على قوّة سلطان حبّه فانفرد به وخلى به فقتله وذلك هو القتل ولكن لا يكون سلطان للحبّ حتى يظهر على قلب المحبوب فمتى لم يظهر فسلطانه ضعيف هذا هو الصحيح الذي يرجع إليه فإن الأحوال لا تحكم إلا بسلطانها فمتى لم تحكم فليست بأحوال حقيقة لمن قامت به وإنما ذلك حديث نفس لا حال كألوان قَوْس قُزَح هي ألوان في عين الناظر وما في الجوّ لون منها الذي يراه الناظر أنها فيه والحال الصحيح كاللون في نفس المتلوّن وصُفرة الوجل وحُمرة الخجل فهي في عين الأحمر والأصفر لا في عين الناظر فهكذا (916) صورة الأحوال التي الحبّ منها إذا صحّت أظهرت حكمها على قلب المحبّ فظهر سلطانها فيه وإذا كانت حديث نفسٍ

(915) ح: المَدَرك
(916) ح: فهاكذا

لم يكن لها قوّة سلطان فهي أحوال حديث نفس لا غير فتأمّل ما قلناه في كلام هذا الشيخ في هذا الفصل تعثر على علم شريف.

ثم قال **بالحذر في نوال هذا العرض عليك من القلق والضجر الاختياري** يقول وعقلك معك فإن أخذتَ عنك يتغيّر [٤٣٤] مزاجك فذلك لمن أخذك ليس لك وإنما يقلق ويضجر من قيّد مطلوبه خارجًا عن كل ما عرض عليه فمَن علمه في عين كل ما عرض عليه فلا (917) قلق ولا ضجر فليطلبه في عين ما ظهر [٢٧٣] فإنه يناديه منه من قريب غير بعيد.

وأما قوله **وإذا صحّ عزمك مع حبيبك برفع المشاركة أذهب الله عن قلبك ما سواه** قالت الطائفة بلا خلاف أصحاب الذوق أن العبد إذا صدق في ترك شهوة من أجل الله ذهب الله بها من قلبه وما أحسن هذا التحرير منهم رضي الله عنهم فإن تلك الشهوة أو ذلك الشيء لا بدّ أن يكون فيه وجه للحق فإذا صدق المريد أو صحّ عزمه في ترك شيء من أجل الله تعالى فما كان ذلك منه إلا لحجابه عن ذلك الوجه الإلهي الذي لذلك الشيء إذ لو رآه ما صدق في تركه بل كان يلزمه من أجل ذلك الوجه الإلهي فإنه إنما صدق في تركه من أجل الله ففاته خير ذلك الوجه الإلهي الذي خصّ به ذلك الشيء فذهب الله بذلك الشيء من قلبه كذا قال المحقّقون فأضاف الذهاب إلى الله مع ذلك الشيء يريد ذهاب ذلك الوجه الحقّ بذهاب الشيء فقالوا ذهب الله وقال هذا الشيخ **أذهب الله ما سواه عن قلبه** وكثير بين العبارتين ولكل عبارة معنى فإن الوجه الإلهي الذي في كل شيء لا ينفكّ عنه لأنه حافظه وعنه صدر ومن المحال أن لا تكون عين الله تصحب كل شيء ممّا يقال فيه أنه سوى الحقّ وهو قوله ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ**﴾ يريد كل ما سواه ﴿**أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [الحديد ٤] وقوله ﴿**وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾ [البقرة ٢٥٥] وقوله ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ [الرعد ٣٣] وكل ما سوى الحقّ نفس وذات وعين وحقيقة حتى ما [٢٧٤] كسبته فما كسبت إلا نفسا فيتخيّل من لا علم له بالطريق أن الله تعالى لما ذهب بتلك الشهوة من قلب ذلك الصادق في تركها من أجل الله أن ذلك ثناء ومدح

(917) ح: ولا

وعناية بهذا الصادق لا والله [٤٣٥] بل ذلك هو الخسران المبين وإنما ذلك ثمرة الصدق في الترك.

وقد يكون الصدق محمودًا وقد يكون مذمومًا فإن الكافر قد صَدق في إيمانه بالباطل وكفره بالله فذهب الله بنور الإيمان بالله من قلبه كما ذهب بالإيمان بالباطل من قلب المسلم فالإيمان بالباطل أنه باطل حقّ صحيح ولذلك قال الله تعالى ﴿**لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ**﴾ [الأحزاب ٨] ما متعلّقه فإن الإيمان هو التصديق فقد يكون متعلّقه التصديق بالباطل فصَدق في الإيمان بالباطل وهو قوله ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ**﴾ [العنكبوت ٥٢] وقد يكون متعلّقه الإيمان الذي هو التصديق بالله وهو الصدق فإن الله يقول ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ**﴾ [البقرة ٢٥٦] فقد أطلق على الشخصين اسم الإيمان فلذلك يسأل الصادق عن صدقه فيماذا صَدق فإذا صَدق في ترك شهوة أو شيء من أجل الله يقول وجه الله الحافظ لذلك الشيء ما علمتَ (918) أنك إذا زهدتَ في شيء لا أبرح معه إنك قد زهدتَ فيّ بزهدك فيه وأيّ جهل وتوبيخ أعظم من هذا.

فقال هذا الشيخ **أذهب الله** وقالت الطائفة **ذهب الله بها عن قلبه** فإما أن يكون هذا الشيخ قد علم ذلك وراعى حجاب المريد [٢٧٥] التارك في صدق الترك فإن الصادق في ذلك ما عنده خبر بهذا الوجه الذي لله في ذلك المتروك (919) وإما أن يكون ما علم ذلك وهو الأقرب ولاسيّما وقد قال **أذهب الله عن قلبه ما سواه** مطلقًا من غير تخصيص عين فقف عند هذه الإشارة ولا تغب عن النظر في الأمور بعين ما تستحقّه فتعطي لكل ذي حقّ حقّه وما ثَم إلا من له حقّ كما أن الله أعطاه ذلك في قوله ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**﴾ [طه ٥٠] وذلك حقّه.

وأما قوله **واصطفاك وشغلك** [٤٣٦] **به عمّن سواه** عقيب هذا الإذهاب أراد قول الله لموسى ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾ [طه ٤١]

(918) ح: عملت
(919) ح: المترول

فذلك اختصاص تقريب إلهي في قضية (920) عين فأضاف نفس من وجّهه إليه إلي الله تعالى حيث وجّهه إليه ولذلك أمره باللين في القول وعلّق الرجاء بإجابته عند الذكرى لما كان فيه من الحجاب بالعزّة الإلهية التي اقتضت له المرتبة التي كان فيها وهي المُلك إذ كان المُلك لله الواحد القهّار فإذا تذكّر ذلك رجع إليه ولو بعد حين وكذا كان نفعته الذكرى فتذكّر عند الغرق وخشي الفوت فاستعجل بها مقيدة بإيمان بني إسرائيل فانتقل من نسب القبط إلى نسب الاسرائيلين في الإيمان ليرفع الاشكال والاحتمال ولذلك قال الله له ﴿آلآنَ﴾ فكلّمه فصحّ له من موسى وراثة (921) الكلام إذا كان الله تعالى [٢٧٦] قد كلّم موسى تكليمًا حين قرّبه نجيًا فقال الله عزّ وجلّ لفرعون ولم يذكر الواسطة ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ فما ذكر أنه عاصٍ في الحال ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس ٩١] فيما مضى.

وأما قوله **وشغلك به عمّن سواه** إن كان ثم هذا إن كان عارفًا بالأمر على ما هو عليه فإن الله تعالى لا يظهر إلا في الأشياء فلو لم يكن ثَم شيء ما ظهر للحق عين لشيء فلا بدّ من الأشياء.

فبنا الحقّ يظهر وبه نحن نظهر * فلذا نحن نشكر ولذا نحن نكفر

باختلاف محقّق فاعلموا ذاك (922) وانظروا * فإذا ما شهدتم عين ما قلتُه استروا

إن لله غيرة فاحذروا أن تَنْفِروا * وإذا ما ولّيتم يسّروا (923) لا تعسّروا

وأما قوله بعد وصيّته بالشكر لله على هذه النعمة يعني شغله بالله عمّا سواه لا يقوم بها شيء من المخلوقات فقال **لأن المخلوقات لها نهاية وهذه النعمة لا نهاية لها** فإنما يعني أنها مستمرّة وإنما جعل النهاية في المخلوقات [٤٣٧] لأنه كل ما (924) دخل في الوجود من المخلوقات فقد تناهى لأنه محال أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى

(920) ح: قضيته
(921) ح: وارثة
(922) ح: ذلك
(923) ح: ليسّروا
(924) ظ؛ ي، ح، ج، ب: كلما

فإن لم يرد ما ذكرناه فما (925) عنده خبر بما (926) هو الأمر عليه فإما عن غفلة وإما عن جهل والصحيح أنه عن غفلة [٢٧٧] فإن الإنسان من نفسه يعلم الأشياء كلها التي يستفيدها ممّا يقال فيه قبل استفادته إيّاها أنه غير عالم بها لأن النفس بالأصالة غير كَدِرَة ولا صدئة فالمعلومات منقوشة فيها انتقاش الصور في المرآة الصقيلة وإن لم تشعر المرآة بذلك ولا يدرك الناظر فيها إلا بعض ما انتقش أو انطبع فيها فلهذا يتّصف بأنه يزداد علمًا لأنه ليس في قوّة الناظر كشف جميع ما تقبله مرآة نفسه فالشيء فيه منطبع ولا يعرفه إلا عند نظره فيها و ليس يظهر فيها إلا ما يصحّ أن يعلم لا غير.

وأما قول من يقول إن النفس إذا صفتْ انتقش فيها صور الملكوت فكلام غير محرّر فإنه قال إذا صفتْ وهي لم تزل صافية فلو حرّر وقال إذا نظرتَ في مرآة نفسك رأيت ما انطبع فيها من صور الملكوت الظاهرة لكان غاية التحرير.

وأما قوله في دعائه في الشكر **فله الحمد على الحمد على ما عليه الحمد وله الشكر على الشكر على ما عليه الشكر** فكلام محقّق وهو المسمّى حمد الحمد وشكر الشكر الذي قال فيه العارف في خطبة كتابه الحمد لله حمدًا يوافي هو نفسه فضمير هو عائد على الحمد لا على الله وذلك أن أصدقُ المحامد وأرفعها عن التهمة حمد الحمد فإن حمد الحمد لا يكون إلا بقيام الصفات المحمودة بالمحمود وحمد الشيء نفسه [٢٧٨] دعوى وحمد غيره إيّاه دعوى يحتاج كل حمد من هذين إلى دليل صدق وحمد الحمد ليس كذلك فلذلك قال **علي ما عليه الحمد** وكذلك الشكر سواء [٤٣٨] غير أنه ذكر الحمد والشكر لفرقان بينهما فإن الحمد يعمّ والشكر يَخُصّ فالحمد للمحمود بما هو عليه وبما يكون منه والشكر للمشكور بما يكون منه خاصّة ولذلك يطلب الشكر المزيد ممّا شكر عليه والحمد لا يطلب المزيد ممّا حمد عليه إلا إذا فسّر بالشكر فليطلب زيادة ما يحمده به فهو قوله آمرًا نبيه عليه السلام في قوله ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه

(925) ح: بما
(926) ح: ما

١١٤] يعني بك حتى أحمدك بما أعلمتنيه من محامدك لا بجميع محامدك لأنه لا جمع لها فإن الأمر في نفسه غير متناهٍ.

وأما قوله **فإن كل شيء فمنه وإليه** فذلك قول الطائفة السفر فيه إذ ما ثم سواه وهذا الربط أفادنا في قوله المتقدّم **شغله عمّن** (927) **سواه** إن كان ثم فهو أمر مفروض لا محقّق الوقوع.

وأما قوله **بالمحافظة على الاستغفار من الذنوب** فاعلم أن الاستغفار من الغفر وهو الستر فإذا قال العارف بالاستغفار من الذنوب فإنما (928) يطلب من الله العصمة بأن يستره من الذنوب أن تقوم به لا يريد الستر من العقوبة على الذنب فيقول العالِم [٢٧٩] اغفر لنا ذنوبنا أي استرها من أجلنا حتى لا ترانا فتلحق بنا فتقوم بنا فنكون مذنبين والعامّة تقول بالغفران من (929) ذلك تريد أن يسترها الله من عقوبة الذنب الذي هو الجزاء فتطلب (930) من الله أن يُهدر (931) ذلك فلا يجازيها بما تطلبه الذنوب (932) من العقوبة والجزاء ومن علم أن جزاء الذنب قد يكون ما يسرّ (933) كالعفو وما يسوء كالانتقام فكلاهما جزاء الذنب فليس أحدهما بأولى من الآخر في الجزاء إلا أن يتّقوى أحدهما بأمر آخر مثل سبق الرحمة الغضب فيتّقوى جزاء العفو على الانتقام فافهم.

والوجه الأوّل هو الذي جاء به نصّ القرآن في مثل قوله تعالى ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**﴾ [آل عمران ١٤٧] أي استرنا عنها حتى لا تصيبنا (934) فنذنب وهو الأليق بالاستغفار.

ثم أمرك [٤٣٩] أن تكون تحت هذه النعمة ذليلاً فقال **لأن العزّة لا تنال إلا بالذلّة** يريد ذليلاً بعبادة الشكر عليها فإن العبادة الذلّة والعبادة نعمة والذلّة نعمة وهي حقيقتك فإنك ذليل بالأصالة بعزّة

(927) ح: عمّا
(928) ي: فإن ما
(929) ح: عن
(930) ح: فليطلب
(931) ي: تحذر
(932) ي: الذنون
(933) ح: يستر
(934) ي: تصينا

الله فإذا أعزّك (935) الله فإنما يعزّك عند أبناء جنسك لا عنده فلا تزال ذليلاً عنده عزيزًا عند غيره فتجمع بين الذلّة والعزّة ولكن بقى لك كيف تكون أنت عند نفسك هل يغلب عليك شهود العزّ فتغلب عليك العزّة بالله أو هل يغلب عليك شهود الحقّ فيغلب عليك الذلّ تحت عزّ الله فأنت بحسب وجودك واما أن لا تكون [٢٨٠] لا عزيزًا ولا ذليلاً إذا (936) كان شهودك كونه عينك وعين كل شهود فهو وجود معرّي (937) عن العزّة والذلّة لأنه ما ثَم لمن ولا على من وهذا معنى قوله ﴿**واللَّه غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ**﴾ [آل عمران ٩٧] فحظّ العبد من هذه الآية في التحقّق بها أن يقام في هذا المقام.

وهو قول أبي يزيد ومقامه حين قيل له كيف أصبحتَ فقال لا صباح لي ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيّد بالصفة وأنا لا صفة لي فنفى عن نفسه الصفات والغناء (938) لا شكّ أنه صفة تنزيه وهذا لا يكون أعني التقييد بالصباح والمساء إلا للاسم الدهر فقد شهد لنفسه أنه لا حظّ له في الاسم الدهر والمحقّق لا بدّ أن يكون له في كل اسم إلهي نصيب كما هو الأمر في نفسه فكل ناطق بسُكر (939) الحال لا يتعدّى حاله وكل ناطق بصحو يضع الحكم موضعها ألا ترى أنه رضي الله عنه قد غاب عن قيد صورة تركيبه المقيّدة بالصباح والمساء فقد فاته من شهود نفسه ما يطلب من هذا التقييد ففاته شهود الحقّ في الاسم الدهر فيخاف على من هذا مقامه (940) أن يسبّ الدهر في وقت وقد نها الله عن سبّه لكونه تعالى هو عين الدهر فهو عين الصباح والمساء كما هو عين كل شيء وربّ كل شيء ومليكه.

ثم أمرك أن يكون شكرك على قدر [٤٤٠] ما أنعم الله به عليك هذه كلمة عارف أو موافق فإن الشكر على قدر النعمة يحصل [٢٨١] فإنه

(935) ح: أعزل
(936) ي: إن، وفي الهامش: إذا
(937) ح: معراً
(938) ح: والغني
(939) ج، ظ، ب؛ ح، ي: بشكر
(940) ي: مقامة

مقابلة مخلوق بمخلوق فنفى بذلك ولم يقل على قدر المُنْعِم فإن ذلك لا يصحّ ولو شكرتَه به فإنه إذا شكر نفسه بك وكان بنفسه هويّة لسانك في شكره فإنه لا يتمكّن أن يفي بشكر المنعم أو قدره في نفسه من حيث شكره نفسه مجرّدًا عنك فإن ذلك الشكر أعلاً لا يقال أتمّ فإن تمام الشكر وكماله أن يكون من الشاكر بالمقامين وبالصورتين الصورة الواحدة بتقييده بك والثانية بتجريده عنك في نفس تقييده بك ولذلك أثبتك حين نفاك فقال ﴿**مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ**﴾ و﴿**لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ**﴾ [الأنفال ١٧].

ثم قال **واعلم أنه إذا خلع عليك خلعة** (941) **المحبّة والشوق والرضا والقبول فقُم في مقام الشكر له على ذلك** يقول شكر المحبّين فيزيد (942) بشكره على ذلك حبًّا فيه فإنه ضمن الزيادة بالشكر ممّا يشكر عليه فقال

خِلع الشوق والرضا والقبول * ما لها في تَعَمُّل من سبيل (943)

وعليه يقوم برهان كوني * في عياني وحجّتي ودليلي

فخذ الحقّ من عليم حكيم * ليس فيه من أهل قال وقيل (944)

فهو الحقّ عينه لا سواه * فاتّبعه تكن بظلّ ظليل

إن عبد العزيز ليس سوى * من كان في نفسه بذلّ ذليلِ

ألا ترى الحقّ وصف نفسه بأنه شكور لعبده الطائع العالم العامل [٢٨٢] تعرُّضًا لأن يزيده (945) في الطاعة والعمل لكون الشكر يطلب الزيادة ممّا شكر عليه فكما تشكره ليزيد في نعمه (946) لك وعملك من نعمه كذلك يشكرك لتزيده في العمل له في موطن التكليف فينعم عليك بما يخلقه فيك من نعمة العمل لشكرك إيّاه فتعمل فيشكرك ليزيدك من العمل ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**﴾ [سبأ ١٣] والله يحبّ

(941) ح: خلع
(942) ح: فتزيد
(943) ج، ظ، ب؛ ح، ي: سبيلي
(944) ي: قيل وقال
(945) ح: تزيّده
(946) ح: نعمته

الشاكرين لأنه يريد أن لا يزال خلّاقًا فكلّما شكرتَه زادك نعمة أي جعلتَه بشكرك يخلق لك نعمًا ويوصلها إليك ثم يشكرك على ذلك ليكثر سؤالك إيّاه في مزيد نعم [٤٤١] العمل في موطن التكليف فما أحبّك إلا لنفسه وإن أنجز مع ذلك أنه أحبّك لك فالأول يقتضيه العلم الصحيح والثاني يقتضيه الأدب ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً**﴾ [الأنبياء ٧٩] فكل مجتهد مصيب.

ثم قال **واعلم يا حبيبي أنه إذا تحلّيت** (947) **بهذه الخِلع وطلعتْ لك على يد شيخك فاعرف قدْرَ هذه وقدْرَ ما فوّضه الله إلى شيخك من ذلك.**

قيل لشيخ الشيوخ عبد القادر الجيلي ببغداد وكان متحكّمًا ظاهرًا بالتحكّم أن محمّد بن قائد الأواني وكان مُعَرْبِد الحضرة لسُكره (948) قال مشيتُ على طريقي إلى الحقّ فلم أر فيه قدمًا لغيري إلا قدم واحد تقدّمني فَغِرتُ فقيل لي هي قدم نبيك فسكن جأشي فلما قربتُ وُضِعتْ لي مِنَصّة (949) فاستويتُ عليها وخرجتْ إليّ الخِلع الإلهية [٢٨٣] فخُلعتْ عليّ فقال عبد القادر مسكين ابن قائد حضرتُ ذلك المجلس ومن عندي خرجتُ له النوالة يعني تلك الخِلع فقيل له أين كنت في ذلك الوقت فإنه ما شهدك فقال في المَخْدَع ثم ذكر صورة الخِلع فعرفها ابن قائد قال صدق عبد القادر.

فهذا معنى قوله أن الخلع طلعتْ على يدي الشيخ فكان ما حصل [٤٤٢] لابن قائد من ذلك بتربية الشيخ عبد القادر من حيث لا يشعر فإن الولي قد يرى بهمّته من التخيّل أنه مفرد بنفسه وهو لا يشعر بذلك ومسألة ابن قائد من ذلك القبيل والقدم التي رآها هي قدم عبد القادر فإنه الرسول إليه وهو نبيّه من حيث لا يشعر فإنه ما دلّه إلا شرع الرسول ولذلك قيل لابن قائد إنه قدم نبيّك أسكت بذلك عن عربدته ولهذا قال عبد القادر (950) أنه في المَخْدَع كما قال الله في الذين يخادعون الله والذين آمنوا ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ**﴾ [البقرة ٩]

(947) ح: تجلّيت
(948) ح: لشكره
(949) ح: منصبة
(950) ح: + إنه قدم نبيّك وقال عبد القادر

فليس المَخْدَع سوى ما قيل له في القدم أنها قدم نبيك فهذه الإضافة والتعريف عين المَخْدَع فإنه لما وصل وخلع عليه ما رأى صورة للنبي عليه السلام في تلك الحضرة فلو تقدّمه لوجَده بها فما رأى إلا القدم وما رأى للعين أثرًا.

وهكذا حال الشيوخ وإنما لم ير عينًا (951) سواه في الوصول وما رأى (952) القدم إلا في الطريق فإن الأمر في نفسه كما قلنا لكل شخص [٢٨٤] من الله تجلٍّ يخصّه فلا يرى في حضرته غيره فينفرد بها.

فالعالِم يعلم ذلك ومن لا علم له كابن قائد يرى ذلك تشريفًا في حقّه أعني انفراده بالحقّ وما علِم أن كل أحد بهذه المثابة فهذا مقام لا يقع فيه تفاضل وإنما التفاضل في نفس الخلع كما أن الرسل يجمعهم مقام الرسالة لا (953) فضل بينهم ثم يتفاضلون فيما يُرسلون به وإليه وما يكون من الحقّ لهم في رسالتهم.

ثم قال **ثم كن إذا بلغتَ هذا المبلغ على ثقة أنك تملك قلوب العباد بأسرها فمن أردتَ أن تأخذه إليك في الحال قدرتَ عليه فتحفظ من ذلك ما استطعتَ** [٤٤٣] **وكن حافظًا لنفسك من هذه الحال تتسلّط على قلوب العباد.**

أما قوله أنه يملك قلوب العباد يريد أنه أُعطي التصرّف في العالم وأصحاب هذه المقام ينقسمون فيه على قسمين فمنهم طائفة تتصرّف وهم الذين ينفقون ممّا جُعلوا مستخلفين فيه فيولّي ويعزل ويؤتي وينزع ويحيي ويميت ويعمل ما يشاء فإن مشيئته من مشيئة الحقّ ﴿**وَمَا** (954) **تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الإنسان ٣٠] مثل عبد القادر الجيلي شيخ الشيوخ ببغداد وأبي العبّاس السبتي غير أن عبد القادر كان تصرّفه بالمقام وكان تصرّف السبتي بالميزان وكان يتصرّف على طريق خاصّ لو أخلّ به [٢٨٥] بطل بخلاف عبد القادر.

وكان أبو السعود بن الشبل ببغداد قد أُعطي هذا المقام فلما مُكّن منه لم يظهر به وكان من الطائفة الأخرى وهي التي ردّتْ ذلك إلى الله

(951) ح: غبنًا
(952) ي: + أيّ
(953) ح: فلا
(954) ي: ولا، وفي الهامش: وَمَا

عن امره بحكم الوكالة فاتخذتْ الله وكيلاً في التصرّف فإن تصرّفتْ يومًا ما في شيء عن أمر إلهي فمن مقام الوكالة لا من المقام الأصلي لأنها قد خرجتْ عنه أدبًا وتظرّفًا فإن أمَرها الوكيل يومًا ما لاقتضاء مصلحة ما أن تتصرّف فيه بنفسه فعل من أمر وكيله تعالى ويقتصر على ذلك الذي عُيّن له ولكن من حكم مقام حكم الوكيل على موكّله وهو مقام عزيز لا يقدر عليه كل أحد فكان ابن قائد الأواني قد أُعطي التصرّف على ما ادّعاه في نفسه ولكن ما شهد له به أبو السعود فإنه كان أعدل منه مع صِدق ابن قائد في الطريق ولكن ما أُعطي التصرّف عامًّا فتخيّل أنه أعطي عامًّا لأنه كشف له عن عالمه الذي هو مُضاهٍ للعالم الكبير فتخيّل أنه ذلك العالم الكبير فصدق في دعواه وما صدق حيث جهل أنه عالمه فلذلك ما شهد له [٤٤٤] أبو السعود لعلمه بالشبهة التي طرأتْ عليه لسُكره وصحو أبي السعود.

ولم يكن في زمان أبي السعود من هو أتمّ في العقل منه وذلك أنه عَلِم أن الحقّ لا يتصرّف في العالم إلا بما أعطاه العالم من نفسه من حيث ما هو [٢٨٦] معلوم له ولذلك يعجل في وقت ما يدعى فيه ويؤخّر في وقت ويعوض في وقت ويمنع في وقت فإنه لا يبدّل القول لديه وقوله عِلمه وعِلمه بحسب ما تعلّق به فإنه عَلِم المعلومات على ما هي عليه في نفسها فلما رأى أبو السعود الأمر على ما هو عليه لم ير أن له أثرًا في ذلك يعمّ ولا للأصل فردّ الأمر إلى الله ولذلك قال أنه تركه تظرّفًا وفي ذلك قلنا

العالم النحرير أحكم له * بأنه بحُكم معلومه

تحكم في المعلوم أحكامه * فحُكمه من عين محكومه

وأما قوله **فتحفظ من ذلك ما استطعتَ** يوصيك خوفًا عليك أن تأخذك العزّة به فتحجب فإنه لا بدّ لك عند فراقك الحياة الدنيا أن تعود إلى الأصل وتتذلّل تحت القهر الإلهي كما فعل عبد القادر الجيلي بعد ما كان يقول قدمي هذا على رقبة كلّ ولي لله لقطبيّته وخلافته فإن الأولياء الذين هم الابدال والأوتاد والأئمّة والنقباء والنجباء وأمثالهم كلّهم تحت حكمه وما يخرج عن حكمه إلا الأفراد خاصّة وهم أكبر الأولياء عند الله قدرًا لا يدري القطب ما عندهم ولا

يدرون ما عند القطب لشغلهم بالله فمهما تصرّف واحد منهم في أمر خاصّ فيكون ذلك عن أمر الله له في ذلك المعيّن بحكمة يراها الحقّ فيأمره بذلك ثم يعود إلى مقامه وحاله كالخضر مع موسى عليه السلام فإنه [٢٨٧] من المفردين ولما انتهى عبد القادر إلى أجله وضع خدّه بالأرض وتذلّل واعترف بأنه كل ما كان فيه إنما كان ذلك بالحال والصحيح ما رجع إليه هذه شهادته على نفسه [٤٤٥] فكانت غاية عبد القادر حال أبي السعود فكان أبو السعود يعلم ذلك فابتدأ به أوّلاً إذ عَلِم أن الرجوع إليه كما قيل

رَأى الأَمر يُفْضِي إِلى آخَرٍ * فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلا

والرسل الخلفاء صلوات الله عليهم لولا ما جُبروا على التصريف في أمور خاصّة ما تصرّفوا فإنهم من حيث هم رسل ما عليهم إلا البلاغ ومن حيث أنهم خلفاء تصرّفوا فيما حُدّ لهم وأعينهم ناظرة إلى الأصل لا يغفلون عنه أبدًا فإن الله تعالى يقول لأعظمهم قدرًا وأتمّهم كشفًا وتحصيله علم الأوّلين والآخرين ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ فأين التصريف العامّ ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص ٥٦] ولا يشاء إلا ما سبق في علمه أن يشاءه ولا يعلم من الأمر إلا ما هو الأمر عليه في نفسه فالله غني (955) عن العالمين بذاته والعالم من حيث هو غيب على ما هو عليه يدرك في الشهادة على ذلك فما ثَم إلا إدراك وبه يقع الفصل بين العلماء فعالم وأعلم وليس وراء هذا الادراك إذا عمّ مقام للعالم أتمّ منه ولكن هذا ممّا اختصّ الله تعالى به في غيبه ما هو لغير الله ولا يتمكّن إلا أنه يظهر له مع الأنات وذلك الظهور المتوالي عليه هو الذي [٢٨٨] يزيده الله به علمًا إلى علمه وإيمانًا إلى إيمانه ولهذا أمره أن يقول ﴿**رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه ١١٤] فلو شاهده الشهود العامّ لما قبل الزيادة.

ولما كان الأمر العامّ لا نهاية له لم يتمكّن أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى فمن هذا المقام يقول الله تعالى ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ**﴾ [محمّد ٣١] فنبّه على حدوث التعلّق من طريق خاصّ لا على حدوث العلم فإنه يعلم ما يقع منهم فلا يعلم أنه وقع حتى يقع أي لا يتعلّق علمه بوقوع ما لم يقع فلا يكون علمًا فاعلم [٤٤٦] ذلك.

(955) ي: الغني

ودلّ قوله في هذه الوصيّة بعد أن أمرك بالحفظ لنفسك في هذه الحال ما استطعت **أن لا تتسلّط على قلوب العباد إلا بالخير** دليل على أنه لم يكن من أهل هذا المقام الذي نبّهنا عليه ولو كان لما قال هذا وإن كانت روحانيّة دمشق تعطي علم مثل هذا ولكن ما انتهى صاحب هذه الوصيّة إلى هذا المقام فإني أدركتُه ورأيته وعلمتُ أن حاله ليس هو هذا ولو لم أعلمْه لعدلتُ في كلامه هذا إلى وجه آخر يثبت له فيه أنه من أهل هذا المقام عينه لكن لا نزيد (956) في الشرح إذا عيّنّا مقام المتكلّم على حاله شيئًا فإن زدنا على ذلك نبّهنا عليه أن تلك الزيادة ما هي في حال المتكلّم وإنما هي حال المتكلّم به فتكون قوّة العبارة التي تلفّظ بها هذا الرجل تعطي ذلك زائدًا على ما اقتضاه حاله فحاله ممّا عَبر به دون ما عُبّر به عنه [٢٨٩] وهذا كثير الوقوع قد يكون فهْم السامع في العبارة فوق فهْم الناطق بها إلا أن يكون عامّ العلم فحينئذ لا يغيب عنه وجه تطلبه تلك العبارة لا بدّ من ذلك فيبرز من ذلك الشارح لها ما شاء ويستر ما شاء وهذا مقام خرْق العوائد في الشاهد ويعبّر عن ذلك كبّار العلماء بتأثير همّ النفوس ويتفاضل الناس فيه.

وأما أمره للمريد بالدعاء لشيخه فإنه من شكره له فإنه والد ديني روحاني والله قد أمرنا أن نشكر لله ولوالدينا وما خصّ والدًا من والد أعني والد النَسب من والد الدين فإن الله تعالى قد جعل والد الدين أبًا فقال لأمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم (957) وهو مبعوث لمن يعود في نَسبه إلى إبراهيم وإلى غير إبراهيم ممّن لم يأت على طريق إبراهيم فقال ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الحج ٧٨] فجعله أبًا لنا في الدين والشيوخ أباءُ دين فتعيّن علينا أن نشكر لهم ولا أعظم في الشكر من الدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بالصلاة على نبيّه [٤٤٧] عليه السلام مع علمنا برتبته وطلب منّا عليه السلام أن نسأل الله تعالى له الوسيلة فلذلك أمرك هذا الشيخ بالدعاء لشيخك فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم (958) يقول في الصحيح نقلاً وكشفًا «**إن الرجل ينقطع عمله إذا**

(956) ح: تزيد
(957) ح: عليه السلام
(958) ح: عليه السلام

مات إلا من ثلاث علم يبثّه في الناس أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له» فجعل الدعاء من عمله بعد موته [٢٩٠] لأن ولده من عمله وبهذا جاء الخبر الصحيح كشفاً أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال «**أفضل ما أكله الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه**» والولد الديني أقرب في رتبة القربى من الولد النسبي الصُلبي بلا شكّ فإن ولد الصلب يرث أباءَه بدينه لا بصلبه في أيّ دين كان فما اعتبر الشرع إلا الدين ولذلك قال «**ما ترك لنا عقيل من دار**» فلو وقع الورث بالصلب دون الدين لورثه عليّ كما ورثه عقيل فالجامع بين النسبين أحقّ بالميراث من المنفرد بالنسب الواحد ويرث بإنفراده بالنسب الديني فلا يرث بعدم هذا النسب.

وأما أمره لك بالتواضع مع أهْلِك وعباد الله الصالحين فالتواضع لا يكون إلا من ذي رفعة يقول لك لا تعامل أهْلَك بالعزّة عليهم لكونهم ناظرين إليك معتقدين في نفوسهم أنهم دونك وكل مَن أمرك بالتواضع فقد شهد لك بالرفعة عن المقام الذي تنزل إليه وما أهْلُك إلا الذين هم أهل طريقك المزاحمون لك في رتبتك التي أهّلهم الله لها فإن تواضعك لهم لا يكون عن رفعة عليهم ولكن تواضعك عين اعترافك أنك آخذٌ عنهم ممّا هم عليه وهم لا يشعرون فقد زدت عليهم بهذا القدر فترفّعت عنهم فتعيّن عليك أن تتواضع لهم حتى لا يظهر عندهم افتقارهم [٢٩١] إليك فيجهلون منك ما تعرفه أنت منك [٤٤٨] فإن المتواضع إنما يطلب الستر عمّن تواضع له فإن رفعة مقامه من أحكامه التواضع ولو لم يكن من أحكامه ما كان رفيعًا فإن عَلِمَ ذلك منك كما عَلِمَ من الرسول في تواضعه لأصحابه ومن الملك في تواضعه للسوقة فإن ذلك يزيد في حبّهم إيّاك وشكرهم لك وعلمهم بعلوّ مقامك وأصل هذا كله ما ثبت في الخبر الصحيح نقلاً وكشفًا «**ان الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على عزّته وجلاله إلى عباده فيقول هل من تائب هل من مستغفر هل من داعٍ**» فما نزل إلا من رِفعة أين غناه عن العالمين من هذه الرتبة ومن طلَبِه القرض من عباده وأما الأهليّة أيضًا في هذا الموطن فثابتة بالنقل أن «**أهل القرآن أهل الله وخاصّته**» وقال تعالى ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**﴾ [النحل ٤٣] يريد القرآن فإنه كلام الله تعالى وكلامه ذاته فهم أهل الله تعالى فإذا كان الله تعالى ينزل إلى أهله فأنت أولى

بالنزول إليهم من هذه الرفعة العارضة فإن نسبتك إليهم أعظم وأبلغ من نسبة العالم إلى الله تعالى فيما يظهر للمؤمنين لأن لك معهم نسبة المثليّة وليست للعالم هذه النسبة مع الله ومع هذا جعلهم تعالى أهله.

ثم قال **وإذا رأيت بعض الأولياء قد أخفى حاله عن الناس ويُظهر لهم** [٢٩٢] **خلاف حاله فإيّاك أن تنبّه أحدًا من الخلق عليه** أصل هذا الخبر الصحيح نقلاً وكشفًا يوم القيامة إذا تجلّى الحقّ لعباده في غير الصورة التي يعلمون فينكرونه والعارفون به مثل الأنبياء في ذلك الموطن لا ينبّهون العالَم عليه فإنهم علموا من الحقّ أن ذلك مراده في ذلك الموطن فلم يخالفوه في ذلك وقصده رضي الله عنه الأدب فإنه من الأدب معهم أن تجري معهم على ما يريدون.

وأما التحقيق في ذلك وربّما فات هذا (959) الشيخ العلم به [٤٤٩] أو علمه فقصّر في العبارة عنه فهو أن تعلم (960) أن تلك الصورة التي ظهر فيها هذا الولي من أحواله أيضًا فما ظهر بخلاف حاله وإنما ظهر بخلاف الحال التي يعتقد العامّة في الولي أنه حال له ولا يُخفي ولي حاله عن الناس إلا بدخوله مداخلهم في عاداتهم ممّا لا تنتهك فيه حرمة شرعيّة فلا ترى العامّة من هذا الولي إلا ما اعتادته من العامّة فلا يتميّز لهم حال الولي المتوهَّم في نفوسهم فيكون سترًا لهم على هذا الحال المتوهَّم فما استتر أيضًا إلا بحاله فإن استتر بأمر في الظاهر عندهم أنه منتهك فيه حرمة شرعيّة فالغلط في نظرهم لا في نفس الأمر وبعيد أن يقع مثل هذا من كبير في الطريق متمكّن ولا من صاحب حال لشغله بحاله (961) فإن صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له خاطر [٢٩٣] في التستّر ولا في الظهور وإنما هو بحكم ما يصرفه فيه حاله وإنما يقع الستر من الأكابر بالمباحات والعادات التي لا يقدح الشرع فيها خاصّة وإن اتّفق أن يظهر عند الناظر أن ذلك فيه إنتهاك حرمة مشروعة فما هو مقصود لذلك الولي وإنه جارٍ على عادته في ذلك مع الله تعالى وان شغله في ذلك الوقت مع الله بحكم

(959) ح: لهذا
(960) ح: يعلم
(961) ي: -

ما اعتاد منه لا مع الخلق فيتخيّل الأجنبيّ أن ذلك الولي قصد التستّر بما جرى منه ممّا ظاهره منكر وباطنه معروف وليس كذلك فما أتى هذا الولي إلا بأمر صحيح محمود في الشرع لو أنصف (962) هذا الناظر كرجل شرب كأس خمر في نظر عين الحاضر لعلمه بخمريّة ذلك الكأس وهو شربَ ما يجوز له شربه ولا يعلم ذلك الحاضر حتى يناوله إيّاه منه ان اعتنى به إذا [٤٥٠] لم يخطر له ستر حاله فشربه الأجنبيّ شرابًا حلالاً فالأجنبيّ الذي لا يعلم ذلك محمود عنده في إنكاره موفٍّ لمقامه والولي محمود في فعله إذا لم يقصد التستّر فإن قصد التستّر بمثل هذا فهو مذموم في الطريق بل لا يقع مثل هذا من ولي في العموم وقد يقع من ولي في الخصوص من أصحابه اختبارًا منه لصدق دعواهم (963) في التسليم له هذا ما لا يمنعه.

وعلى هذا يكون تجلّي الحقّ تعالى يتجلّي يوم القيامة في الصورة المنكرة اختبارًا للأدباء المتحقّقين [٢٩٤] بالأمانة هل يعاملونه في ذلك الموطن بالمعاملة التي يستحقّها الإله أو يسكتوا عن ذلك فلا ينكرون وكذلك يفعلون كما فعل قضيب البان مع أحمد البزّار حين ظهر له في صور مختلفة والصورة (964) واحدة وأحمد يتعجّب فلما أكمل شهوده بحسب ما أراده قضيب البان قال له يا أحمد من هو قضيب البان الذي لا يصلّي ويترك ما فرض الله عليه والله يا أحمد ما تركت فريضة تعييّت لله عليّ وإنما الأمر كما رأيت أخبرني بذلك أحمد بالموصل في الموضع الذي أبصر منه ذلك وهو عند باب تربة جرجيس النبي عليه السلام.

فلهذا قلنا قد يظهر الولي لبعض إخوانه بشيء من ذلك تعليمًا واختبارًا (965) ولم يقصد قضيب البان بما يظهر للعامّة منه التستّر عنهم وإنما الحال أعطاه ذلك فلم يكن يبالي بما يعتقده الناس فيه فكان الناس مأجورين في الاعتراض عليه إذا فرضوه ذا عقل غير مأخوذ وهو مأجور محمود حيث لم يقصد بذلك أن ينتهك الناس

(962) ح: أنضف
(963) ي: دعواه
(964) ح: النعمة
(965) ح: واختيارًا

عِرْضَه فيأثمون لو حقّق الله مطالبهم على ذلك وإنما الله تعالى يتجاوز عن سيّئات عباده.

كان بعض الأولياء صاحب [٤٥١] دُكَّان إلى جانب مسجد يخيط فيه فما رأته الجماعة قطّ يصلّي معهم في المسجد فعظم ذلك عليهم فرجموه وهو لا يقول لهم شيئًا حتى قتلوه فجاء من يعرفه فأخبرهم بحاله وأنه ما فاتته قطّ [٢٩٥] صلاة فريضة ثم ذكر أنه كان يصلّي الظهر بمكّة والعصر بالمدينة والمغرب ببيت المقدّس والعشاء بالساحل والصبح على ظهر جبل قاف فندموا على قتله وتبركوا بقبره بعد موته وما كان الشيخ يقصد التستّر بذلك (966) ولا يقول عن نفسه أنه بهذه الصفة لعلمه بأنهم لا يصدّقوه فشغله حاله عن الإعلام بذلك وقد رأينا من رجال الله من له هذا المقام.

وأما وصيّته بجبر القلوب المنكسرة فذلك لأمر محقّق فإن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم فيريد بذلك أن الجابر إذا تحقّق بهذا الحال لم يبعد أن يكشف الله له عن عينه فيرى الحقّ الذي عند هذا الانكسار فإنه عندها بالجبر لها فإذا جبرها هذا الشخص فهو الحقّ الذي عندها لو علمت كما ورد في الخبر الصحيح نقلاً وكشفًا أن الله تعالى يقول «**يا عبدي مرضت فلم تعدني فيقول العبد يا ربّ وكيف تمرض وأنت ربّ العالمين فقال يا عبدي أما علمتَ أن فلانًا مرض فلو عدتَه لوَجدتَني عنده**» فهذا وجدان خاصّ كوجدانه عند المنكسر قلبه من أجل الله تعالى فكل عائد لا يجد الله عند المريض فما عاده لأنه قال وقوله صدق «**لوجدتني عنده**» وأقلّ الوجدان أن العائد يجد عند المريض الله مذكورًا له يطلب منه الشفاء ويسلم له القضاء فيه فإنه مقهور مغلوب في [٢٩٦] حال مرضه كان المريض من كان وتعلّق (967) المعتقد بمن تعلّق فإن كل مريض [٤٥٢] إلهه من تعلّق به في شفائه وبُرئِه فإن الله تعالى (968) قد تجلّى له في تلك الصورة التي تعلّق بها وأنه تعالى ما خصّ في هذا الخبر مريضًا من مريض ومعلوم أن المرضى مختلفون في الاعتقادات في معبودهم والجامع للكل

(966) ي: -

(967) ح: ويعلّق

(968) ح: فالله

القصد المحقّق في كل واحد واحد أن الله تعالى هو الشافي والمعافي والطبيب يعالج والحقّ في صورة الدواء لا في صورة الطبيب فإذا تجلّى الحقّ في صورة دواء خاصّ كان فيه الشفاء من هذا المرض الخاصّ لهذا المريض الخاصّ فنفس الجابر لهذا الانكسار ليس للحق تجلٍّ إلا في جبره ولا في صورة شخصيّة الجابر من كونه إنسانًا بل من كونه جابرًا فهذا هو التجلّي في صور المعاني فبأي شيء يكون جبر هذا المنكسر فذلك الجبر هو الحقّ الذي عند هذا المنكسر. فمتى لم ينجبر بذلك فما هو هذا الحقّ الخاصّ لهذا الانكسار الخاصّ.

فإن الدواء إذا ناسب دفع الداء أنجع وزال باستعماله ذلك الداء فإن المناسبة بين الداء والدواء مناسبة النقيض ولذلك يزيله ولو ناسبه مناسبة النظير لزاد في كمّيّة انكساره أو مرضه فإن الانكسار مرض نفسي. يغلب في أوقات حتى يظهر على الحسّ ويتغيّر له مزاج الهيكل فمرض النفوس أبدًا تتغيّر (969) له أمزجة [٢٩٧] الهياكل ولا يلزم من ذلك مرض مزاجي تغيّر النفس بل ذلك في امراض خاصّة.

وأما وصيّته **أن لا تحترم صاحب مال** (970) **لماله ولا صاحب جاه لجاهه** يريد إذا حجبك ذلك المال عن ظهور الحقّ بصورته أو بصورة ذلك الجاه وذلك بأن تفرق بين صاحب المال والجاه وبين من لا مال له فلا تحترم المُقَتِّر ولا المستهضم هذا ميزانك فإن احترمت الفقير في حال فقره والمستهضم في حال استهضامه لم يقدح في مقامك احترام صاحب المال لماله ولا صاحب الجاه لجاهه فقد علمت منك مَن هو [٤٥٣] مَشهودك (971) في ذلك ولذلك كان من أدب الله نبيّه في سورة عبس ما قد كان لما فرق فلما علّمه الله صبر نفسه مع القوم الذين أمِر أن يصبر نفسه معهم وكانوا مستهضمين بالعبوديّة وهذا مقام لا يحصل ذوقًا إلا لمن رأى الله قبل كل شيء كأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فإنه إذا رآه قبل كل شيء عرفه فإذا عرفه لم يظهر له بالتحوّل في عين لشيء إلا ميّزه وعرفه ولهذا قال «**ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله**» وهذا أتمّ المقامات في العلم من الذي قال «**ما رأيت**

(969) ي: يتغيّر

(970) ي: جاه

(971) ج، س، ظ، م، ب ؛ ح: شهودك؛ ي: مشهودك وفي الهامش: شهودك

شيئًا إلا رأيت الله فيه» وأما من قال «**ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله معه»** فلا بدّ أن يتقدّمه العلم بالله [972].

(972) ي: + تمّت الرسالة اليوسفيّة بعونه تعالى؛ ح: + فهذا اخر الكتاب